دَلِيلُكَ إِلَى الْمَوَاعِظِ

إلى أدلة المواعظ

موضوعات للخطب بأدلتها من القرآن الكريم والسنة
الصحيحة
مع ما تيسر من الآثار والقصص والأشعار

جمع وترتيب
شحاتة صقر

الجزء الأول
الخطب من 1- 50
مع كلمات متعلقة بالخطابة والخطبة والخطيب

دَارُ الْفُرْقَانِ لِلتُّرَاثِ
البحيرة - حوش عيسى - شارع عبد العظيم بديوي - أمام الشهر العقاري
ت/0124536003

خطب مناسبات

41- الزكاة(1)

■ الغنى والفقر ابتلاء:

إن الله لأ خلق الغني والفقر ميطبتين للابتلاء والامتحان ولم ينزل المال لمجرد الاستمتاع به فعن أبي واقد الليثي قال: كُنَّا نَأْتِي النَّبِيَّ ص إِذَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ فَيُحَدِّثُنَا ، فَقَالَ لَنَا ذَاتَ يَوْمٍ: « إِنَّ اللَّهَ لَأَقَالَ : « إِنَّا أَنْزَلْنَا الْمَالَ لِإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِتْيَاءِ الزَّكَاةِ ، وَلَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادٍ لَأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ إِلَيْهِ ثَانٌ ، وَلَوْ كَانَ لَهُ وَادِيَانِ لَأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ إِلَيْهِمَا ثَالِثٌ ، وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التَّرَابُ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ تَابٍ » (صحيح رواه الإمام أحمد)

(ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب) أي لا يزال حريصاً على الدنيا حتى يموت ويمتلئ جوفه من تراب قبره.

والمراد بابن آدم الجنس باعتبار طبعه و إلا فكثير منهم يقنع بما أعطي ولا يطلب زيادة ، لكن ذلك عارض له من الهداية إلى التوبة كما يومئ إليه قوله (ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ تَابٍ) أي يقبل التوبة من الحرص المذموم ومن غيره ، أو (تاب) بمعنى وُفق ، يقال تاب الله عليه أي وفقه يعني: جُبِلَ الأدمي على حب الحرص إلا من وفق الله وعصمه.

وفي ذكر ابن آدم دون الإنسان إيماء إلى أنه خلق من تراب طبعه القبض واليُبُس ، وإزالته ممكنة بأن يمطر الله عليه من غمام توفيقه.

فأخبر ص في هذا الحديث أن الله لأ أنزل المال لِيُسْتَعَانَ بِهِ عَلَى إِقَامَةِ حَقِّهِ بالصلاة وإقامة حق عباده بالزكاة لا للاستمتاع والتلذذ كما تأكل الأنعام فإذا خرج المال عن هذين المقصودين فإن الغرض والحكمة التي أنزل لها كان

(1) إذا ثبت لرجل أو لامرأة الصحبة فلا يمكن أن يقبل لمزة بالنفاق إلا بإسناد صحيح ، ولهذا لا يصح قول من قال: إن تغلبه بن حاطب الأنصاري ت - وهو ممن شهد غزوة بدر - هو المقصود بقوله لا : (وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنُصَدِّقَ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ) (التوبة : 75).

وهذه القصة - التي يذكرها كثير من الخطباء في أثناء حديثهم عن الزكاة - لا تصح سنداً ولا متناً ، أما سنداً فهي من طريق معان بن رفاعه عن علي بن يزيد ، وكلاهما لا يصح حديثه . وأما متناً فالنبي ص قرر أن مانع الزكاة تؤخذ منه قسراً ، وحارب أبو بكر الصديق ت مانعي الزكاة ، فكيف يرفض أخذها رسول الله ص وأبو بكر وعمر ت ؟

التراب أولى به .
 دَعِ الْحِرْصَ عَلَى الدُّنْيَا
 وَفِي الْعَيْشِ فَلَا تَطْمَعِ
 وَلَا تَجْمَعِ مِنَ الْمَالِ
 ■ ما هي الزكاة :

الزكاة اسم لما يخرج به الإنسان من حق الله تعالى إلى الفقراء. وسميت زكاة لما يكون فيها من رجاء البركة ، وتركية النفس وتنميتها بالخيرات .
 فإنها مأخوذة من الزكاة ، وهو النماء والطهارة والبركة . قال الله تعالى: (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا) (التوبة: 103). أي خذ - أيها الرسول - من أموال المؤمنين صدقة معينة كالزكاة المفروضة ، أو غير معينة ، وهي التطوع ، تطهرهم بها من دنس البخل والطمع ، والدناءة والقسوة على الفقراء والبائسين ، وما يتصل بذلك من الرذائل ، وتزكي أنفسهم بها ، أي تنميتها وترفعها بالخيرات والبركات الخلقية والعملية ، حتى تكون بها أهلاً للسعادة الدنيوية والأخروية .

■ حكمة الزكاة :

المسلم الغنى ينظر إلى ثروته وأمواله كأمانة استأمنه الله عليها ينبغي عليه أن يؤدي حقها ويستعملها فيما يرضي الله تعالى . ويحث الله تعالى المسلمين على الإنفاق من أموالهم لیسدوا حاجات الفقراء والمحتاجين ، قال تعالى: (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً) (البقرة 2- آية 245) والزكاة في الإسلام هي أول نظام عرفته البشرية لتحقيق الرعاية للمحتاجين والعدالة الاجتماعية بين أفراد المجتمع حيث يعاد توزيع جزء من ثروات الأغنياء على الطبقات الفقيرة والمحتاجين .

والزكاة طهرة لأموال المزكي وطهرة لنفسه من الأنانية والطمع والحرص وعدم المبالاة بمعاناة الغير . وهي كذلك طهرة لنفس الفقير أو المحتاج من الغيرة والحسد والكراهية لأصحاب الثروات . وتؤدي الزكاة إلى زيادة تماسك المجتمع وتكافل أفرادها والقضاء على الفقر وما يرتبط به من مشاكل اجتماعية واقتصادية وأخلاقية إذا أحسن استغلال أموال الزكاة وصرفها لمستحقيها .

يا جامع المال في الدنيا لو ارثته
 قَدِمَ لِنَفْسِكَ قَبْلَ الْمَوْتِ فِي مَهَلٍ
 هل أنت بالمال قبل الموت منتفع؟
 فإن حظك بعد الموت منقطع

■ أسماء الزكاة:

منها: الزكاة قال تعالى: (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ) (البقرة: 43) .
 ومنها: الحق ، قال تعالى: (آتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) (الأنعام: 124) .
 ومنها: النفقة ، قال تعالى: (وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) (التوبة: 34) . ومنها: الصدقة قال تعالى: (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا) (التوبة: 103) .
 والزكاة هي أحد أركان الإسلام الخمسة ، وقرنت بالصلاة في اثنتين وثمانين آية . وقد فرضها الله تعالى بكتابه ، وسنة رسوله ص ، وإجماع أمته فمن جحدتها فقد كفر .

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ بَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى صَبَعَتْ مُعَادَاتٍ إِلَى الْيَمَنِ فَقَالَ: «أَدْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَدَيْكَ فَأَعْلَمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَدَيْكَ فَأَعْلَمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةَ فِي أَمْوَالِهِمْ تَأْخُذُ مِنْ أَغْيَابِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَانِهِمْ» (رواه البخاري ومسلم).

وكانت فريضة الزكاة بمكة في أول الإسلام مطلقة ، لم يحدد فيها المال الذي تجب فيه ، ولا مقدار ما ينفق منه ، وإنما ترك ذلك لشعور المسلمين بكرمهم. وفي السنة الثانية من الهجرة - على المشهور - فرض مقدارها من كل نوع من أنواع المال ، وتبينت بياناً مفصلاً.

■ حكم مانعها:

الزكاة من الفرائض التي أجمعت عليها الأمة واشتهرت شهرة جعلتها من ضروريات الدين ، بحيث لو أنكر وجوبها أحد خرج عن الإسلام ، وقتل كفرًا ، إلا إذا كان حديث عهد بالإسلام ، فإنه يعذر لجهله بأحكامه.

أما من امتنع عن أدائها - مع اعتقاده وجوبها - فإنه يكون بامتناعه قد ارتكب كبيرة من الكبائر ، دون أن يخرج ذلك عن الإسلام ، وعلى الحاكم أن يأخذها منه قهراً ويعزره ، ويأخذ نصف ماله ، عقوبة له.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى صَعْنُ الزَّكَاةِ: «... وَمَنْ مَنَعَهَا فَنَا آخِذُوهَا وَشَطْرَ مَالِهِ عَزْمَةٌ مِنْ عَزْمَاتِ رَبِّنَا عَزَّ وَجَلَّ» (حسن رواه أبو داود).

(مَنْ عَزَمَاتِ رَبِّنَا): أَي حُقُوقِهِ وَوَأَجَابَتِهِ.

ولو امتنع قوم عن أدائها - مع اعتقادهم وجوبها - ، وكانت لهم قوة ومنعة فإنهم يقاتلون عليها حتى يعطوها. قال ص: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ وَحِسَابِهِمْ عَلَى اللَّهِ» (رواه البخاري ومسلم).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ت قَالَ: لَمَّا تُوفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى وَاسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَهُ وَكَفَرَ مِنْ كُفَرٍ مِنَ الْعَرَبِ ، قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لِأَبِي بَكْرٍ: كَيْفَ تَقَاتِلُ النَّاسَ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى ص: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَمَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابِهِ عَلَى اللَّهِ».

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: «وَاللَّهِ لَأَقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ ، وَاللَّهُ لَوْ مَنَعُونِي عَقَالًا كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنَعِهِ».

فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: «فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ» (رواه مسلم).

العقال: حَبْلٌ تُثْنِي بِهِ يَدُ الْبَعِيرِ إِلَى رُكْبَتِهِ فَنُشَدُّ بِهِ.

نَاطَرَ عُمَرُ أَبَا بَكْرٍ ت وَاحْتَجَّ عَلَيْهِ بِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى ص: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» . فَمَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَقَدْ عَصَمَ نَفْسَهُ وَمَالَهُ . وَكَانَ هَذَا مِنْ عُمَرَ تَتَعَلَّقًا بِظَاهِرِ الْكَلَامِ قَبْلُ أَنْ يُنْظَرَ فِي آخِرِهِ وَيَتَأَمَّلَ شَرَايِطَهُ.

فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ ت: إِنَّ الزَّكَاةَ حَقَّ الْمَالِ ، يُرِيدُ أَنَّ الْقَضِيَّةَ قَدْ تَضَمَّنَتْ
عَصْمَةَ دَمٍ وَمَالٍ مُعَلَّقةً بِإِنْفَاءِ شَرَايِطِهَا. وَالْحُكْمُ الْمَعْلُوقُ بِشَرْطَيْنِ لَا يَحْصُلُ
بِأَحَدِهِمَا وَالْآخَرُ مَعْدُومٌ. ثُمَّ قَابَسَهُ بِالصَّلَاةِ وَرَدَّ الزَّكَاةَ إِلَيْهَا ، وَكَانَ فِي ذَلِكَ مِنْ
قَوْلِهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ قِتَالَ الْمُؤْتَمِعِ مِنَ الصَّلَاةِ كَانَ أَجْمَاعًا مِنَ الصَّخَابَةِ ، فَلَمَّا
إِسْتَفَرَّ عِنْدَ عُمَرَ صِحَّةَ رَأْيِ أَبِي بَكْرٍ وَبَانَ لَهُ صَوَابُهُ تَابَعَهُ عَلَى قِتَالِ الْقَوْمِ.
عَجَبْتُ لِمَعَشَرِ صَلُّوا وَصَامُوا
ظَوَاهِرَ خَشِيَّةٍ وَتَقَى كَذَابًا
وَتَلْفِيهِمْ حِيَالَ أَمْالِ صُومًا
إِذَا دَاعَى الزَّكَاةَ بِهِمْ أَهَابًا
لَقَدْ كَتَمُوا نَصِيبَ اللَّهِ مِنْهُ
كَأَنَّ اللَّهَ لَمْ يُحْصِ النَّصَابَا
وَمَنْ يَعْدِلْ بِحُبِّ اللَّهِ شَيْئًا
كُحِبِّ الْمَالِ ضَلَّ هَوَىٰ وَخَابَا

■ فضائل الزكاة:

* الزكاة هي أرفع عبادة مالية والصلاة أرفع عبادة بدنية فلذلك يقرن ربنا
لأيهما دائمًا في الكتاب الكريم: قَالَ تَعَالَى: (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا
تَقَدَّمُوا لَأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ) (البقرة: 110)

وقال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا
الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (البقرة: 277)
وقال تعالى: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ
وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) (المائدة: 55).

* وجعل الله لأخص صفات الأبرار الإحسان ، ومظهر إحسانهم يتجلى
في القيام من الليل ، والاستغفار في السحر تعبدًا لله وتقربًا إليه كما يتجلى في
إعطاء الفقير حقه ، رحمة وحنوا عليه قال الله تعالى: (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ
وَعُيُونٍ * آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ * كَانُوا قَلِيلًا مِنْ
اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ * وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ
وَالْمَحْرُومِ) (الذاريات: 15-19)

* والجماعة التي يباركها الله ويشملها برحمته ، هي الجماعة التي تؤمن
بالله ، ويتولى بعضها بعضًا بالنصر والحب ، وتأمّر بالمعروف ، وتنتهى عن
المنكر ، وتصل ما بينها وبين الله بالصلاة ، وتقوي صلاتها ببعضها ، بإيتاء
الزكاة. قال الله تعالى: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ يَأْمُرُونَ
بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (التوبة: 71).

* وجعل الله لأيتاء الزكاة غاية من غايات التمكين في الأرض. قال الله
تعالى: (الَّذِينَ إِنْ مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا
بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ) (الحج: 41).
* ولقد جعلها الله هي والصلاة فقط سببًا للاخوة في الدين ، قال تعالى: (فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنَفَصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ
يَعْلَمُونَ) (التوبة: 11).

* وهي من أوجب الواجبات بعد الصلاة قال تعالى: (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) (البور: 56).
وقال تعالى: (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ) (البينة: 5).
■ التحذير من منع الزكاة:

* بَيَّنَّ اللَّهُ لَا أَنْ تَرَكَهَا مِنْ سَبِيلِ الْكَافِرِينَ ، قَالَ تَعَالَى : (وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ * الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ) (فصلت: 6-7).

* وَحَذَّرَ رَبُّنَا لِأَنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ وَلَا يَزْكُونَ ؛ قَالَ تَعَالَى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرَّهْبَانِ لِيَآكُلُوا أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) (التوبة: 34).

* وَتَوَعَّدَهُم بِالْعَذَابِ الشَّدِيدِ ؛ قَالَ تَعَالَى : (يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ لَأَنْفُسِكُمْ تَدْفِقُونَ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ) (التوبة: 35).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ تَقَال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص : « مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَفَحَتْ لَهُ صَفَاحٌ مِنْ نَارٍ ، فَأَحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِدَّتْ لَهُ فِي يَوْمٍ كَانَ مَقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ ، فَيَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ » .

قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ : فَأَلْبَلُ ؟
قَالَ : « وَلَا صَاحِبَ أَيْلٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَطَحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرَقَرٍ أَوْفَرَ مَا كَانَتْ ، لَا يَفْقَدُ مِنْهَا فِصِيلًا وَاحِدًا تَطَّوَهُ بِأَخْفَافِهَا وَتَعَصَّه بِأَفْوَاهِهَا ، كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أَخْرَاهَا رُدَّ عَلَيْهِ أَوْلَاهَا فِي يَوْمٍ كَانَ مَقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ ، فَيَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ » .

قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَأَلْبَقِرُ وَالْغَنَمُ ؟
قَالَ : « وَلَا صَاحِبَ بَقَرٍ وَلَا غَنَمٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَطَحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرَقَرٍ ، لَا يَفْقَدُ مِنْهَا شَيْئًا لَيْسَ فِيهَا عَقْصَاءٌ وَلَا جَلْحَاءٌ وَلَا عَصَبَاءٌ ، تَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا وَتَطَّوَهُ بِأَظْلَافِهَا ، كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أَخْرَاهَا رُدَّ عَلَيْهِ أَوْلَاهَا فِي يَوْمٍ كَانَ مَقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ ، فَيَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ » (رواه مسلم).

(بَطَحَ) قَالَ جَمَاعَةٌ : مَعْنَاهُ : أَلْفَى عَلَى وَجْهِهِ ، قَالَ الْقَاضِي : قَدْ جَاءَ فِي رِوَايَةِ لِلْبَجَارِيِّ « يُخْبِطُ وَجْهَهُ بِأَخْفَافِهَا » ، قَالَ : وَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَرْطِ النَّطْحِ كَوْنُهُ عَلَى الْوَجْهِ ، وَإِنَّمَا هُوَ فِي اللَّعَةِ بِمَعْنَى النَّبْطِ وَالْمَدِّ ، فَقَدْ يَكُونُ عَلَى وَجْهِهِ ، وَقَدْ يَكُونُ عَلَى ظَهْرِهِ .

القَاع : الْمُسْتَوِي الْوَاسِعُ مِنَ الْأَرْضِ . وَالْقَرَقَرُ : الْمُسْتَوِي الْوَاسِعُ مِنَ الْأَرْضِ .

العَقْصَاء : مُتَوِيَّة الْقَرْنَيْنِ ، وَالْجَلْحَاء : الَّتِي لَا قَرْنَ لَهَا ، وَالْعَصَبَاء : الَّتِي انْكَسَرَ قَرْنُهَا الدَّخْلُ .

(أَوْفَرَ مَا كَانَتْ): أَعْظَمَ مَا كَانَتْ ، هَذَا لِلزِّيَادَةِ فِي عُقُوبَتِهِ بِكَثْرَتِهَا وَقُوَّتِهَا وَكَمَالِ خَلْقِهَا ، فَتَكُونُ أَنْفَلُ فِي وَطَنِهَا ، كَمَا أَنَّ ذَوَاتِ الْفُرُونِ تَكُونُ بِفُرُونِهَا لِيَكُونَ أَنْكَى وَأَصَوَّبَ لِطَعْنِهَا وَنَطْحِهَا.
(لَا يَفْقَدُ مِنْهَا فَصِيلًا وَاحِدًا): الفصيل: ولد الناقة أو البقرة بعد فطامه وفصله عن أمه.

(وَتَطَوُّهُ بِأَضْلَافِهَا) الظَّفُّ لِلْبَقَرِ وَالْعَنَمِ وَالظَّبْيَاءِ ، وَهُوَ الْمُنْشَقُّ مِنَ الْقَوَائِمِ ، وَالْحُفُّ لِلْبَعِيرِ ، وَالْقَدَمُ لِلْأَدَمِيِّ ، وَالْحَافِرُ لِلْفَرَسِ وَالْبُغْلُ وَالْحِمَارُ .

أَهْلَكَتْ نَفْسَكَ يَا ظَلُومُ
أُظْنَنْتُ أَنَّ الْمَالَ لَا
هِيَهَاتَ ، أَنْتَ وَمَا جَمَعْتَ

نَفْنَى ، وَيَفْنَى ، وَالذِّي
وَقَالَ لِأَنَّ: (وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاتُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) (آل عمران: 180).

* وَيَبْنِي حَبِيبَنَا صِ مَعْنَى هَذِهِ الْآيَةِ ؛ فَعِنَ أَبِي هُرَيْرَةَ تَقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: «مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَلَمْ يُوَدِّ زَكَاتَهُ مِثْلَ لَهُ مَالَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَجَاعًا أَفْرَعُ لَهُ زَبِيَّتَانِ ، يُطَوَّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِلَهْزَمَتَيْهِ - يَعْنِي بِشِدْقَيْهِ - ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا مَالِكٌ ، أَنَا كَنْزُكَ» ثُمَّ تَلَا (لَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ) الْآيَةَ . (رواه البخاري)

(مِثْلَ لَهُ) أَي صَوَّرَ . قَالَ الْبَيْضَاوِيُّ : حَصَّ الْحَنْبُ وَالْجَبِينُ وَالظُّهْرُ لِأَنَّهُ جَمَعَ الْمَالَ ، وَلَمْ يَصْرِفْهُ فِي حَقِّهِ ، لِتَحْصِيلِ الْجَاهِ وَالتَّغْنَمِ بِالْمَطَاعِمِ وَالْمَلَاسِ ، أَوْ لِأَنَّهُ أَعْرَضَ عَنِ الْفَقِيرِ وَوَلَّاهُ ظَهْرَهُ ، أَوْ لِأَنَّهَا أَشْرَفُ الْأَعْضَاءِ الظَّاهِرَةِ لِاشْتِمَالِهَا عَلَى الْأَعْضَاءِ الرَّئِيسَةِ . وَقِيلَ : الْمُرَادُ بِهَا الْجِهَاتُ الْأَرْبَعُ الَّتِي هِيَ مُقَدِّمُ الْبَدَنِ وَمُؤَخَّرُهُ وَجَنْبَاهُ ، نَسَّأَ اللَّهُ السَّلَامَةَ .
وَالْمُرَادُ بِالشَّجَاعِ : الْحَيَّةُ الدَّكْرُ ، وَقِيلَ الَّذِي يَقُومُ عَلَى دَنْبِهِ وَيُؤَاتِبُ الْفَارِسَ .

وَالْأَفْرَعُ مِنَ الْحَيَّاتِ الَّذِي يُبَيِّضُ رَأْسَهُ مِنَ السَّمِّ .
(لَهُ زَبِيَّتَانِ) هُمَا الْبُكْتَتَانِ السُّودَاوَانِ فَوْقَ عَيْنَيْهِ ، وَقِيلَ: نُفِطَتَانِ يَكْتَنِفَانِ فَاهُ ، وَقِيلَ: لِحْمَتَانِ عَلَى رَأْسِهِ مِثْلَ الْقَرْنَيْنِ ، وَقِيلَ: نَابَتَانِ يَخْرُجَانِ مِنْ فِيهِ .

(يُطَوَّقُهُ) أَي يَصِيرُ لَهُ ذَلِكَ التَّعْبَانِ طَوْقًا .
(ثُمَّ يَأْخُذُ بِلَهْزَمَتَيْهِ) فَاعِلٌ يَأْخُذُ هُوَ الشَّجَاعُ ، وَالْمَأْخُودُ يَدٌ صَاحِبُ الْمَالِ كَمَا وَرَدَ عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ تَقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: «يَكُونُ كَنْزُ أَحَدِكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَجَاعًا أَفْرَعُ يَفْرُ مِنْهُ صَاحِبُهُ ، فَيَطْلُبُهُ وَيَقُولُ: أَنَا كَنْزُكَ» قَالَ: «وَاللَّهِ لَنْ يَزَالَ يَطْلُبُهُ حَتَّى يَبْسُطَ يَدَهُ فَيَلْقَمَهَا فَاهُ» . (رواه البخاري)

قَوْلُهُ : (بِلَهْزَمَتَيْهِ) : الشِّدْقَيْنِ ، وَقِيلَ: هُمَا الْعِظْمَانِ الْقَائِتَانِ فِي اللَّحْيَيْنِ تَحْتَ الْأَذْنَيْنِ . وَقِيلَ: هُمَا لَحْمِ الْخَدَّيْنِ الَّذِي يَتَحَرَّكُ إِذَا أَكَلَ الْإِنْسَانُ .
(ثُمَّ يَقُولُ : أَنَا مَالِكٌ ، أَنَا كَنْزُكَ) فَائِدَةُ هَذَا الْقَوْلِ الْحَسْرَةُ وَالزِّيَادَةُ فِي التَّعْذِيبِ حَيْثُ لَا يَنْفَعُهُ النَّدَمُ ، وَفِيهِ نَوْعٌ مِنَ التَّهْكُمِ .

* والرسول الحبيب ص بين مكانة الزكاة في الإسلام فعن ابن عمر ب قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَإِقَامُ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ وَالْحَجُّ وَصَوْمُ رَمَضَانَ» (رواه البخاري ومسلم)

* وكان الصحابة يبايعونه ص عليها ؛ فعن جرير تقال : «بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص عَلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ» (رواه البخاري)

* وَعَنْ عَائِشَةَ بَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص قَالَ : «ثَلَاثٌ أَحْلَفَ عَلَيْهِنَّ : لَا يَجْعَلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ لَهُ سَهْمٌ فِي الْإِسْلَامِ كَمَنْ لَا سَهْمَ لَهُ فَاسْتَهْمُوا الْإِسْلَامَ ثَلَاثَةَ الصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ وَالزَّكَاةِ ، وَلَا يَتَوَلَّى إِلَهًا عَزَّ وَجَلَّ عَبْدًا فِي الدُّنْيَا فَيُؤَلِّقَهُ غَيْرَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلَا يُحِبُّ رَجُلٌ قَوْمًا إِلَّا جَعَلَهُ اللَّهُ لِأَمْعَمِهِمْ ، وَالرَّابِعَةُ لَوْ حَلَفْتَ عَلَيْهَا رَجَوْتُ أَنْ لَا أْتَمَّ : لَا يَسْتُرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَبْدًا فِي الدُّنْيَا إِلَّا سَتَرَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (صحيح رواه الإمام أحمد)

* وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ تَقَالَ : أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ص فَقَالَ : « يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ ، خَمْسٌ إِذَا ابْتَلَيْتُمْ بِهِنَّ - وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تَذَرِكُوهُنَّ - : لَمْ تَطْهَرِ الْفَاحِشَةَ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعَلِّقُوا بِهَا إِلَّا فَشَأَ فِيهِمُ الطَّاعُونَ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضُوا . وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أَخَذُوا بِالسِّتِينَ وَشِدَّةِ الْمُنُونَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ .

وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنَعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا

وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ .

وَمَا لَمْ تَحْكَمْ أَيْمَتَهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بِأَسْهُمِهِمْ بَيْنَهُمْ» (حسن رواه ابن ماجه)

(الْفَاحِشَةُ) أَي الزَّانِ . (الْأَوْجَاعُ) أَي الْأَمْرَاضُ . (السِّتِينَ) أَي الْفَقْرُ . (الْقَطْرُ) أَي الْمَطْرُ . (بِأَسْهُمِهِمْ) أَي حَرْبِهِمْ .

* وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ تَأَنَّ النَّبِيَّ ص قَالَ : « مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا : اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا ، وَيَقُولُ الْآخَرُ : اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلْفًا» (رواه البخاري) (خَلْفًا) : أَي : عَوْضًا . وَأَمَّا الدُّعَاءُ بِالتَّلْفِ فَيَحْتَمِلُ تَلْفَ ذَلِكَ الْمَالِ بَعِيْنِهِ ، أَوْ تَلْفَ نَفْسِ صَاحِبِ الْمَالِ .

■ تصدق وأخرج الزكاة قبل أن تُردَّ عليك :

عَنْ حَارِثَةَ بْنِ وَهَبٍ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ص يَقُولُ : « تَصَدَّقُوا فَإِنَّهُ يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ يَمْشِي الرَّجُلُ بِصِدْقَتِهِ فَلَا يَجِدُ مَنْ يَقْبَلُهَا ، يَقُولُ الرَّجُلُ : لَوْ حَسُنَتْ بِهَا بِالْأَمْسِ لَقَبِلْتُهَا ، فَأَمَّا الْيَوْمَ فَلَا حَاجَةَ لِي بِهَا» (رواه البخاري) . (يَقُولُ الرَّجُلُ) أَي الَّذِي يُرِيدُ الْمُتَصَدِّقُ أَنْ يُعْطِيَهُ إِيَّاهَا .

■ فضائل الصدقة :

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ تَأَنَّ النَّبِيَّ ص قَالَ : «أَيُّكُمْ مَالٌ وَارِثُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟» ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ .

قَالَ: «فَإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ ، وَمَالٌ وَارِثُهُ مَا آخَرَ». (رواه البخاري)
 قَوْلُهُ (أَيْكُمْ مَالٌ وَارِثُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ)
 أَيُّ أَنْ الَّذِي يَخْلُفُهُ الْإِنْسَانُ مِنَ الْمَالِ وَإِنْ كَانَ هُوَ فِي الْحَالِ مَنْسُوبًا إِلَيْهِ
 فَإِنَّهُ بِاعْتِبَارِ انْتِقَالِهِ إِلَى وَارِثِهِ يَكُونُ مَنْسُوبًا لِلْوَارِثِ ، فَنَسَبْتُهُ لِلْمَالِكِ فِي حَيَاتِهِ
 حَقِيقِيَّةً وَنَسَبْتُهُ لِلْوَارِثِ فِي حَيَاةِ الْمَوْرَثِ مَجَازِيَّةً وَمِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ حَقِيقِيَّةً.
 قَوْلُهُ (فَإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ) أَيُّ هُوَ الَّذِي يُضَافُ إِلَيْهِ فِي الْحَيَاةِ وَبَعْدَ الْمَوْتِ
 بِخِلَافِ الْمَالِ الَّذِي يَخْلُفُهُ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ تَقَال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدَلٍ نَمْرَةً مِنْ
 كَسْبٍ طَيِّبٍ - وَلَا يَقْبَلِ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ - فَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ ثُمَّ يَرْبِيهَا لِصَاحِبِهَا
 كَمَا يَرْبِي أَحَدَكُمْ فَلَوْهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ» (رواه البخاري ومسلم).
 (بِعَدَلٍ نَمْرَةً) أَيُّ بِقِيَمَتِهَا (فَلَوْهُ) الْفَلَوُ: هُوَ الْمُهْرُ.

وَقَالَ ص: «صَيَانِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعِ السُّوءِ ، وَصَدَقَةُ السِّرِّ تُطْفِئُ
 غَضَبَ الرَّبِّ ، وَصَلَةُ الرَّحِمِ تَزِيدُ فِي الْعُمْرِ». (حسن رواه الطبراني).

وَلَمْ أَرْ مِثْلَ جَمْعِ الْمَالِ دَاءً
 وَلَا مِثْلَ الْبُخِيلِ بِهِ مُصَابًا
 فَلَا تَفْتَلِكْ شَهْوَتَهُ وَزَنْهَا
 كَمَا تَزُنُّ الطَّعَامَ أَوْ الشَّرَابَا
 وَخَذْ لِنَبِيِّكَ وَالْأَيَّامِ دَخْرًا
 وَأَعْطِ اللَّهَ حِصْنَهُ احْتِسَانًا
 وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: «مَا يُخْرِجُ رَجُلًا شَيْئًا مِنَ الصَّدَقَةِ حَتَّى يَفُكَّ عَنْهَا
 لَحْيَيْ سَبْعِينَ شَيْطَانًا». (صحيح رواه الإمام أحمد)

فَإِنَّ الصَّدَقَةَ عَلَى وَجْهِهَا إِنَّمَا يَقْصِدُ بِهَا ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَالشَّيَاطِينِ
 بِصَدَدٍ مَنَعَ الْإِنْسَانَ مِنْ نَيْلِ هَذِهِ الدَّرَجَةِ الْعَظِيمَةِ فَلَا يَزَالُونَ يَأْبُونَ فِي صَدِّهِ عَنْ
 ذَلِكَ ، وَالنَّفْسُ لَهُمْ عَلَى الْإِنْسَانِ ظَهِيرَةٌ ؛ لِأَنَّ الْمَالَ شَفِيقُ الرُّوحِ ، فَإِذَا بَدَلَهُ فِي
 سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنَّمَا يَكُونُ بَرِّغَمَهُمْ جَمِيعًا ، وَلِهَذَا كَانَ ذَلِكَ أَقْوَى دَلِيلًا عَلَى اسْتِقَامَتِهِ
 وَصَدَقَ نَبِيُّهُ وَنُصُوحَ طُوبِيَتِهِ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ تَعَنْ رَسُولِ اللَّهِ ص قَالَ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ ،
 وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا ، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ» (رواه مسلم).
 (مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ) ذَكَرُوا فِيهِ وَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: مَعْنَاهُ أَنَّهُ يُبَارَكُ فِيهِ ، وَيَدْفَعُ عَنْهُ الْمَضَرَّاتِ ، فَيَنْجِبِرُ نَقْصُ
 الصُّورَةِ بِالْبِرِّكََةِ الْخَفِيَّةِ ، وَهَذَا مُدْرِكٌ بِالْحِسِّ وَالْعَادَةِ.
 وَالثَّانِي: أَنَّهُ وَإِنْ نَقَصَتْ صُورَتُهُ كَانَ فِي الثَّوَابِ الْمُرْتَبِّ عَلَيْهِ جَبْرٌ
 لِنَقْصِهِ ، وَزِيَادَةٌ إِلَى أضعافٍ كَثِيرَةٍ.

(وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا) فِيهِ أَيْضًا وَجْهَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ عَلَى
 ظَاهِرِهِ ، وَأَنَّ مَنْ عَرَفَ بِالْعَفْوِ وَالصَّفْحِ سَادَ وَعَظَّمَ فِي الْقُلُوبِ ، وَزَادَ عِزَّهُ
 وَإِكْرَامَهُ.

وَالثَّانِي: أَنَّ الْمُرَادَ أَحْرَهُ فِي الْأَخْرَةِ وَعِزَّهُ هُنَاكَ.
 (وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ). فِيهِ أَيْضًا وَجْهَانِ: أَحَدُهُمَا: يَرْفَعُهُ فِي
 الدُّنْيَا ، وَيُنِيبُ لَهُ بِتَوَاضُعِهِ فِي الْقُلُوبِ مَنزَلَةً ، وَيَرْفَعُهُ اللَّهُ عِنْدَ النَّاسِ ، وَيُجَلِّ
 مَكَانَهُ.

وَالثَّانِي: أَنَّ الْمُرَادَ ثَوَابَهُ فِي الْآخِرَةِ ، وَرَفَعَهُ فِيهَا بِتَوَاضُعِهِ فِي الدُّنْيَا. قَالَ الْعُلَمَاءُ : وَهَذِهِ الْأَوْجُهُ فِي الْأَلْفَاظِ الثَّلَاثَةِ مُوجُودَةٌ فِي الْعَادَةِ مَعْرُوفَةٌ ، وَقَدْ يَكُونُ الْمُرَادُ الْوَجْهَيْنِ مَعًا فِي جَمِيعِهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. ■ أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ:

عَنْ أَبِي أَبُو هُرَيْرَةَ تَقَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الصَّدَقَةِ أَكْبَرُ أَجْرًا؟

قَالَ: « أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَاحِبُ شَيْءٍ صَحِيحٍ ، تَخْشَى الْفَقْرَ وَتَأْمُلُ الْغِنَى ، وَلَا تُمَهِّلُ حَتَّى إِذَا بَلَغْتَ الْخُلُقُومَ قُلْتَ: لِفُلَانٍ كَذَا وَلِفُلَانٍ كَذَا ، وَقَدْ كَانَ لِفُلَانٍ » (رواه البخاري ومسلم)

مَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّ الشَّخَّ غَالِبٌ فِي حَالِ الصِّحَّةِ ، فَإِذَا شَخَّ فِيهَا وَتَصَدَّقَ كَانَ أَصْدَقَ فِي نِيَّتِهِ وَأَعْظَمَ لِأَجْرِهِ ، بِخِلَافِ مَنْ أَشْرَفَ عَلَى الْمَوْتِ وَأَيْسَرَ مِنَ الْحَيَاةِ وَرَأَى مَصِيرَ الْمَالِ لِغَيْرِهِ فَإِنَّ صَدَقَتَهُ حِينَئِذٍ نَاقِصَةٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى حَالَةِ الصِّحَّةِ ، وَالشَّخَّ رَجَاءُ الْبَقَاءِ وَخَوْفُ الْفَقْرِ.

(وَتَأْمُلُ الْغِنَى). بِضَمِّ الْمِيمِ أَيُّ تَطْمَعُ بِهِ. وَوَمَعْنَى (بَلَغْتَ الْخُلُقُومَ) : بَلَغْتَ الرُّوحَ ، وَالْمُرَادُ قَارَبْتَ بُلُوغَ الْخُلُقُومِ إِذْ لَوْ بَلَغْتَهُ حَقِيقَةً لَمْ تَصِحَّ وَصِيَّتُهُ وَلَا صَدَقَتُهُ وَلَا شَيْءٌ مِنْ تَصَرُّفَاتِهِ بِاتِّفَاقِ الْفُقَهَاءِ.

وَقَوْلُهُ ص: (لِفُلَانٍ كَذَا وَلِفُلَانٍ كَذَا وَقَدْ كَانَ لِفُلَانٍ) قَالَ الْخَطَّابِيُّ : الْمُرَادُ بِهِ الْوَارِثُ ، وَقَالَ غَيْرُهُ : الْمُرَادُ بِهِ سَبَقَ الْقَضَاءُ بِهِ لِلْمَوْصِي لَهُ ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى أَنَّهُ قَدْ خَرَجَ عَنْ تَصَرُّفِهِ وَكَمَالِ مَلِكِهِ وَاسْتِقْلَالِهِ بِمَا شَاءَ مِنَ التَّصَرُّفِ فَلَيْسَ لَهُ فِي وَصِيَّتِهِ كَبِيرُ ثَوَابِ النَّسْبَةِ إِلَى صَدَقَةِ الصَّاحِبِ الشَّيْخِ.

42-الامتحانات ، كل منا ممتحن (1)

■ شتان بين اهتمام واهتمام ، وبين امتحان وامتحان:
يخوض أبناؤنا وإخواننا ذكورا وإناثا غمار الامتحانات الدراسية ، وبهذه المناسبة تجذب القلوب ورجلة ، والأذهان قلقة ، والأذان تتلقف الأخبار عن الامتحان ، فلما تجد منزلا لم تُعلن فيه حالات الطوارئ ، كل أب ينتظر بصبر وعلى مضض نتيجة ابنه في هذا الامتحان ؛ لأنه يرجو له النجاح ، تراه يدعو الله بتوفيقه وتسديده وتثبيتته ، يعده ويمثيه إن نجح ، ويتوعده ويحذره ويهدده إن رسب ، وهذا إحساس من الأحاسيس التي فطر عليها البشر.

لكن أيها الأب الحنون وقد اهتمت بابنك هذا الاهتمام ، فأنت به الآن مشغول ، تسعى وتصول وتجول ، تهتم به وترعى ، وتحس أنك عنه مسؤول. فهلا كان الاهتمام بأخوته كالاتمام بديناه ، هلا كان الاهتمام به بعد موته كالاتمام براحته في حياته ، علمك وما علمك ، مسئوليتك وما مسئوليتك ، أحاطت بعلوم الدنيا فأهملت الأخرى الباقية ، شُغِغْتَ به في حياته ، وأهملتَه بعد مماته ، بنيتَ له بيتَ الطين والإسمنت في دنياه ، وحرمتَه بيت اللؤلؤ والياقوت والمرجان في أخراه.

نظرتك وما نظرتك ، طموحك ، أملاك ، غاية مُنَاكَ أن يكون طبيبا أو مهندسا أو طيارا. ويا الله كل الأمانى دنيوية! السعي والجد للفانية مع إهمال الباقية ، بعض الناس تأهبوا واستعدوا وعملوا على تربية أبناءهم أجسادا وعقولا ، وأهملوا تربية القلوب التي بها يحيون ويسعدون ، أو بها يشقون.
هذا هو الواقع ، وها هي الأدلة على ما نقول أيها الأب الحنون.

هب أن ابنه تأخر في نومه عن وقت الامتحان ، ما حالته ؟ ما شعوره ؟ ألا يسابق الزمن ليلحق الامتحان ؟ ألا ينام بعدها بنصف عين لكيلا يفوته الامتحان ؟ كان الجواب يقول : بلى. هل كان شعوره حين نام عن صلاة الفجر كشعوره حين نام عن امتحانه ؟

ألا يسأله كل يوم عن امتحانه ؟ ماذا عمل ؟ وبماذا أجاب ؟ وعسى أن يكون الجواب صحيحا. فهل سأله عن أمر دينه يوما ما ؟ ألا يضيق صدره ويعلو همُّه حين تعلم أن ابنه قصر في الإجابة ؟ فهل ضاق صدره حين قصر في سنن دينه وواجباته ؟

فما عساک فاعل أيها الأب الحنون في امتحان ليس له دور ثان ، ولا إعادة ؟ فقط نجاح أو رسوب ، والرسوب معناه الإقامة في النار أبد الأبدین ، معناه الخسران المبين ، والعذاب المهين ، ماذا تغني عنه شهادته ومركزه وماله إذا أوتى كتابه بشماله ، ثم صاح بأعلى صوته (يَا لَيْتَنِي لَمْ أَوْتِ كِتَابِيَه * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَه * يَا لَيْتَنهَا كَانَتِ الْقَاضِيَه * مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَه) (القيامة: 25-29).

(1) هذه الخطبة مقتبسة بتصرف من محاضرة للشيخ علي القرني بعنوان (كل منا ممتحن) ورسالة للدكتور ناصر العمر بعنوان (امتحان القلوب).

ما أغنى عني مركزي ، ما أغنى عني سلطاني ، ما أغنى عني علمي
الدنيوي وشهادتي. كل ذلك هلك واندثر ، هلك عني سلطاني (خُدُوهُ فَعَلُوهُ * تَمَّ
الْجَحِيمَ صَلْوُهُ) (القيامة:30-31) ، خسارة ورسوب ، وأي خسارة ، وأي
رسوب. تكون في الدنيا طبيباً أو مهندساً أو مُدرِّساً ، أما الآخرة فمؤمن وكافر ،
فريقان ؛ فريق في الجنة ، وفريق في السعير.

لا نقول: أهملوا أبناءكم ، لا والله ، بل نقول : إن الآخرة هي أولى
بالاهتمام ، وأجدر بالسعي ، وأحق بالعمل.
أيها الأحبة مَنْ منا حرص على جلب مرب لابنه يعلمه القرآن ويدارسه
السُّنة ، من منا أعطى لابنه جائزة يوم حفظ جزءاً من القرآن ، أو تعلم حديثاً
لخير بني الإنسان ص.

فماذا كانت نتيجة إهمالنا لأولادنا؟ النتيجة أن اتجه شبابنا إلى الملاعب
يوم نادى المنادي:«حي على الصلاة ، حي على الفلاح». النتيجة أن حل محل
المصحف مجلة ، ومحل السواك سيجارة.

أيها الآباء وأنتم تعدون أبناءكم للامتحان اتقوا الله فيهم ، اعلّموا وعلّموهم
أن سلعة الله أغلى وأعلى. علّموهم أن الامتحان والنجاح بقصر النفس على ما
يرضي الله ، علّموهم أن السعادة في تقوى الله ، واعلموا أنتم أنه لن ينصرف
أحد من الموقف وله عند أحد مظلمة. يفرح ابنك أن يجد عندك مظلمة ، تفرح
زوجتك أن تجد عندك مظلمة ، يأتي ابنك يقف يحاجك بين يدي الله قائلاً : يا
رب سل أبي لم ضيعني عن العمل لما يرضيك ، ورباني كالبهيمة ، ما يكون
جوابك أيها الأب الحنون ؟ أعدّ للسؤال جواباً.

إن ابناً بنينا جسداً حريئاً بنا أن نربي عقله وقلبه ، ونهتم بحياته بعد موته
، وأول خطوة إلى ذلك أن نصلح أنفسنا ؛ ففي صلاحنا وبصلاحنا تكون
استقامتهم ، ورعاية الله لهم ، قال تعالى: (وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا) (الكهف:82)
وثانيها : أن نجعل التربية الإسلامية غاية وهدفاً ، لا مانع من تعلّم
العلوم الدنيوية ، ولكن ليس على حساب الاهتمام بالآخرة. (وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ
الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا) (القصص:77)
فيا عبد الله اتق الله في رعيتك ؛ فأنت عنهم مسئول أمام الله. اتق الله أن
يستأنك الله عليهم فتشرع لهم أبواب الفتن ؛ من أفلام وأجهزة خبيثة عديدة ،
ومجلات فاتنة صفيقة.

يا عبد الله يوم تهتم هذا الاهتمام المادي بابنك يصبح ابنك مركزاً كل همّه
في ثوبه ومسكنه ومأكله ومشربه وسيارته. جزاك الله خيراً على اهتمامك به
مادياً ، لكن ماذا فعلت لتؤنسه في وحدته ، إذا ما دفنته في التراب ما أنت صانع
بشهادته ؟ قد يرسب الآن في مادة أو مادتين ، قد ينجح فيهما غداً أو بعد غد ،
والمجال مفتوح للتعويض ، لكن لا تعويض في الآخرة.
يا عبد الله يوم غد ليس مضموناً ، قد تسعى وتتعب وتزرع فلا تحصد ،
قد تدرس وتختبر فلا تدرك النتيجة ، أما وقد بلغت الرسالة فقد وجب الامتحان
ووجبت النتيجة.

يا أيها الأب الحنون أدعوك إلى التأمل في وصية لقمان لابنه الذي يحبه ، ويفتديه بالغالي والنفيس. هل أوصاه بدنيا ؟ هل أوصاه بزخرف ؟ لا ، بل دعاه لما يحبيه حياة طيبة ، وينجيه من العذاب الأليم ، نهاه أن يشرك بالله (إن الشُّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) (لقمان:13). وأخبره أن الله محيط بكل شيء ، لا يعجزه شيء.

ودلّه على ما ينجيه من الله ؛ ألا هو الهرب منه إليه لأ بإقامة الصلاة ، بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، بصبر على ما يصيبه من جرّاء ذلك ، ثم دلّه على مكارم الأخلاق التي تسمو بها نفسه ، ويلعب بها مركزه. فلا تكبر على الخلق ، ولا ذلة مع قصد في المشية ، وخفض في الصوت (إن أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ) (لقمان:19). تلك يا عبد الله جملة وصية الأب الحنون حقًا. فهل رجعنا إلى القرآن ، فقرأنا هذه الوصايا ، فعملنا بهذه الوصية مع ابنائنا؟ هل أوصيناهم ببعضها أو بها جميعها!!

■ الدنيا دار امتحان:

أخبر تعالى أنه جعل الدنيا دارًا فانية مزيّنة بزينة زائلة. وإنما جعلها دار إختبار لا دار قرار ، فقال: (إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) (الكهف:7).

وعن أبي سعيد الخدريّ عن النبيّ ص قال: « إِنَّ الدُّنْيَا حُلُوءَةٌ خَضِرَةٌ ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ ؛ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةٍ بَنَى إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ » (رواه مسلم). ويقول الله لأ: (هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئًا مذكورًا * إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا * إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا) (الإنسان:1-3).

يقول تعالى مخبرًا عن الإنسان أنه أوجده بعد أن لم يكن شيئًا يذكر لجقارته وضعفه ، فقال: (هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئًا مذكورًا) ؟

ثم بين ذلك فقال: (إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ) أي:أخلاق.

والمشج والمشيح: الشيء الخليط ، بعضه في بعض. (من نطفة أمشاج) يعني: ماء الرجل وماء المرأة إذا اجتمعا واختلطا ، ثم ينتقل بعد من طور إلى طور ، وحال إلى حال ، ولون إلى لون. (نَبْتَلِيهِ) أي: نختبره. (فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا) أي: جعلنا له سمعًا وبصرًا يتمكن بهما من الطاعة والمعصية.

(إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ) أي: بينا له طريق الخير وطريق الشر. (إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا) فهو في ذلك إما شقي وإما سعيد ، كما جاء في الحديث الذي رواه مسلم عن أبي مالك الأشعريّ قال: قال رسول الله ص: «كُلُّ النَّاسِ يَعْدُو فَبَايَعُ نَفْسَهُ فَمُعْتَقُهَا أَوْ مُؤَبِّقُهَا» (رواه مسلم).

■ الأولاد امتحان:

قال الله لأ: (وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ) (الأنفال:28). أي: اختبار وامتحان منه لكم ؛ إذ أعطاكموها ليعلم أتشكرونه عليها وتطيعونه فيها ، أو تشتغلون بها عنه ، وتعتاضون بها منه؟

(وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ) أي: ثوابه وعطاؤه وجناته خير لكم من الأموال والأولاد ، فإنه قد يوجد منهم عدو ، وأكثرهم لا يغني عنك شيئاً ، والله ، سبحانه ، هو المتصرف المالك للدنيا والآخرة ، ولديه الثواب الجزيل يوم القيامة.

وقال ص: «إِنَّ الْوَالِدَ مَبْخَلَةٌ مَجْبَنَةٌ مَجْهَلَةٌ مَحْزَنَةٌ». (صحيح رواه الحاكم والطبراني)

(إِنَّ الْوَالِدَ مَبْخَلَةٌ) بالمال عن إنفاقه في وجوه القرب خوف فقره .
(مَجْبَنَةٌ) يجبن أباه عن الهجرة والجهاد خشية ضيعته .
(مَجْهَلَةٌ) لكونه يحمل على ترك الرحلة في طلب العلم والجد في تحصيله
لاهتمامه بتحصيل المال له .

(مَحْزَنَةٌ) يحمل أBOيه على كثرة الحزن لكونه إن مرض حَزَنًا وإن طلب شيئاً لا قدرة لهما عليه حَزَنًا ، فأكثر ما يفوت أBOيه من الفلاح والصلاح بسببه ، فإن شب وعق فذلك الحزن الدائم والهم السرمدي اللازم .
فالحذر على الولد يكسب هذه الأوصاف ويحدث هذه الأخلاق ، فكأنه أشار إلى التحذير من النكول عن الجهاد والنفقة ، وطلب العلم بسبب الأولاد .

■ الناس بعضهم لبعض فتنة وامتحان:
قال الله لأ: (وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ) أي: اختبرنا بعضكم ببعض ، وبلونا بعضكم ببعض ، لنعلم مَنْ يُطِيعُ مَنْ يَعْصِي؛ فالرسول فتنة للمرسَل إليهم واختبار للمطيعين من العاصين ، والرسل فتناهم بدعوة الخلق ، والغنى فتنة للفقير والفقير فتنة للغني ، وهكذا سائر أصناف الخلق في هذه الدار ، دار الفتن والابتلاء والاختبار .

والفصد من تلك الفتنة (أَتَصْبِرُونَ) فتقومون بما هو وظيفتكم اللازمة الراتبه فيثيبكم مولاكم أم لا تصبرون فتستحقون المعاقبة؟
(وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا) يعلم أحوالكم ، ويصطفي من يعلمه يصلح لرسالته ويختصه بتفضيله ويعلم أعمالكم فيجازيكم عليها إن خيرًا فخير ، وإن شرًا فشر .

■ الشر والخير فتنة وامتحان:
قال الله لأ: (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُوكُمْ بِالْأَشْرِّ وَالْأَخْيَرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) (الأنبياء: 35).

(كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ) وهذا يشمل سائر نفوس الخلائق ، وإن هذا كأس لا بد من شربه وإن طال بالعبد المدى ، وعمّر سنين ، ولكن الله تعالى أوجد عباده في الدنيا ، وأمرهم ، ونهاهم ، وابتلاهم بالخير والشر ، بالغنى والفقر ، والعز والذل ، والحياة والموت ، فتنة منه تعالى ليبلوهم أيهم أحسن عملاً ، ومن يفتنن عند مواقع الفتن ومن ينجو ، (وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) فنجازيكم بأعمالكم ، إن خيرًا فخير ، وإن شرًا فشر (وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ) .

■ عباد الله كلنا في امتحان :
فبين راسب وناجح ، والمادة هي لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، بين عامل بمقتضاها قائم بآركانها وشروطها وواجباتها ، قالها موقنا محبًا منقادًا مستسلمًا ، صدّقها قلبه ، وعملت جوارحه بها ، فهو الناجح ، وأي نجاح ! وآخر

قالها بلسانه وما صدقها بالعمل ، فهو الراسب المنافق. وآخر لم ينطقها ، فإلى جهنم وبئس القرار.

■ الأسئلة تترد صباح مساء :

هل صليت وصمت لله يا عبد الله ؟ هل أطعت الله ورسوله ؟ هل تحب الخير وأهله ؟ هذه أسئلة ، أسئلة تتردد على مسامعكم ، هل تبغض الشر وأهله ؟ هل تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ هل تحب للناس ما تحب لنفسك ؟ هل سلّمت أعراض المسلمين من لسانك ؟ هل يطمئن قلبك بذكر الله ؟ هل يتعلق قلبك بالله في الشدة والرخاء ؟ هل نزهت أذنك عن سماع ما يغضب الله ؟ هل غضبت بصرک عن محارم الله ؟ هل غضبت لله ؟ هل أحببت في الله ؟ هل أبغضت في الله ؟ هل أعطيت الله ، ومنعت الله ؟ هل استسلمت لأمر الله ؟ هل استسلمت لأمره يوم يأمرک بالحجاب فحجبت أهل بيتك إمتثالاً لقول الله : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ) ؟

الأسئلة كثيرة تترد عليك صباح مساء ، إن كان الجواب بنعم فانت من الناجحين الفائزين بإذن رب العالمين ، وإن كان الجواب بلا فعد إلى الله ما دمت في زمن الإهمال ، واندم واقلع ورد المظالم لأهلها قبل وضع الميزان ، وتطايير الصحف ، وعبور الصراط يوم ينسى الخليل خليله ، والصاحب صاحبه ، وكل يقول: نفسي نفسي ، والرسول تقول : اللهم سلم سلم.

أيها الممتحن . وكلنا ممتحن - تذكر وقوفك لاستلام النتيجة ، يوم يوقف العبد بين كفتي الميزان ، فإن ثقل ميزانه يطرب ويفرح ويقول : (هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهِ) وإن خف ميزانه فذاك هو الرسوب. عندها يقول : (يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتِ كِتَابِيهِ) .

مُستوحشاً قَلِقَ الأحشَاءِ

مَثَلٌ وَفَوْقَكَ يَوْمَ العَرَضِ عُرْيَانَا

حَيْرَانَا

على العصاة وربُّ العرش

النَّارُ تَلْهَبُ مِنْ غِيظٍ وَمِنْ حَنَقٍ

غَضْبَانَا

فهل ترى فيه حرقاً غيرَ مَا

اقْرَأْ كِتَابَكَ يَا عَبْدُ عَلَى مَهَلٍ

كَانَا

إِقْرَارَ مَنْ عَرَفَ الأشياءَ

فلما قرأت ولم تُنكرْ قراءتَهُ

عِرْفَانَا

وأمضوا بعبدٍ عصى - للنار -

نادى الجليلُ خذوه يا ملائكتي

عَطْشَانَا

المشركون غداً في النار تلتهب

بأي لسان نجيب حين يُسأل عن عملنا القبيح؟

بأي لسان تجيب يوم يُسأل يا أيها الممتحن عن عمرک فيما أفنيتہ وشبابک فيما أبليتہ ومالك من أين اكتسبتہ و فيما أنفقتہ وعن علمک ماذا عملت فيه؟

عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى قَالَ: « لَا تَرُؤُلُ قَدَمَ ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ : عَنْ عَمْرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ

، وَمَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ ، وَفِيمَ أَنْفَقَهُ ، وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ» (حسن رواه الترمذي).

(فِيمَا أَفْنَاهُ) أَي صَرَفَهُ (وَعَنْ شَبَابِهِ) أَي قُوَّتِهِ فِي وَسْطِ عُمُرِهِ (فِيمَا أَبْلَاهُ) أَي ضَيَعَهُ. وَ الْمُرَادُ سُؤَالُهُ عَنْ قُوَّتِهِ وَرَمَانِهِ الَّذِي يَتِمَكَّنُ مِنْهُ عَلَى أَقْوَى الْعِبَادَةِ.

(وَ عَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ) أَي أَيْنَ حَرَامٍ أَوْ حَلَالٍ ؟
(وَفِيمَا أَنْفَقَهُ) أَي فِي طَاعَةٍ أَوْ مَعْصِيَةٍ

بأي قدم تقف غداً بين يديه بأي عين تنظر إليه بأي قلب تجيب عليه ؟
كيف بك إن شقيت؟ فيا أيها الممتحنون غداً - وكلنا ممتحن - لمثل هذه
المواقف فأعدوا وتذكروا بامتحان الدنيا وقوفكم بين يدي المولى إذ تعدوا وأعدوا
وتزودوا وخير الزاد التقوى.

ولیکن لسان حال كل منا لنفسه:

وتشقى إذ يُناديك المنادي
ولا زجرٌ كأنك من جمادٍ
وكن مُتَقِظًا قَبْلَ الرُّقَادِ
فإنَّ الموتَ ميقاتُ العبادِ
لهم زادٌ وأنتَ بغيرِ زادٍ
جدٌ واتعبَ أيها الطالبُ وانصبِ فوالذي نفسي بيده لن تجدَ طعمَ الراحةِ إلا
عند أولِ قدمِ تضعها في الجنةِ.
فانتبه من رَقْدَةٍ
واطرخ (سوف) و(حتى)
■ امتحان القلوب:

قلوبنا - أيها الأخوة - ممتحنة صباح مساء ، تمتحن في كل لحظة من
لحظات حياتنا ، فهل نحن منتبهون لهذا ، فغلطة واحدة قد تؤدي بحياة هذا القلب
، وتحبط ذلك العمل

قال لأ: (وَلِيُبَيِّنَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
بِدَاتِ الصُّدُورِ) (آل عمران: 154)
وقال: (أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ)
(سورة الحجرات ، الآية: 3).

فمن هؤلاء الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى؟

هذه الآية نزلت في الصحابييين الجليلين أبي بكر الصديق وعمر بن
الخطاب ب عندما رفعا صوتيهما عند رسول الله ص فقد روى البخاري عن
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ت أَنَّهُ قَالَ: « قَدِمَ رَكْبٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ عَلَى النَّبِيِّ ص فَقَالَ أَبُو
بَكْرٍ: أَمْرُ الْقَعْقَاعِ بْنِ مَعْبُدِ بْنِ زُرَّارَةَ ، قَالَ عُمَرُ: بَلِ أَمْرُ الْأَفْرَعِ بْنِ حَابِسٍ ، قَالَ
أَبُو بَكْرٍ: مَا أَرَدْتُ إِلَّا خَلَافِي ، قَالَ عُمَرُ: مَا أَرَدْتُ خِلَافَكَ ، فَتَمَارَيْتَا حَتَّى
ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا فَنَزَلَ فِي ذَلِكَ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا) حَتَّى
انْقَضَتْ».

نعم! لا مجاملة في هذا الدين (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ) ثم ماذا؟ (أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ) (سورة الحجرات ، الآية: 2).

سبحان الله! موقف في نظر الكثيرين لا يستحق من الذي يهدد في هذه الآية؟ أبو بكر الذي قال فيه الرسول ص: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ» (رواه البخاري ومسلم).
وعمرت الذي قال فيه الرسول ص: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقِيكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجَا إِلَّا سَلَّكَ فَجَا غَيْرَ فَحَكَّ» (رواه البخاري ومسلم).
لكنهما ب تابا ، وأنايا ، وأستغفرا ، قَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ: فَكَانَ عُمَرُ بَعْدَ إِذَا حَدَّثَ النَّبِيَّ ص بِحَدِيثِ حَدَّثَهُ كَأَخِي السِّرَّارِ لَمْ يُسْمِعْهُ حَتَّى يَسْتَفْهَمَهُ» (رواه البخاري).

(السِّرَّارِ) أَي الْكَلَامِ السِّرِّ ، (كَأَخِي السِّرَّارِ) كَصَاحِبِ السِّرَّارِ ، وَالْمَعْنَى كَالْمُنَاجِي سِرًّا. (لَا يَسْمَعُهُ حَتَّى يَسْتَفْهَمَهُ) أَي يَخْفِضُ صَوْتَهُ وَيُبَالِغُ حَتَّى يَحْتَاجَ إِلَى اسْتَفْهَامِهِ عَنْ بَعْضِ كَلَامِهِ.

هنا خرجت النتيجة: (أَوْلَيْكَ الَّذِينَ آمَنُوا اللَّهُ قُلُوبُهُمُ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ) (الحجرات: 3). أي أخلص قلوبهم للتقوى ، حتى أصبحت لا تصلح إلا له. والمراد أخلصها للتقوى ، أي جعلها خالصة لأجل التقوى ، أو أخلصها لها فلم يبق لغير التقوى فيها حق ، كأن القلوب خلصت ملكًا للتقوى.

موقف واحد يسير في نظرنا لرجلين هما أفضل أمة محمد ، ص وامتحان يسير لغفلة بدرت منها. ولكن! ماذا نقول عن أحوالنا؟ كم من امتحان رسبنا فيه ونحن لا نشعر.

وهنا سرٌ بديع في هذه الآية: (وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ) (الحجرات: 2). لأنه قد يحبط عمل الإنسان وهو لا يشعر ، فهو لا يتصور أن يحبط عمله بذلك العمل ، أو لا يلقي لعمله بالأوكم من عمل أو كلمة أودت بصاحبها وهو لا يشعر.
وإذا كان رفع الصوت عند رسول الله ، ص كاد أن يحبط عمل أبي بكر وعمر ب فما سيكون حال من يرفع صوته فوق صوت الحق؟ أولئك الذين يقدمون شريعة البشر على شريعة الله ، أولئك الذين يعادون ويوالون في سبيل الشيطان.

ولنتأمل هذا الحديث العظيم الذي رواه حذيفة بن اليمان ت قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص يَقُولُ: «تُعْرِضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُوْدًا عُوْدًا ، فَأَيُّ قَلْبٍ أَشْرَبَهَا نَكَتَ فِيهِ نَكْتَةٌ سَوْدَاءٌ ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكْتَةٌ بَيْضَاءٌ حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ: عَلَى أَبْيَضٍ مِثْلِ الْبَصْفَا ؛ فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ، وَالْآخِرُ أَسْوَدٌ مُرْبَادًا كَالْكُوزِ مُجْحِيًا ، لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يَنْكُرُ مُنْكَرًا إِلَّا مَا أَشْرَبَ مِنْ هَوَاهُ» (رواه مسلم).

وَمَعْنَى (تُعْرِضُ) أَنَّهَا تُلْصِقُ بَعْضُ الْقُلُوبِ أَي جَانِبِهَا كَمَا يُلْصِقُ الْحَصِيرُ بَجَنْبِ النَّائِمِ ، وَيؤْثِرُ فِيهِ شِدَّةُ التَّصَاقُفِ بِه.
وَمَعْنَى (عُوْدًا عُوْدًا) أَي تَعَادُ وَتُكْرَرُ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ.
(كَالْحَصِيرِ) أَي كَمَا يَنْسُجُ الْحَصِيرُ عُوْدًا عُوْدًا وَسَطِيئَةً بَعْدَ أُخْرَى.

وَذَلِكَ أَنَّ نَاسِجَ الْحَصِيرِ عِنْدَ الْعَرَبِ كُلَّمَا صَنَعَ عُوْدًا أَحَدًا آخَرَ وَنَسَجَهُ فَشَبَّهَ عَرَضَ الْفِتَنِ عَلَى الْقُلُوبِ وَاحِدَةً بَعْدَ أُخْرَى بِعَرَضِ قَضْبَانِ الْحَصِيرِ عَلَى صَانِعِهَا وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ.

مَعْنَى (أَشْرَبَهَا) دَخَلْتُ فِيهِ دُخُولًا تَامًا وَأَلْزَمَهَا وَحَلَّتْ مِنْهُ مَحَلَّ الشَّرَابِ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعَجَلَ) أَي حَبَّ الْعَجَلِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: ثُوبٌ مُشْرَبٌ بِجُمْرَةٍ: أَي خَالَطَتْهُ الْحُمْرَةُ مُخَالَطَةً لَا إِنْفِكَاءَ لَهَا. وَمَعْنَى (نَكَتَ نَكْتَةً): نَقَطَ نَقْطَةً وَمَعْنَى (أَنْكَرَهَا) رَدَّهَا.

وَقَوْلُهُ ص: «حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ عَلَى أَيْبُضٍ مِثْلَ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالْآخِرُ أَسْوَدَ مَرْبَادًا كَالْكُوزِ مُجَجِيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلَّا مَا أَشْرَبَ مِنْ هَوَاهُ».

لَيْسَ تَشْبِيهِهِ بِالصَّفَا بَيِّنًا لِتَبَايُضِهِ لَكِنْ صِفَةً أُخْرَى لِشِدَّتِهِ عَلَى عَقْدِ الْإِيمَانِ وَسِلَامَتِهِ مِنَ الْخَلَلِ، وَأَنَّ الْفِتْنَ لَمْ تَلْصَقْ بِهِ، وَلَمْ تُؤْثِرْ فِيهِ كَالصَّفَا وَهُوَ الْحَجَرُ الْأَمْلَسُ الَّذِي لَا يَغْلُقُ بِهِ شَيْءٌ.

(مَرْبَادًا) أَي: شَدِيدَ السَّوَادِ فِي بِيَاضٍ. وَلَيْسَ قَوْلُهُ (كَالْكُوزِ مُجَجِيًا) تَشْبِيهًِا لِسَوَادِهِ بَلْ هُوَ وَصْفٌ آخَرٌ مِنْ أَوْصَافِهِ بِأَنَّهُ قَلْبٌ وَنَكِسٌ حَتَّى لَا يَغْلُقُ بِهِ خَيْرٌ وَلَا حِكْمَةٌ. وَمِثْلُهُ بِالْكُوزِ الْمُجَجِي وَبَيِّنُهُ بِقَوْلِهِ لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا.

شَبَّهَ الْقَلْبَ الَّذِي لَا يَعِي خَيْرًا بِالْكُوزِ الْمُنْجَرَفِ الَّذِي لَا يَنْتَبِتُ الْمَاءُ فِيهِ. وَمَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا تَبِعَ هَوَاهُ وَارْتَكَبَ الْمَعَاصِيَ دَخَلَ قَلْبَهُ بِكُلِّ مَعْصِيَةٍ يَتَعَاظَاهَا ظَلْمَةً، وَإِذَا صَارَ كَذَلِكَ أَفْتِنَ وَزَالَ عَنْهُ نُورُ الْإِسْلَامِ. وَالْقَلْبُ مِثْلُ الْكُوزِ فَإِذَا انْكَبَّ انْصَبَّ مَا فِيهِ وَلَمْ يَدْخُلْهُ شَيْءٌ بَعْدَ ذَلِكَ.

وَفِي الْحَدِيثِ التَّعْبِيرُ بِالْفِعْلِ الْمَضَارِعِ (تَعَرَّضُ) ، وَهُوَ هُنَا يَدُلُّ عَلَى اسْتِمْرَارِ الْبَلَاءِ وَالْإِمْتِحَانِ: كَمَا أَنَّ هَذِهِ الْفِتْنَ لَا تَأْتِي دَفْعَةً وَاحِدَةً، وَإِنَّمَا شَيْئًا فَشَيْئًا حَتَّى يَصْبِحَ الْقَلْبُ أَسْوَدَ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - أَوْ يَسْلَمَهُ اللَّهُ فَيَنْجِحُ فِي الْإِمْتِحَانِ فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ.

وَهَذِهِ الدَّعْوَةُ الرِّبَانِيَّةُ لِلْمُؤْمِنِينَ مُتَضَمِّنَةٌ تَحْذِيرًا مُخِيفًا: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) (سُورَةُ الْأَنْفَالِ، آيَةُ: 24).

يَأْمُرُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا يَقْتَضِيهِ الْإِيمَانُ مِنْهُمْ وَهُوَ الِاسْتِجَابَةُ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ص، أَي: الْإِنْقِيَادَ لِمَا أَمَرَ بِهِ وَالْمُبَادَرَةَ إِلَى ذَلِكَ وَالدَّعْوَةَ إِلَيْهِ، وَالِاجْتِنَابَ لِمَا نَهَى عَنْهُ، وَالِانْكَافَافَ عَنْهُ وَالنَّهْيَ عَنْهُ.

وَقَوْلُهُ لِأ: (إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ) وَصَفَ مَلَاذِمَ كُلِّ مَا دَعَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَيْهِ، وَبَيَّنَ لِفَائِدَتِهِ وَحِكْمَتَهُ، فَإِنَّ حَيَاةَ الْقَلْبِ وَالرُّوحَ بِعِبُودِيَّةِ اللَّهِ لَا وَلِزُومِ طَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ص عَلَى الدَّوَامِ.

ثُمَّ حَذَرَ عَنِ عَدَمِ الِاسْتِجَابَةِ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ فَقَالَ: (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ) (فَيَأْتِيكُمْ أَنْ تَرُدُّوا أَمْرَ اللَّهِ أَوَّلَ مَا يَأْتِيكُمْ، فَيَحَالُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ إِذَا أَرَدْتُمُوهُ بَعْدَ ذَلِكَ، وَتَخْتَلِفُ قُلُوبِكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ، يَقْلِبُ الْقُلُوبَ حَيْثُ شَاءَ وَيَصْرِفُهَا أُنَى شَاءَ).

فَلْيُكْثِرِ الْعَبْدُ مِنْ قَوْلِ: يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ، يَا مُصْرِفَ الْقُلُوبِ، أَصْرِفْ قَلْبِي إِلَى طَاعَتِكَ. نَسَأَلُ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - أَنْ يُوَفِّقَنَا وَيُعِينَنَا

على الاستجابة لله وللرسول ، وأن يحيى قلوبنا ، وألا يحال بيننا وبين قلوبنا بمعاصينا ، إنه ولي ذلك والقادر عليه.
■ مواطن امتحان القلوب:

كثير من الناس يتصور أن القلب إنما يمتحن بالشهوات والمعاصي ، ولكن هذا من المواطن التي يمتحن فيها القلب ، والله لأ يقول: (وَبَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً) (الأنبياء: 35) فمن المواطن التي يمتحن فيها القلب :

1- العبادة: فالعبادة مثل: الصلاة والصدقة والصيام والحج وغيرها موضع امتحان وابتلاء ، ففيها ابتلاء في تحقيق الإخلاص لله ، وعدم مراعاة الناس بها ، يقول الله لأ: (وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَثُورًا) (الفرقان: 23).

وفي العبادة ابتلاء بتصحيحها ، وأدائها كما جاءت عن النبي ص ، وابتلاء بتحقيق التقوى فيها ، يقول لأ (وَلَكِنْ يَبْتَغِيهِ النَّفْسُ مِنَكَ) (الحج: 37). وهذا جزء يسير من الابتلاء الذي يحدث في هذا الوطن.

2- العلم: وهذا موطن خصب لامتحان القلوب ، وكم فشل أناس في هذا الامتحان ، فطائفة طلبوا العلم لله ، ثم تحولت النية إلى الشهوة الخفية ، حب الرئاسة ، الشهرة ، التصدر ، التعالي على الأقران ، المرء والجدل ، القدح في الخصوم . وغيرها.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: «مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا لَمْ يَجِدْ عَرَفَ الْجَنَّةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » بِغَيْرِ رِيحٍ . (صحيح رواه أبو داود)
(مِمَّا يُبْتَغَى) : أَي مِمَّا يُطَلَبُ . (إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ) : أَي لِيَنَالَ وَيُحَصِّلَ بِذَلِكَ الْعِلْمَ .

(عَرَضًا) أَي حِطًّا مَالًا أَوْ جَاهًا
(عَرَفَ الْجَنَّةَ) : الرَّائِحَةُ مُبَالِغَةٌ فِي تَحْرِيمِ الْجَنَّةِ لِأَنَّ مَنْ لَمْ يَجِدْ رِيحَ الشَّيْءِ لَا يَتَنَاوَلُهُ قَطْعًا ، وَهَذَا مَحْمُولٌ عَلَى أَنَّهُ يَسْتَحِقُّ أَنَّهُ لَا يَدْخُلَ أَوْلًا ثُمَّ أَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى كَأَمْرِ أَصْحَابِ الذُّنُوبِ كُلِّهِمْ إِذَا مَاتَ عَلَى الْإِيمَانِ .
3- الدعوة:

وهذا المجال من أشد مجالات امتحان القلوب . وأصحاب الدعوة المشتغلون بها من أشد الناس معاناة لهذا الامتحان . فشهوة توجيه الآخرين ، والشهرة ، والتعالي على الخلق كلها امتحانات قد تجعل الدعوة وبالاً على صاحبها - والعياذ بالله - وفتنة النكوص عن الدعوة ، أو توجيهها إلى غير رضَى الله داء عضال.

4- الخلاف والجدل:

وهو مرتع من مراتع الشيطان . ومزرعة من مزارعه ، ولذلك نبهنا الله جل وعلا إلى الأسلوب الأمثل في المجادلة فقال: (وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) (النحل: 125) . ولأنه قد يكون الباعث للجدال هو الانتصار للحق ، ثم يتحول إلى انتصار للنفس ، وهنا مكمن الداء قال لأ: (وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) (العنكبوت: 46).

5- الشهوات: وإنما آخرتها قصدا ؛ لأن كثيرا من الناس يقصر امتحان القلوب على الشهوات: المال ، والمركب ، والنساء ، والبنين ، والبنيان ، وهذه لا شك أنها فتنة وابتلاء (إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ) (التغابن: 15) وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ تَعْنِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا لِيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ؛ فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النَّسَاءَ ؛ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةٍ بَنَى إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النَّسَاءِ ». (رواه مسلم).

6- الشبهات والفتن: وهما مجال رحب من مجالات مرض القلب وسبب لكثير من العلل.

7- الرياسة والمناصب: فكم تغيرت من نفوس ، وتباغضت من قلوب بسبب هذا الموطن الذي قل أن يسلم منه أحد ، فالحسد والغيرة والحقد والغل أمراض مبعثها هذا الأمر في غالب الأحوال والأحيان.

8- النسب والحسب والجاه: وهو أرض مثمرة لأمراض القلوب وأدوائه ، فالتعالي والتفاخر والكبر وغيرها من أمراض القلوب تنطلق من هذه الأرض ، ففيها تنبت ومنها تثمر.

■ أخيار امتحنوا فنجحوا:

عباد الله ولنا في سير الأخيار عظات وعبر ، لقد امتحنوا فنجحوا وتفوقوا.

فتشبهوا بهم إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالكرام فلاح
 امتحن إبراهيم ؛ بذبح ابنه إسماعيل فنجح ، وامتحن إسماعيل ؛ بأمر أبيه فنجح (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ الْبِسْعَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَبْدِئُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ) (الصفافات: 102-107)

وامتحن يوسف ؛ بامرأة العزيز فنجح (وَرَأَوْنَاهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْت لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ * وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ) (يوسف: 23-24).
 وفضل السجن على معصية الله لأ (قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ) (يوسف: 33).

وها هو عمر بن عبد العزيز/ يعود يوماً بعد صلاة العشاء إلى داره - وهو خليفة المسلمين ، ميزانية الأمة بين يديه - يلمح بناته الصغار ، فيسلم عليهن كعادته ، وكن يسارعن إلى تقبيله ، لكنهن هربن هذه المرة ، وهن يغطين أفواههن ، فقال لزوجته: ما شأنهن ؟ قالت: «لم يكن لديهن ما يتعش َين به سوى عدس وبصل ، فكرِهَ أن تشم من أفواههن رائحة البصل».

فبكى وأجهش بالبكاء وهو يئن تحت وطأة المسؤولية ، ميزانية الأمة تحت يديه ، يقول: «يا بنياتي أينفعكن أن تتعشين أطيب الطعام والشراب ، وتكتسين أجمل الثياب من مال الأمة ، ثم يؤمر بأبيكن إلى النار ؟».

قلن: «لا ، لا ، لا ، ثم اندفعن يبيكن. فلا والله لا تسمع في البيت إلا الحنين والأنين».

* لما حَلَّتْ به سكرات الموت / دخل عليه (مسلمة) وقال : «لقد تركت أبناءك فقراء جوعى فأوص بهم إليّ أو إلى أحد من أهل بيتك ، وكان مُضْجَعًا قال: أسندوني ، ثم صرخ : «والله ما منعت أبنائي حقًا لهم ، والله لن أعطيهم ما ليس لهم ، أما أن أوصي بهم إليك أو إلى غيرك فلا ، إن وصيَّ ووليَّ فيهم الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين ، إن بنى أحد رجلين ؛ إما رجل يتقى الله فسيجعل الله له مخرجًا ، ويرزقه من حيث لا يحتسب ، وإما رجل مكب على المعاصي فوالله لم أكن لأقويه على معصية الله.»

ثم طلب جميع أولاده وهم بضعة عشر فاجتمعوا ، فنظر إليهم ، ثم ذرفت عيناه دموعًا حَرَّى ، وقال: «أفديكم بنفسي أيها الفتية الذين تركتكم فقراء لا شيء لهم ، يا بني إن أباكم خَيْرٌ بين أن تستغنوا ويدخل النار ، أو تفتقروا ويدخل الجنة ، فكان أن تفتقروا ويدخل الجنة أحب إليه من أن تستغنوا ويدخل النار ، إن وليي فيكم الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين ، ثم تلا قوله تعالى: «تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين» .»

فودعهم وعزاهم بهذا ، وأوصاهم بهذا الكلام ثم قال: «انصرفوا عصمكم الله وأحسن الخلافة عليكم.»

قال الراوي: فلقد رأينا بعض أولاد عمر بن عبد العزيز يحمل على ثمانين فرس في سبيل الله ، لأن عمر وكل ولده إلى الله لأ.

ها هي رسالة امتحان ، تأتي لصالح الدين من أحد المسلمين على لسان المسجد الأقصى الأسير في يد الصليبيين يوم ذاك ، واليهود اليوم مع الصليبيين ، تقول الرسالة وهي امتحان واختبار لصالح الدين :

يا أيها الملك الذي
جاءت إليك ظلامه
كل المساجد طهرت
لمعالم الصلبان نكس
تسعى من البيت المقدس
وأنا - على شرفي - منجس

امتحان لصالح الدين قام لصالح الدين فيه يصوم نهاره ، ويقوم ليله ، ويشد همم الأمة الإسلامية ، ويصدر أوامره ألا يضحك أحد ، ولا يمزح أحد ، ولا يفكر أحد إلا باسترداد بيت المقدس ، ويقودها حملة لا تبقي ولا تذر بعد استعداد جيد للامتحان ، فيدمر الصليب ، ويحرر فلسطين والمسجد الأقصى ؛ ليكون قدوة لمن يريد استعادة الأقصى السليب.

ثم ماذا بعد لصالح الدين أيها الأخوة ؟ استيقظ اليهود يوم نِمْ نَا فدنسوه ، ودخلوا إلى قبر صلاح الدين ورفسوه ، وقالوا : ها قد عدنا يا صلاح الدين ، فبعد لصالح الدين مؤامرات على أقصانا ، بغى اليهود ، ولكننا أحسنا الصياح.

إن أسئلة الامتحان التي قُدمت لصالح الدين ، أسئلة الآن تُقدّم لنا ، لكن صلاح الدين حلَّ الأسئلة بنفسه ، ونحن أحلنا حلَّ الأسئلة إلى غيرنا ، فكان ما كان.

سقوا فلسطينَ أحلامًا منومةً وأطعموها سخيفَ القولِ والخطبِ

لكن يا عباد الله : لا يأس ، لا قنوط ، سئحلُ الأسئلة ، وستبقى طائفة على الحق ؛ لتفقد الأمة ليعود الأقصي ، وتعود فلسطين والعاقبة للمنتقين.

لا يأس يسكننا فإن كبر الأسي
 وبغي فإن يقين قلبي أكبر
 في منهج الرحمن أمن مخاوفي
 وإليه في ليل الشدائد نجار

43- عاشوراء و شهر الله المحرم

■ عظموا ما عظم الله:

إن شهر الله المحرم شهر عظيم مبارك وهو أول شهور السنة الهجرية وأحد الأشهر الحرم التي قال الله فيها: (إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ) الآية (36) سورة التوبة وقال النبي ص: \$: «السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم ثلاثة مُنَوَالِيَاتٍ ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمُ ، وَرَجَبٌ مُضَرٌّ الَّذِي بَيْنَ جَمَادَى وَشَعْبَانَ» (رواه البخاري).

والمحرم سمي بذلك لكونه شهراً مجرماً وتأكيداً لتحريمه. وقوله تعالى: (فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ) أي في هذه الأشهر المحرمة لأنها أكد وأبلغ في الإثم من غيرها. وعن ابن عباس في قوله تعالى: (فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ) في كلهن ثم اختص من ذلك أربعة أشهر فجعلهن حراماً وعظم حرمتهن وجعل الذنب فيهن أعظم والعمل الصالح والأجر أعظم. وقال قتادة في قوله لا (فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ): «إن الظلم في الأشهر الحرم أعظم خطيئة ووزراً من الظلم فيما سواها. وإن كان الظلم على كل حال عظيماً ولكن الله يعظم من أمره ما يشاء».

وقال أيضاً: «إن الله اصطفى صفايا من خلقه: اصطفى من الملائكة رسلاً ، ومن الناس رسلاً ، واصطفى من الكلام ذكره ، واصطفى من الأرض المساجد ، واصطفى من الشهور رمضان والأشهر الحرم ، واصطفى من الأيام يوم الجمعة ، واصطفى من الليالي ليلة القدر فعظموا ما عظم الله ، فإنما تُعَظَّمُ الأمور بما عظمها الله به عند أهل الفهم وأهل العقل».

■ فضل الإكثار من صيام النافلة في شهر محرم:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ت قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: \$: «أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ شَهْرُ اللَّهِ الْمُحَرَّمِ» (رواه مسلم).

(شهر الله) إضافة الشهر إلى الله إضافة تعظيم ، قال القاري: الظاهر أن المراد جميع شهر المحرم. ولكن قد ثبت أن النبي ص لم يصم شهراً كاملاً قط غير رمضان فيحمل هذا الحديث على الترغيب في الإكثار من الصيام في شهر محرم لا صومه كله.

وقد ثبت إكثار النبي ص من الصوم في شعبان ولعل لم يوح إليه بفضل المحرم إلا في آخر الحياة قبل التمكن من صومه.

■ عاشوراء في التاريخ:

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ت مَا قَالَ قَدِمَ النَّبِيُّ ص الْمَدِينَةَ فَرَأَى الْيَهُودَ تَصُومُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ ، فَقَالَ: \$: «مَا هَذَا؟» قَالُوا: هَذَا يَوْمٌ صَالِحٌ هَذَا يَوْمٌ بَجَّى اللَّهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ عَدُوِّهِمْ فَصَامَهُ مُوسَى ، قَالَ: \$: «فَأَنَا أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ» # فَصَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ. (رواه البخاري).

وفي رواية للبخاري أيضا : \$ فقال لأصحابه: أَنْتُمْ أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْهُمْ فُصُومُوا #. أي نحن أثبت وأقرب لمُتَابَعَةِ مُوسَى ص منهم ، فإنَّ مُوَأْفِقُونَ لَهُ فِي أَسْوَالِ الدِّينِ ، وَمُصَدِّقُونَ لِكِتَابِهِ ، وَهُمْ مُخَالِفُونَ لَهُمَا بِالتَّغْيِيرِ وَالتَّحْرِيفِ . وصيام عاشوراء كان معروفا حتى على أيام الجاهلية قبل البعثة النبوية فقد ثبت عن عائشة ب قالت : \$ إن أهل الجاهلية كانوا يصومونه # (رواه مسلم) ولعل قريشاً كانوا يستندون في صومه إلى شرع من مضى كإبراهيم ؛ وقد ثبت أيضا أن النبي ص كان يصومه بمكة قبل أن يهاجر إلى المدينة فلما هاجر إلى المدينة وجد اليهود يحتفلون به فسألهم عن السبب فأجابوه كما تقدّم في الحديث وأمر بمخالفتهم في اتخاذه عيداً والظاهر أن الباعث على الأمر بصومه محبة مخالفة اليهود حتى يصام ما يفطرون فيه لأن يوم العيد لا يصام.

■ كان صيام عاشوراء من التدرج الحكيم في تشريع الصيام وفرضه:

فَعِنَ عَائِشَةَ ت قَالَتْ : \$كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص يَأْمُرُ بِصِيَامِهِ قَبْلَ أَنْ يُفْرَضَ رَمَضَانُ فَلَمَّا فُرِضَ رَمَضَانُ كَانَ مِنْ شَاءِ صَامَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ وَمِنْ شَاءِ أَفْطَرَ» (رواه مسلم)

وَعَنْ سَلْمَةَ بِنِ الْأَكْوَعِ ت أَنَّهُ قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ص رَجُلًا مِنْ أَسْلَمَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ فَأَمَرَهُ أَنْ يُؤَدِّنَ فِي النَّاسِ مَنْ كَانَ لَمْ يَصُمْ فَلْيَصُمْ وَمَنْ كَانَ أَكَلَ فَلْيَتِمَّ صِيَامَهُ إِلَى اللَّيْلِ (رواه مسلم).

وَعَنْ الرَّبِيعِ بِنْتِ مُعَوِذِ بْنِ عَفْرَاءَ ل قَالَتْ: أَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ص عِدَاةَ عَاشُورَاءَ إِلَى قَرَى الْأَنْصَارِ الَّتِي حَوْلَ الْمَدِينَةِ : «مَنْ كَانَ أَصْبَحَ صَائِمًا فَلْيَتِمَّ صَوْمَهُ ، وَمَنْ كَانَ أَصْبَحَ مُفْطَرًا فَلْيَتِمَّ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ» .

فَكُنَّا بَعْدَ ذَلِكَ نَصُومُهُ وَنَصُومُ صِبْيَانِنَا الصَّغَارِ مِنْهُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَنَذْهَبُ إِلَى الْمَسْجِدِ فَنَجْعَلُ لَهُمُ اللَّعْبَةَ مِنَ الْعِهْنِ فَإِذَا بَكَى أَحَدُهُمْ عَلَى الطَّعَامِ أَعْطَيْنَاهَا آيَاهُ عِنْدَ الْإِفْطَارِ (رواه مسلم)

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ تَقَالَ: \$كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص يَأْمُرُنَا بِصِيَامِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ وَيَحْتَنُنَا عَلَيْهِ وَيَتَعَاهَدُنَا عِنْدَهُ ، فَلَمَّا فُرِضَ رَمَضَانُ لَمْ يَأْمُرْنَا وَلَمْ يَنْهَنَا وَلَمْ يَتَعَاهَدْنَا عِنْدَهُ» (رواه مسلم)

وعن معاذ بن جبلت \$.. أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَجَعَلَ يَصُومُ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَصَامَ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ إِلَى رَمَضَانَ ، مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، وَصَامَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ ثُمَّ إِنْ اللَّهُ لَا فَرَضَ عَلَيْهِ الصِّيَامَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ لَ : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ)...» (صحيح رواه الإمام أحمد).

فانتقل الفرض من صيام عاشوراء إلى صيام رمضان فترك وجوب صيام عاشوراء ، أما استحبابه فباق.

■ فضل صيام عاشوراء: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ تَمَا قَالَ: \$ مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ص يَتَحَرَّى صِيَامَ يَوْمٍ فَضَّلَهُ عَلَى غَيْرِهِ إِلَّا هَذَا الْيَوْمَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ وَهَذَا الشَّهْرُ يَعْنِي شَهْرَ رَمَضَانَ # (رواه البخاري).

ومعنى \$ يتحرى # أي يقصد صومه لتحصيل ثوابه والرغبة فيه وقال النبي ص: \$ صِيَامُ يَوْمٍ عَاشُورَاءَ ، إِنِّي أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ # (رواه مسلم) ، وهذا من فضل الله علينا أن أعطانا بصيام يوم واحد تكفير ذنوب سنة كاملة والله ذو الفضل العظيم.

■ أي يوم هو عاشوراء: عَاشُورَاءُ هُوَ الْيَوْمُ الْعَاشِرُ مِنَ الْمُحَرَّمِ وَتَاسِعَاءُ هُوَ التَّاسِعُ مِنْهُ.

■ استحباب صيام تاسوعاء مع عاشوراء:

روى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ تَمَا قَالَ: حِينَ صَامَ رَسُولُ اللَّهِ ص يَوْمَ عَاشُورَاءَ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ يَوْمٌ تُعْظِمُهُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: \$ فَإِذَا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ صُمْنَا الْيَوْمَ التَّاسِعَ « قَالَ: فَلَمْ يَأْتِ الْعَامُ الْمُقْبِلُ حَتَّى تُوْفِيَ رَسُولُ اللَّهِ ص . (رواه مسلم).

يستحب صوم التاسع والعاشر جميعا ؛ لأن النبي ص صام العاشر ونوى صيام التاسع. وعلى هذا فصيام عاشوراء على مراتب أدناها أن يصام وحده وفوقه أن يصام التاسع معه وكلما كثر الصيام في محرّم كان أفضل وأطيب.

■ الحكمة من استحباب صيام تاسوعاء:

ذَكَرَ الْعُلَمَاءُ أَنَّ الْحِكْمَةَ فِي اسْتِحْبَابِ صَوْمِ تَاسِعَاءَ مُخَالَفَةُ الْيَهُودِ فِي اقْتِصَارِهِمْ عَلَى الْعَاشِرِ.

■ حكم أفراد عاشوراء بالصيام:

قال شيخ الإسلام: صِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ كَفَّارَةٌ سَنَةٍ وَلَا يُكْرَهُ إِفْرَادُهُ بِالصَّوْمِ.

■ صيام عاشوراء ماذا يكفر؟

يَغْفِرُ ذُنُوبَهُ كُلَّهَا إِلَّا الْكِبَائِرَ. فَإِنْ وَجَدَ مَا يُكْفَرُهُ مِنَ الصَّغَائِرِ كَفَّرَهُ وَإِنْ لَمْ يُصَادِفْ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً كُتِبَتْ بِهِ حَسَنَاتٌ وَرُفِعَتْ لَهُ بِهِ دَرَجَاتٌ ، وَإِنْ صَادَفَ كَبِيرَةً أَوْ كِبَائِرَ وَلَمْ يُصَادِفْ صَغَائِرَ رَجَوْنَا أَنْ تُخَفَّفَ مِنَ الْكِبَائِرِ.

■ عدم الاغترار بثواب الصيام:

يَعْتَرُّ بَعْضُ الْمَعْرُورِينَ بِالْإِعْتِمَادِ عَلَى مِثْلِ صَوْمِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ أَوْ يَوْمِ عَرَفَةَ حَتَّى يَقُولَ بَعْضُهُمْ: صَوْمُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ يُكْفِّرُ ذُنُوبَ الْعَامِ كُلِّهَا وَيَبْقَى صَوْمُ عَرَفَةَ زِيَادَةً فِي الْأَجْرِ.

قال ابن القيم/ : « لَمْ يَذَرِ هَذَا الْمُعْتَرُّ أَنَّ صَوْمَ رَمَضَانَ وَالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ أَعْظَمُ وَأَجَلٌ مِنْ صِيَامِ يَوْمِ عَرَفَةَ وَيَوْمِ عَاشُورَاءَ ، وَهِيَ إِنَّمَا تُكْفِّرُ مَا بَيْنَهُمَا إِذَا أُجْتَنِبَتِ الْكِبَائِرُ فَرَمَضَانَ إِلَى رَمَضَانَ وَالْجُمُعَةَ إِلَى الْجُمُعَةَ لَا يَقُوبَانِ عَلَى تَكْفِيرِ الصَّغَائِرِ إِلَّا مَعَ انْضِمَامِ تَرْكِ الْكِبَائِرِ إِلَيْهَا فَيَقْوَى مَجْمُوعُ الْأَمْرَيْنِ عَلَى تَكْفِيرِ الصَّغَائِرِ .

وَمِنَ الْمُعْرُورِينَ مَن يَبْطُنُ أَنَّ طَاعَاتِهِ أَكْثَرُ مِنْ مَعَاصِيهِ ؛ لِأَنَّهُ لَا يُحَاسِبُ نَفْسَهُ عَلَى سَيِّئَاتِهِ وَلَا يَتَفَقَّدُ ذُنُوبَهُ وَإِذَا عَمَلَ طَاعَةً حَفِظَهَا وَاعْتَدَّ بِهَا ، كَالَّذِي يَسْتَعْفِرُ اللَّهَ بِلِسَانِهِ أَوْ يُسَبِّحُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ ثُمَّ يَغْتَابُ الْمُسْلِمِينَ وَيَمْرُقُ أَعْرَاضَهُمْ وَيَتَكَلَّمُ بِمَا لَا يَرْضَاهُ اللَّهُ طَوَّلَ نَهَارِهِ ، فَهَذَا أَبَدًا يَتَأَمَّلُ فِي فَضَائِلِ التَّسْبِيحَاتِ وَالتَّهْلِيلَاتِ وَلَا يَنْتَفِتُ إِلَى مَا وَرَدَ مِنْ عُقُوبَةِ الْمُعْتَابِينَ وَالكُذَّابِينَ وَالنَّمَامِينَ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَفَاتِ اللِّسَانِ وَذَلِكَ مَحْضُ غُرُورٍ .»

■ صيام عاشوراء وعليه قضاء من رمضان:
اختلف الفقهاء في حكم التطوع بالصوم قبل قضاء رمضان فذهب الحنفية إلى جواز التطوع بالصوم قبل قضاء رمضان من غير كراهة لكون القضاء لا يجب على الفور. وذهب المالكية والشافعية إلى الجواز مع الكراهة لما يلزم من تأخير الواجب وذهب الحنابلة إلى حرمة التطوع بالصوم قبل قضاء رمضان وعدم صحة التطوع حينئذ ولو اتسع الوقت للقضاء ولا بد من أن يبدأ بالفرض حتى يفضيه.

فعلى المسلم أن يبادر إلى القضاء بعد رمضان ليتمكن من صيام عرفة وعاشوراء دون حرج.

■ بدع عاشوراء:

1- بدعة الحزن واتخاذ يوم عاشوراء ماتمًا: وهي بدعة أحدثها الشيعة في هذا اليوم ، وهم طائفة جاهلة ظالمة ، إما ملحدة منافقة ، وإما ضالة غاوية ، ومن مظاهرها النياحة ولطم الخدود وشق الجيوب والتعزي بعزاء الجاهلية وسب الصحابة ، وإنشاد قصائد الحزن ورواية الأخبار التي فيها كذب كثير ، والصدق فيها ليس فيه إلا تجديد الحزن والتعصب وإثارة الشحنة والحرب واللقاء الفتن بين أهل الإسلام والتوسل بذلك إلى سب السابقين الأولين وكثرة الكذب والفتن في الدنيا.

ولم يُعرف في طوائف الإسلام أكثر كذبًا وفتنًا ومعاونة للكفار على أهل الإسلام من هذه الطائفة الضالة الغاوية ، فإنهم شر من الخوارج المارقين. والذي أمر الله به ورسوله في المصيبة إذا كانت جديدة إنما هو الصبر والاحتساب والاسترجاع ، كما قال تعالى: (الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ) (البقرة: 155-157).

وعن النبي ص أنه قال: \$لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَطَمَ الْخُدُودَ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ ، وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ# (رواه البخاري ومسلم). ، وقال: \$ النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتَّبِ قَبْلَ مَوْتِهَا تَقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ فِطْرَانِ وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ# (رواه مسلم).

إن الشيعة أمة ليس لها عقل صريح ، ولا نقل صحيح ، ولا دين مقبول ، ولا دنيا منصور ، بل هم من أعظم الطوائف كذبًا وجهلاً ، ودينهم يدخل على المسلمين كل زنديق ومرتد ، كما دخل فيه النصيرية والإسماعيلية وغيرهم ، فإنهم يعمدون إلى خيار الأمة يعادونهم ، وإلى أعداء الله من اليهود والنصارى والمشركين يوالونهم ، ويعمدون إلى الصدق الظاهر المتواتر يدفعونه ، وإلى الكذب المخلوق الذي يعلم فساده يقيمونه.

2- بدعة الفرح واتخاذ يوم عاشوراء عيدًا:

وهي بدعة أحدثتها النواصب في هذا اليوم ، - والنواصب طائفة من الخوارج يكفرون علي بن أبي طالب ت ويفسقونه ، ويتنقصون بحرمة أهل البيت - ومن مظاهر اتخاذ يوم عاشوراء عيدًا: إظهار الفرح والسرور والاعتسال والتجمل والاحتفال والتطيب وإعداد المطاعم وذبح الذبائح والتوسعة على العيال إلى غير ذلك.

ولم يرد في شيء من ذلك حديث صحيح عن النبي ص ، ولا عن أصحابه ولا استحباب ذلك أحد من أئمة المسلمين ، لا الأئمة الأربعة ولا غيرهم ، ولا روى أهل الكتب المعتمدة في ذلك شيئاً لا عن النبي ص ولا الصحابة ولا التابعين لا صحيحاً ولا ضعيفاً لا في كتب الصحيح ولا في السنن ولا المسانيد ولا يعرف شيء من هذه الأحاديث على عهد القرون الفاضلة.

ولكن روى بعض المتأخرين في ذلك أحاديث مثل ما روي أن من اكتحل يوم عاشوراء لم يرمد من ذلك العام ، ومن اغتسل يوم عاشوراء لم يمرض ذلك العام وأمثال ذلك.

وروي فضائل في صلاة يوم عاشوراء وروي أن في يوم عاشوراء توبة آدم واستواء السفينة على الجودي ورد يوسف على يعقوب وإنجاء إبراهيم من النار وفداء الذبيح بالكبش ونحو ذلك. وروي في حديث موضوع مكذوب على النبي ص أنه: **من وسع على أهله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر السنة#** ، **ورواية هذا كله عن النبي ص كذب**. فلعن الذي قال هذا من أهل البدع الذين يبغضون علياً وأصحابه ، ويريدون أن يقابلوا الشيعة بالكذب مقابلة الفاسد بالفاسد والبدعة بالبدعة.

ولم يسن رسول الله ص ولا خلفاؤه الراشدون في يوم عاشوراء شيئاً من هذه الأمور لا شعائر الحزن والترحم ولا شعائر السرور والفرح. ودين الإسلام مبني على أصليين: على أن لا نعبد إلا الله وأن نعبد بما شرع لا نعبد بالبدع ، قال تعالى: **(فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا)** (الكهف:110) ، فالعمل الصالح ما أحبه الله ورسوله وهو المشروع المسنون ولهذا كان عمر بن الخطاب ت يقول في دعائه: **اللهم اجعل عملي كله صالحاً ، واجعله لوجهك خالصاً ولا تجعل لأحد فيه شيئاً#**.

وقال ابن القيم: **أحاديث الاحتفال يوم عاشوراء والتزيين والتوسعة والصلاة فيه وغير ذلك من فضائل لا يصح منها شيء ، ولا حديث واحد ، ولا يثبت عن النبي ص فيه شيء غير أحاديث صيامه ، وما عداها فباطل#**.

وأمثل ما فيها: **من وسع على عياله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر سنته#** ، قال الإمام أحمد: لا يصح هذا الحديث.

وأما أحاديث الاحتفال والأدهان والتطيب فمن وضع الكذابين ، وقابلهم آخرون فاتخذوه يوم تالم وحزن ، والطائفتان مبتدعتان خارجتان على السنة ، وأهل السنة يفعلون فيه ما أمر به النبي ص.

44- استقبال رمضان (1) يا باغي الخير أقبل

قلتُ ، والنَّاسُ يرقبون هلالاً
جِسْمُهُ:
«مَنْ يَكُنْ صَائِماً فِذَا رَمَضَانَ
اسْمُهُ»

خطَّ بالنُّورِ للوَرَى أَوَّلَ اسْمِهِ أَيُّ أَنَّ الْهَلَالَ يَشْبَهُ حَرْفَ الرَّاءِ
رَمَضَانَ يَا خَيْرَ الشُّهُورِ تَحِيَّةً
جَلَالاً

حُدَّهَا يَفُوحٌ عَبِيرُهَا مِنْ مُؤْمِنٍ
وَالْإِجْلَالَ
رَمَضَانَ عُدَّتْ وَهَذِهِ أَوْطَانُنَا
وَطَالاً

ضَاعَتْ مَقَائِيسُ الْفَضِيلَةِ بَيْنَنَا
اللَّهُ أَكْبَرُ إِنَّ عَيْنِي قَد رَأَتْ
يَتَلَّالاً

فَلَعَلَهُ فَجَّرَ الْعَقِيدَةَ قَدْ بَدَأَ
وَيُمِيطُ عَنِ هَذِي الْقُلُوبِ قَنَاعَهَا
وَتَرُوحُ بِالْإِسْلَامِ تَكْسِيرُ قَيْدَهَا
وَتَرِدُ لِلدُّنْيَا عَدَالَةَ أَحْمَدِ
الْحَالِلاً

إنَّ حِكْمَةَ اللَّهِ لَا اقْتَضَتْ أَنْ يَجْعَلَ هَذِهِ الدُّنْيَا مَزْرَعَةً لِلْآخِرَةِ وَمِيدَانًا
لِلتَّنَافُسِ وَكَانَ مِنْ فَضْلِهِ لَا عَلَى عِبَادِهِ وَكَرَمِهِ أَنْ يَجْزِيَ عَلَى الْقَلِيلِ كَثِيرًا ،
وَيَضَاعِفَ الْحِسَابَ وَيَجْعَلَ لِعِبَادِهِ مَوَاسِمَ تَعْظُمُ فِيهَا هَذِهِ الْمَضَاعِفَةُ ، فَالْسَّعِيدُ مِنْ
اعْتَنَمَ مَوَاسِمَ الشُّهُورِ وَالْأَيَّامِ وَالسَّاعَاتِ ، وَتَقَرَّبَ فِيهَا إِلَى مَوْلَاهُ بِمَا أَمَكْنَهُ مِنْ
وِضَائِفِ الطَّاعَاتِ ؛ عَسَى أَنْ تَصِيبَهُ نَفْحَةٌ مِنْ تِلْكَ النِّفْحَاتِ فَيَسْعَدُ بِهَا سَعَادَةً
يَأْمَنُ بَعْدَهَا مِنَ النَّارِ وَمَا فِيهَا مِنَ اللَّفْحَاتِ .

وَمِنْ أَعْظَمِ هَذِهِ الْمَوَاسِمِ الْمُبَارَكَةِ وَأَجَلُّهَا شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ
الْقُرْآنُ الْمَجِيدُ ، وَلِذَا كَانَ حَرِيًّا بِالْمُؤْمِنِ أَنْ يَحْسِنَ الْأَسْتِعْدَادَ لِهَذَا الْقَادِمِ الْكَرِيمِ ،
وَيَتَفَقَّهَ فِي شُرُوطِ وَمَسْتَحَبَاتِ ، وَأَدَابِ الْعِبَادَاتِ الْمُرْتَبِطَةِ بِهَذَا الْمَوْسِمِ الْحَافِلِ
لِنَيْلِ يَفُوتِهِ الْخَيْرِ الْعَظِيمِ وَلَا يَنْشَغَلَ بِمَفْضُولٍ عَنْ فَاضِلٍ وَلَا بِفَاضِلٍ عَمَّا هُوَ
أَفْضَلُ مِنْهُ .

■ أَخِي الْمُسْلِمُ:

(1) هذه الخطبة وما بعدها مقتبسة بتصرف من رسالة (بين يدي رمضان) للشيخ محمد إسماعيل المقدم.

استحضر في قلبك الآن أحبَّ الناس إليك ، وقد غاب عنك أحد عشر شهراً وهب أنك بُشِّرْتَ بقدمه وعودته خلال أيام قلائل ... كيف تكون فرحتك بقدمه واستبشارك بقرية وبشاشتك للقائه ؟

إن أول الآداب الشرعية بين يدي رمضان أن تتأهب لقدمه ؛ إذ أن التأهب لشهر رمضان والاستعداد لقدمه من تعظيم شعائر الله تبارك وتعالى القائل: (ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ) (الحج:32).

يفرح المؤمنون بقدوم شهر رمضان ويستبشرون ويحمدون الله أن بلغهم إياه ويعقدون العزم على تعميره بالطاعات وزيادة الحسنات وهجر السيئات وأولئك يبشرون بقول الله تبارك وتعالى: (فَلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) (يونس:58).

إن محبة الأعمال الصالحة والاستبشار بها فرع عن محبة الله لأ قال تعالى: (وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيْمَانًا فَآمَنَ الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيْمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ) (التوبة: 124) فترى المؤمنين متلهفين مشتاقين إلى رمضان ، تحن قلوبهم إلى صوم نهاره ، ومكابدة ليله بالقيام والتهدد بين يدي مولا هم ، وتراهم يمهدون لاستقبال رمضان بصيام التطوع خاصة في شعبان.

باع قوم من السلف جارية لهم لأحد الناس ، فلما أقبل رمضان أخذ سيدها الجديد يتهاياً بألوان المطاعم والمشروبات لاستقبال رمضان - كما يصنع كثير من الناس اليوم - فلما رأت الجارية ذلك منهم قالت: \$لماذا تصنعون ذلك؟ # ، قالوا: \$لاستقبال شهر رمضان # ، فقالت: \$وأنتم لا تصومون إلا في رمضان؟ والله لقد جئت من عند قوم السنة عندهم كأنها كلها رمضان ، لا حاجة لي فيكم ، رُدوني إليهم # ، ورجعت إلى سيدها الأول.

سَمِعَ الْمُؤْمِنُونَ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: \$كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَلِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ يَدْعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي # (رواه مسلم) ، فاعلموا أن الأمتناع عن الشهوات لله لا في هذه الدنيا بسبب لنيلها في الآخرة ؛ كما أشار إلى ذلك مفهوم قول رسول الله ص: \$مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فِي الدُّنْيَا ، ثُمَّ لَمْ يَتُبْ مِنْهَا حُرْمَهَا فِي الْآخِرَةِ \$ (متفق عليه) وقوله ص: \$مَنْ لَبَسَ الْحَرِيرَ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَلْبَسْهُ فِي الْآخِرَةِ # (متفق عليه) ، وقوله ص: \$مَنْ تَرَكَ اللَّيْسَ تَوَاضَعًا لِلَّهِ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ دَعَاهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُغُوسِ الْخَلَائِقِ حَتَّى يَخِيَرَهُ مِنْ أَيِّ حُلِّ الْإِيْمَانِ شَاءَ يَلْبَسُهَا # (حسن رواه الترمذي).

(مَنْ تَرَكَ اللَّيْسَ) أَي لَبَسَ الثِّيَابَ الْحَسَنَةَ الْمُرْتَفِعَةَ الْقِيَمَةَ.

(تَوَاضَعًا لِلَّهِ) أَي لَا يُقَالُ إِنَّهُ مُتَوَاضِعٌ أَوْ زَاهِدٌ وَنَحْوُهُ.

(دَعَاهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُغُوسِ الْخَلَائِقِ) أَي يُشَهَّرُهُ وَيُنَادِيهِ.

(مِنْ أَيِّ حُلِّ الْإِيْمَانِ) أَي مِنْ أَيِّ حُلِّ أَهْلِ الْإِيْمَانِ.

وعن سهل بن سعد بن النبي ص قال: \$فِي الْجَنَّةِ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ فِيهَا بَابٌ يُسَمَّى الرَّيَّانَ لَا يَدْخُلُهُ إِلَّا الصَّائِمُونَ # (رواه البخاري) وفي رواية في الصحيحين: \$إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ يُقَالُ أَيُّنَ الصَّائِمُونَ فَيَقُومُونَ لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ

عَبْرَهُمْ فَأَذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ»، (رواه البخاري ومسلم) « مَنْ دَخَلَ فِيهِ شُرْبٌ وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا» (صحيح رواه النسائي).

وعن جابر بن سمرة ت قال رسول الله ص: \$أَتِ ابْنِي جَبْرِيلُ ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ ، مَنْ أَدْرَكَ أَحَدَ وَالِدَيْهِ فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ فَأَبَعَهُ اللَّهُ ، قُلْ: آمِينَ ، فَقُلْتُ: آمِينَ ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ ، مَنْ أَدْرَكَ شَهْرَ رَمَضَانَ فَمَاتَ فَلَمْ يُعْفَرْ لَهُ ، فَاذْخُلِ النَّارَ فَأَبَعَهُ اللَّهُ ، قُلْ: آمِينَ ، فَقُلْتُ: آمِينَ ، قَالَ: وَمَنْ ذَكَرْتِ عِنْدَهُ فَلَمْ يَصَلِّ عَلَيْكَ فَمَاتَ ، فَدَخَلَ النَّارَ ، فَأَبَعَهُ اللَّهُ قُلْ: آمِينَ ، فَقُلْتُ: آمِينَ # (صحيح رواه الطبراني).

فهل تعجب أخي المؤمن أن جبريل ملك الوحي يقول في هذا الحديث وفيما رواه مسلم \$ مَنْ أَدْرَكَ شَهْرَ رَمَضَانَ وَلَمْ يُعْفَرْ لَهُ بِأَعْدَةِ اللَّهِ فِي النَّارِ # ثم يؤمن خليل الرحمن الصادق المصدوق ص على دعائه؟! وأي عجب ورمضان فرصة نادرة ثمينة فيها الرحمة والمغفرة ودواعيها متيسرة والأعوان عليها كثيرون وعوامل الفساد محدودة ومردة الشياطين مصفون والله عتقاء في كل ليلة وأبواب الجنة مفتحة ، وأبواب النيران مغلقة فمن لم تنله الرحمة مع كل ذلك فمتى تناله إذن؟!ومن لم يكن أهلاً للمغفرة في هذا الموسم ففي أي وقت يتأهل لها ، ومن خاض البحر اللجاج ولم يطهر فماذا يطهره؟!.

لقد بين الصادق المصدوق ص اختلاف سعي الناس في الاستعداد لرمضان فعن أبي هريرة ت قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: \$ أَظْلَكُمْ شَهْرُكُمْ هَذَا ، بِمَحْلُوفِ رَسُولِ اللَّهِ ص مَا مَرَّ بِالْمُسْلِمِينَ شَهْرٌ قَطُّ خَيْرٌ لَهُمْ مِنْهُ ، وَمَا مَرَّ بِالْمُنَافِقِينَ شَهْرٌ قَطُّ أَشْرُّ لَهُمْ مِنْهُ ، بِمَحْلُوفِ رَسُولِ اللَّهِ ص إِنْ اللَّهُ لَيَكْتُبُ أَجْرَهُ وَنَوَافِلَهُ ، وَيَكْتُبُ إِصْرَهُ وَشَقَاءَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَدْخُلَهُ ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ يُعِدُّ فِيهِ الْقُوَّةَ مِنَ النَّفَقَةِ لِلْعِبَادَةِ ، وَيُعِدُّ فِيهِ الْمُنَافِقُ ابْتِغَاءَ غَفَلَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَوْرَاتِهِمْ فَهُوَ غَنِمٌ لِلْمُؤْمِنِينَ بِعَيْنِهِمُ الْفَاجِرُ». (صحيح رواه الإمام أحمد).

قوله ص: \$ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ يُعِدُّ فِيهِ الْقُوَّةَ مِنَ النَّفَقَةِ لِلْعِبَادَةِ # أي ما يقويهم عليها في رمضان كادخار القوت وما ينفقه على عياله فيه ؛ لأن اشتغالهم بالعبادة فيه يمنعهم من تحصيل المعاش أو يقلل منه ، فقيام الليل يستدعي النوم بالنهار ، والاعتكاف يستدعي عدم الخروج من المسجد ، وفي هذا تعطيل لأسباب المعاش ، فهم يحصلون القوت وما يلزم لأولادهم في رمضان قبل حلوله ليتفرغوا فيه للعبادة والإقبال على الله لأ واجتناء ثمرة هذا الموسم ، فهو خير لهم لما اكتسبوه فيه من الأجر العظيم والغفران العميم.

وقوله ص: \$ وَيُعِدُّ فِيهِ الْمُنَافِقُ ابْتِغَاءَ غَفَلَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَوْرَاتِهِمْ # يعني أن المنافقين يستعدون في شهر رمضان للإيذاء بالمسلمين في دنياهم وتتبع عوراتهم أثناء غفلتهم عن الدنيا وانقطاعهم إلى الله لأ ، فكان ذلك غنيمة اغتتموها في نظرهم ولكنها في الحقيقة شر لهم لو كانوا يعلمون ما أعده الله لهم في الآخرة من العذاب المقيم وحرمانهم من فضله العميم - نعوذ بالله من ذلك - وما أدق هذا الوصف في حق أهل الفن والإعلام الذين يغتتمون موسم الطاعة لصد الناس عن سبيل ربهم وفتنتهم عن طاعة الله لأ .

وقوله ص: \$ فهُوَ غَنَمٌ لِّلْمُؤْمِنِ # أي هو فوز للمؤمنين بالأجر والثواب الجزيل من غير مشقة كبيرة وذلك لما ينزله الله سبحانه على عباده من الرحمات ويفيضه عليهم من النفات ويوسع عليهم من الأرزاق والخيرات ويجنبهم فيه من الزلات حيث يفتح لهم أبواب الجنان ويغلق عنهم أبواب النيران ويصعد فيه مرده الجن فهو للامة ربيعها وللعبادات موسمها وللخيرات سوقها فلا شهر أفضل للمؤمن منه ولا عمل أفضل عما فيه فهو بحق غنيمة المؤمنين.

وقوله ص: \$ يَغْتَنِمُهُ الْفَاجِرُ # المعنى أن الله لا ينتقم منه ويذيقه العذاب الأليم بسوء فعله وإيدائه المؤمنين وتتبع عوراتهم فيكون نعمة له وأما المسلم فرمضان غنيمة له اكتسبه من صيام أيامه وقيام ليلاليه والانقطاع إلى الله لا بالعبادة فيه.

■ ماذا يحدث في أول ليلة من رمضان؟

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ تَعْنِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا كَانَتْ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ صَبَدَّتْ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَّةُ الْجِنِّ ، وَغَلَقَتْ أَبْوَابَ النَّارِ فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ ، وَفُتِحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ ، وَيُنَادِي مُنَادٍ يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ ، وَلِلَّهِ عِتْقَاءٌ مِنَ النَّارِ وَذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ» (صحيح رواه ابن ماجه).

إن خير الهدي هدي محمد ص ومن هديه ص في هذا الموضع المبادرة إلى تذكير الناس ببركات هذا الموسم العظيم فقد قال ص: لأصحابه في أول ليلة من رمضان:

\$ أَتَاكُمْ رَمَضَانُ شَهْرٌ مُبَارَكٌ فَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ وَتُغَلُّ فِيهِ مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ لَلَّهِ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ مِنْ حَرَمٍ خَيْرٌ مِنْ حَرَمٍ فَقَدْ حَرَّمَ # (حسن رواه النسائي).

■ يا باغي الخير أقبل!!! كيف يستقبل باغي الخير رمضان؟

أولاً: بالمبادرة إلى التوبة الصادقة المستوفية لشروطها وكثرة الاستغفار قال الله لأ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا) (التحریم: 8).

و مما ينبغي أن يُستقبل به شهر الصيام و القيام أيضاً ، المبادرة بالتوبة من الذنوب صغيرها و كبيرها ، و الإكثار من الطاعات دُفْعًا و جُلْهَا ، فهذا زمان التوبة.

يا ذَا الَّذِي مَا كَفَّاهُ الذَّنْبُ فِي رَجَبٍ حَتَّى عَصَى رَبَّهُ فِي شَهْرِ رَجَبٍ
لَقَدْ أَظْلَكَ شَهْرُ الصَّوْمِ بَعْدَهُمَا فَلَا تُصَيِّرْهُ أَيْضًا شَهْرًا عَصِيًّا

وَأْتَلُ الْقُرْآنَ وَسَبَّحَ فِيهِ مَجْتَهِدًا فَإِنَّهُ شَهْرٌ تَسْبِيحُ وَقُرْآنُ ثَانِيًا: بتعلم ما لا بد منه من فقه الصيام أحكامه وأدابه والعبادات المرتبطة بـرمضان من إعتكاف و عمرة و زكاة فطر وغيرها قال رسول ص: \$ طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ # . (صحيح رواه ابن ماجه).

ثالثاً: عقد العزم الصادق والهمة العالية على تعمير رمضان بالأعمال الصالحة قال تعالى: (فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ) (محمد: 21) وقال لأ:)

وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً (التوبة:46) ، وتحري أفضل الأعمال فيه وأعظمها أجراً.

رابعاً: استحضر أن رمضان كما وصفه الله لأيام معدودات ، سرعان ما يولي ، فهو موسم فاضل ، ولكنه سريع الرحيل ، واستحضر أن المشقة الناشئة عن الاجتهاد في العبادة تذهب أيضاً ، ويبقى الأجر ، وشرخ الصدر ، فإن فرط الإنسان ذهبت ساعات لهوه وغفلته ، وبقيت تبعاتها وأوزارها.

خامساً: الاجتهاد في حفظ الأذكار والأدعية المطلقة منها والموظفة ، خصوصاً الوظائف المتعلقة بـرمضان ، استدعاءً للخشوع وحضور القلب ، واغتناماً لأوقات إجابة الدعاء في رمضان ، والاستعانة على ذلك بدعاء : اللهم أعني على ذكرك ، وشكرك ، وحسن عبادتك # .

سادساً: الاستكثار من الأعمال الصالحات ، فإن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها ، ومن ذلك :

(1) **الإكثار من الصيام في شعبان:** استعداداً لرمضان ، فعن أم المؤمنين عائشة ب قالت : \$ مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا تَصُومُوا حَتَّى يَكُونَ رَمَضَانَ وَمَا رَأَيْتُهُ فِي شَهْرٍ أَكْثَرَ مِنْهُ صِيَامًا فِي شَعْبَانَ (رواه مسلم)

وينهى عن تخصيص النصف الثاني من شعبان بالصيام لحديث أبي هريرة ت ، أن رسول الله ص قال : « إِذَا انْتَصَفَ شَعْبَانَ فَلَا تَصُومُوا حَتَّى يَكُونَ رَمَضَانَ » (رواه الإمام أحمد وغيره وصححه الألباني) ، أمّا من صام في أول الشهر فلا جناح عليه أن يصوم نصفه الثاني بَعْضَهُ أَوْ كَلَّهُ ، و كذلك من كانت له عادة صيام صامها ، كيومي الاثنين والخميس من كل أسبوع ، فيصومهما ولا حرج.

ولا يجوز للصائم أن يتقدم رمضان بصيام يوم أو يومين لقوله ص : \$ لَا تَقْدَمُوا رَمَضَانَ بِصَوْمِ يَوْمٍ وَلَا يَوْمَيْنِ إِلَّا رَجُلٌ كَانَ يَصُومُ صَوْمًا فَلْيَصِمْهُ # (رواه مسلم).

ولهذا النهي حكمة جليّة منها : الاحتياط لرمضان لئلا يُزاد فيه ما ليس منه ، و منها الفصل بين صيام الفرض و النقل لأن جنس الفصل بين النوافل و الفرائض مشروع ، كما في النهي عن وصل صلاة مفروضة بصلاة نافلة حتى يفصل بينهما بسلام أو كلام ، و منها التقوي على صيام رمضان ، فإن مواصلة الصوم قد تضعف عن صيام الفرض.

(2) **تلاوة القرآن الكريم:** فإن رمضان هو شهر القرآن فينبغي أن يكثر العبد المسلم من تلاوته وحفظه ، وتدبره ، وعرضه على من أقرأ منه.

كان جبريل يدارس النبي ص القرآن في رمضان ، وعارضه في عام وفاته مرتين (رواه البخاري ومسلم) ، ويقال ص : \$ مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا لَا أَقُولُ (الم) حَرْفٌ وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَا م حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ # (صحيح رواه الترمذي).

وكان قتادة يختم في كل سبع دائماً ، وفي رمضان في كل ثلاث ، وكان الزهري إذا دخل رمضان يفر من قراءة الحديث ومجالسة أهل العلم ، ويقبل على تلاوة المصحف.

وكان سفيان الثوري إذا دخل رمضان ترك جميع العبادة ، وأقبل على قراءة القرآن.

وقال الزهري: \$ إذا دخل رمضان فإنما هو قراءة القرآن ، وإطعام الطعام #

(3) قيام رمضان: فعن أبي هريرة ت قال: \$ كان رسول الله ص يرعّب في قيام رمضان ، من غير أن يأمرهم بعزيمة ، ثم يقول: \$ مَن قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ # (رواه البخاري ومسلم)

(4) الصدقة: عَن ابْنِ عَبَّاسٍ ت قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص أَجْوَدَ النَّاسِ ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ جِئْنَ يَلْقَاهُ جَبْرِيْلُ ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ ص أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ» (رواه البخاري ومسلم).

ومن صور الصدقة إطعام الطعام ، وتفتير الصّوام ، قال ص: \$ مَن فَطَّرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئًا # (صحيح رواه الترمذي) ، فإن عجز عن عشاءه فطره على تمرّة أو شربة ماء أو لبن ، وقال ص: \$ أَنْفَقُوا النَّارَ ، وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ # (رواه البخاري ومسلم) ، وعن عليّ ت قال رسول الله ص: \$ إِنْ فِي الْجَنَّةِ عَرَفًا ثَرَى ظَهُورُهَا مِنْ بَطُونِهَا وَبَطُونِهَا مِنْ ظَهُورِهَا فَقَامَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ لِمَنْ أَطَابَ الْكَلَامَ وَأَطَعَمَ الطَّعَامَ وَأَدَامَ الصِّيَامَ وَصَلَّى لِلَّهِ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ # (حسن رواه أحمد و الترمذي)

(عَرَفًا) جَمْعُ عَرَفَةٍ ، أَي عَلَالِيٍّ فِي غَايَةِ مِنْ اللَّطَافَةِ وَنَهَايَةِ مِنَ الصَّفَاءِ وَالنُّظَافَةِ (ثَرَى ظَهُورُهَا مِنْ بَطُونِهَا وَبَطُونِهَا مِنْ ظَهُورِهَا) لِكُونِهَا شَفَافَةً لَا تَحْجُبُ مَا وَرَاءَهَا.

(لِمَنْ أَطَابَ الْكَلَامَ : الْمَعْنَى لِمَنْ لَهُ خُلُقٌ حَسَنٌ مَعَ الْأَنْامِ قَالَ تَعَالَى : (وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا) ، فَيَكُونُ مِنْ عِبَادِ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا. الْمُؤَصِّفِينَ بِقَوْلِهِ : (أُولَئِكَ يَجْزُونَ الْعُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا). (وَأَطَعَمَ الطَّعَامَ) (لِلْعِيَالِ وَالْفُقَرَاءِ وَالْأَضْيَافِ وَنَحْوِ ذَلِكَ

(وَأَدَامَ الصِّيَامَ) أَي أَكْثَرَ مِنْهُ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ بِحَيْثُ تَابَعَ بَعْضُهَا بَعْضًا وَلَا يَقْطَعُهَا رَأْسًا ، قَالَهُ ابْنُ الْمَلَكِ وَقِيلَ أَقْلَهُ أَنْ يَصُومَ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، وَفِيهِ وَفِيمَا قَبْلَهُ إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : (وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا) مَعَ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى : (بِمَا صَبَرُوا) صَرِيحٌ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى الصَّوْمِ

(وَصَلَّى بِاللَّيْلِ) لِلَّهِ (وَالنَّاسُ) أَي غَالِبُهُمْ (نِيَامًا) جَمْعُ نَائِمٍ أَوْ غَافِلُونَ عَنْهُ ؛ لِأَنَّهُ عِبَادَةٌ لَا رِيَاءَ بِشُوبِ عَمَلِهِ وَلَا شُبُهُودَ غَيْرِ اللَّهِ ، إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : (وَالَّذِينَ يَبِيئُونَ لِرَبِّهِمْ سُجْدًا وَقِيَامًا) الْمُنْبِيُّ وَصَفُهُمْ بِذَلِكَ عَن أَنَّهُمْ فِي غَايَةِ مِنَ الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ.

وقال ص: \$ أَفْشِ السَّلَامَ وَأَطِبْ الْكَلَامَ وَصِلْ الْأَرْحَامَ وَقُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامًا تَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ # (صحيح رواه أحمد والحاكم).

وقال ص: \$ صَنَّاعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ ، وَصَدَقَةُ السِّرِّ نُطْفِيءُ غَضَبِ الرَّبِّ ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ تَزِيدُ فِي الْعُمْرِ # . (حسن رواه الطبراني)

وكان كثير من السلف يؤثر بفطوره وهو صائم ، منهم عبد الله بن عمر ، وداود الطائي ، ومالك بن دينار ، وأحمد بن حنبل ، وكان ابن عمر لا يفطر إلا مع اليتامى والمساكين ، وربما علم أن أهله قد ردهم عنه ، فلم يفطر في تلك الليلة.

وكان من السلف من يطعمهم إخوانه الطعام وهو صائم ، ويجلس يخدمهم ويروحهم ، منهم الحسن وابن المبارك ، وقال أبو السوار العدوي: \$ كان رجال من بني عدي يصلون في هذا المسجد ما أفطر أحد منهم على طعام قط وحده ، إن وجد من يأكل معه أكل ، وإلا أخرج طعامه إلى المسجد ، فأكله مع الناس وأكل الناس معه #.

قال الإمام الماوردي / \$: ويستحب للرجل أن يوسع على عياله في شهر رمضان ، وأن يحسن إلى أرحامه وجيرانه ، لا سيما في العشر الأواخر منه #. وإذا دعي المسلم الصائم عليه أن يجيب الدعوة ، لأن من لم يجب الدعوة فقد عصى أبا القاسم ص ، وينبغي عليه أن يعتقد جازماً أن ذلك لا يضيع شيئاً من حسناته ، ولا ينقص شيئاً من أجره.

(5) المكث في المسجد بعد صلاة الفجر: فقد كان ص إذا صلي الغداة جلس في مصلاه حتى تطلع الشمس (رواه مسلم). ، وقال ص: \$ مَن صَلَّى الْغَدَاةَ فِي جَمَاعَةٍ ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ اللَّهَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ كَانَتْ لَهُ كَأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص تَامَةً تَامَةً تَامَةً. (صحيح رواه الترمذي).

(الغداة): الصبح (ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ) أَي ثُمَّ صَلَّى بَعْدَ أَنْ تَرْتَفَعَ الشَّمْسُ قَدَرِ رُوحٍ حَتَّى يَخْرُجَ وَقْتُ الْكِرَاهَةِ ، وَهَذِهِ الصَّلَاةُ تُسَمَّى صَلَاةَ الْإِشْرَاقِ وَهِيَ أَوَّلُ صَلَاةِ الصُّحَى.

فعلى المرء أن يجمع همته ليغتتم هذا الزمان الشريف ، ولا يضيره انصراف أكثر الناس عن هذه السنّة ، بل الجازم ينظر في أمر الدين إلى من هو فوقه ، ومن هو أنشط منه (وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ) (المطففين: 26). وقد يحرم المرء من هذه السنّة الجلييلة لإفراطه في السهر أو السمر بعد العشاء.

(6) الاعتكاف: فقد كان ص يعتكف في كل رمضان عشرة أيام ، فلما كان العام الذي قبض فيه اعتكف عشرين يوماً (رواه البخاري)..

(7) العمرة: فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى قَالَ لِامْرَأَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهَا أُمُّ سَبَّانَ: «مَا مَنَعَكَ أَنْ تَكُونِي حَاجَّةً مَعَنَا؟». قَالَتْ: «نَاضِحَانِ كَانَا لِأَبِي فَلَانَ - زَوْجَهَا - حَجٌّ هُوَ وَابْنُهُ عَلِيُّ أَحَدِهِمَا وَكَانَ الْأَخَرُ يَسْبِقِي عَلَيْهِ غَلَامُنَا؟».

قَالَ: «فَإِذَا جَاءَ رَمَضَانَ فَاعْتَمِرِي فَإِنَّ عُمْرَةً فِيهِ تَعْدِلُ حَجَّةً» وفي رواية: «فَعُمْرَةٌ فِي رَمَضَانَ تَقْضِي حَجَّةً أَوْ حَجَّةً مَعِي». (رواه مسلم). (الناضح: الدابة يُسْتَقَى عليها).

ومما ثبت في فضائل العمرة: قوله ص: \$ تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ فَإِنَّ الْمُتَابِعَةَ بَيْنَهُمَا تَنْفِي الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكَبِيرُ حَبْتَ الْحَدِيدِ #. (صحيح)

رواه ابن ماجه). وقوله ص: \$ العُمْرَةُ إِلَى العُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا مِنَ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا # (صحيح رواه الإمام أحمد).
 وقال ص: \$ من طَافَ بِهَذَا الْبَيْتِ أَسْبُوعًا فَأَخْصَاهُ كَانَ كَعَتَقِ رَقَبَةٍ ، وَلَا يَضَعُ قَدَمًا وَلَا يَرْفَعُ أُخْرَى إِلَّا حَطَّ اللَّهُ عَنْهُ خَطِيئَةً وَكَتَبَ لَهُ بِهَا حَسَنَةً # .
 (صحيح رواه الترمذي) (أسبوعًا : أي سبعة أشواط)
 (8) تحري ليلة القدر: قال لأ: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ) (القدر: 1-3)
 وقال ص: \$ مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ # (رواه البخاري).

وكان ص يتحرى ليلة القدر ، ويأمر أصحابه بتحريها ، وكان يعتكف لذلك ، وكان يوقظ أهله في ليالي العشر رجاء أن يدركوها .
 وعن أم المؤمنين عائشة ب قالت: قلت: يا رسول الله إن وافقت ليلة القدر ما أقول؟ قال: \$ قولي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفْوٌ تُحِبُّ الْعَفْوَ ، فَاعْفُ عَنِّي # . (صحيح رواه الترمذي و ابن ماجه).

ويستحب أن يتحرى ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان ، خصوصاً الليالي الوتر منها ، لقوله ص: \$ التَّمَسُّهُمَا فِي الْعَشْرِ الْآخِرِ فِي الْوَتْرِ # (رواه البخاري ومسلم) ، ورجح بعض العلماء أنها ليلة السابع والعشرين .
 (9) الإكثار من النوافل بعد الفرائض: كالسُنن القبلية والبعدية ، وصلاة التسبيح ، والضحي ، والذكر والاستغفار ، والدعاء خصوصاً في أوقات الإجابة ، وعند الإفطار ، وفي ثلث الليل الآخر ، وفي الأسحار ، وساعة الإجابة يوم الجمعة .

(10) المحافظة على صلاة الجماعة في المسجد: والاجتهاد في تطبيق قول رسول الله ص: \$ مَنْ صَلَّى لِلَّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا فِي جَمَاعَةٍ يَدْرِكُ التَّكْبِيرَةَ الْأُولَى كَتَبَتْ لَهُ بَرَاءَتَانِ بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ وَبَرَاءَةٌ مِنَ النَّفَاقِ # . (حسن رواه الترمذي).

45- استقبال رمضان يا باغي الشر ... أقصر !!

غَدَا يَهْلُ عَلَيْنَا الْبَشْرُ وَالظَّفْرُ
وَالْحَجْرُ
وَيَحْتَفِي الْحَجْرُ بِالصُّوَامِ
غَدَا يَهْلُ هِلَالُ الصَّوْمِ مُوتَلَفًا
فِي مَوْكَبٍ مَشْرُقٍ وَاللَّيْلُ يَعْتَكِرُ
رَنْتٌ إِلَيْهِ قُلُوبٌ فِي قَرَارَتِهَا
لَحْبَهُ سَكَنٌ حَلْوُ الرُّؤْيِ
نَضِرُ
غَدَا تُؤَدِّنُ بِالْبُشْرَى مَنَائِرُنَا
وَالنَّذْرُ
نَغْفُو وَنصْحُو عَلَى ذِكْرَى شِمَائِلِهِ
رَأَيْتُهُ قَبْلَ عَامٍ فِي مَسَاجِدِنَا
يُضِيءُ فِي رَاحَتِيهِ الشَّمْسُ
وَالْقَمْرُ

يُهْدِي مَكَارِمَهُ لِلنَّاسِ تَذْكَرَةً يُصْغِي
لَهَا السَّمْعُ وَالْإِحْسَاسُ وَالْبَصَرُ
■ يَا مُسْتَقْبَلًا رَمَضَانَ ... أَقْصِر !!
إِنْ أَوْلَ شَرٍّ يَرْتَكِبُهُ أَهْلُ الْغَفْلَةِ وَبِغَاةِ الشَّرِّ هُوَ أَنَّهُمْ يَسْتَقْفُونَهُ ، وَيَعْدُونَ
أَيَّامَهُ وَلَيَالِيَهُ وَسَاعَاتِهِ ، لِأَنَّ رَمَضَانَ يَحْجُبُ عَنْهُمْ الشَّهَوَاتِ ، وَيَمْنَعُهُمُ اللَّذَاتِ .
■ يَا مُتَعَمِّدًا الْإِفْطَارَ فِي نَهَارِ رَمَضَانَ ... أَقْصِر !
وَمَنْ بَغَاةَ الشَّرِّ مِنْ لَا يَسْتَقْفُونَ رَمَضَانَ أَصْلًا ، لِأَنَّهُمْ لَا يَصُومُونَ ، بَلْ
يَجَاهِرُونَ بِالْفَطْرِ فِي الطَّرِيقَاتِ ، دُونَ حِيَاءٍ مِنَ اللَّهِ ، وَلَا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ . وَمَنْ
شَرِكَاءَ هَوْلَاءَ فِي الْوُزْرِ أَصْحَابِ الْمَطَاعِمِ الَّذِينَ يَفْتَحُونَ مَحَالِمَهُمْ لِتَرْحُبَ
بِالْفَاسِقِينَ الْمَفْطَرِينَ بِغَيْرِ عَذْرِ ، وَيَعَاوَنُونَهُمْ عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ اللَّهِ
وَرَسُولِهِ ص .

عَنْ أَبِي أَمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص يَقُولُ : \$بَيْنَمَا أَنَا
نَائِمٌ إِذْ أَتَانِي رَجُلَانِ ، فَأَخَذَا بَصْبَعِي - عَضْدِي - فَاتَيَا بِي جِبِلًّا وَعَرًّا ، فَقَالَا :
اصْعِدْ ، فَقُلْتُ : إِنِّي لَا أَطِيقُهُ ، فَقَالَا : «سُنْسَهْلُهُ لَكَ» ، فَصَعِدْتُ حَتَّى إِذَا كُنْتُ
فِي سَوَاءِ الْجِبَلِ إِذَا بِأَصْوَاتٍ شَدِيدَةٍ ، قُلْتُ : مَا هَذِهِ الْأَصْوَاتُ ؟ قَالُوا : هَذَا عَوَاءُ
أَهْلِ النَّارِ ، ثُمَّ أَنْطَلَقْتُ بِي ، فَإِذَا أَنَا بِقَوْمٍ مُعَلَّقِينَ بِعَرَاقِبِهِمْ ، مُشَفَّقَةً أَشْدَاقَهُمْ ،
تَسِيلُ أَشْدَاقَهُمْ دَمًا ، قُلْتُ : «مَنْ هَوْلَاءُ ؟» قَالَا : هَوْلَاءُ الَّذِينَ يُفْطِرُونَ قَبْلَ
تَحَلِّهِ صَوْمِهِمْ # (صحيح رواه ابن خزيمة وابن حبان)

الضَّبَعُ : الْعَضْدُ ، الْوَعْرُ : الصَّعْبُ ، وَالصَّلْبُ ، الشَّدَقُ : جَانِبُ الْفَمِ مِمَّا
تَحْتَ الْخَدِّ ، قَبْلَ تَحَلِّهِ صَوْمِهِمْ أَيُّ يُفْطِرُونَ قَبْلَ وَقْتِ الْإِفْطَارِ .
فَإِذَا كَانَ هَذَا وَعِيدٌ مَنْ يُفْطِرُونَ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ وَلَوْ بِدَقَائِقٍ مَعْدُودَاتٍ ،
فَكَيْفَ بَمَنْ يُفْطِرُ الْيَوْمَ كُلَّهُ ؟ !

قال الحافظ الذهبي / : \$وعند المؤمنين مقرر: أن من ترك صوم رمضان
بلا عذر أنه شر من الزاني ومدمن الخمر ، بل يشكون في إسلامه ، ويظنون به
الزندقة والإنحلال # اهـ .

■ يَا تَارِكَ الصَّلَاةِ أَقْصِر !

وأعظم بغاة الشر في رمضان تارك الصلاة الذي لا يتوب من جريمة كبرى ، قال الله سبحانه في شأن تاركها (مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنْ الْمُصَلِّينَ) (المائدة: 43؛ 42). وقال في شأنها رسول الله ص: \$العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة ، فمن تركها فقد كفر# (صحيح رواه أحمد و الترمذي و النسائي) ، وقال ص: \$بين الرجل وبين الشرك والكفر: ترك الصلاة# (رواه مسلم). وقال ص: \$ليس بين العبد والشرك إلا ترك الصلاة ؛ فإذا تركها فقد أشرك# (صحيح رواه ابن ماجه).

وقال النبي ص: \$من حافظ عليها ، كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة# (صحيح رواه أبو داود والنسائي).
(صحيح رواه أبو داود والنسائي).
وعن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ص أنه ذكر الصلاة يوماً فقال: «من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة ، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة ، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي خلف» (حسن رواه أحمد).

وقال الإمام المحقق ابن القيم /: \$لا يختلف المسلمون أن ترك الصلاة المفروضة عمداً من أعظم الذنوب وأكبر الكبائر ، وأن إثمه عند الله أعظم من إثم قتل النفس ، وأخذ الأموال ، ومن إثم الزنا والسرقه وشرب الخمر ، وأنه متعرض لعقوبة الله وسخطه وخزيه في الدنيا والآخرة# اهـ.

وبعيداً عن الخلاف الفقهي في كفر تارك الصلاة ، هل هو كفر أكبر مخرج من الملة أو هو كفر لا يخرج من الملة ، فدعني أهمس في أذنك يا تارك الصلاة : هل تقبل أن تكون انتماؤك لدين الإسلام ، وإيمانك بالله ورسوله وكتابه قضية محل خلاف ، فعلماء يقولون: (أنت كافر مثل فرعون وقارون وأبي جهل وأبي لهب) ، وفريق آخر يقول: (بل فاسق مجرم شرير أشد خبثاً من قاتل النفس ، وسارق المال ، وأكل الربا ، والزاني ، وشارب الخمر؟!).

يا تاركاً لصلاته
وتقول في أوقاتها :
إن الصلاة لتشتكي
الله يلعن تاركه.

■ يا أيتها المتبرجة ... أقصري !

ومن بغاة الشر في هذا الشهر الكريم المتبرجات بالزينة اللائي لا ينوين التوبة من هذه الكبيرة ، بل يبيغين الفساد بالإصرار على إظهار الزينة للأجانب من الرجال ، والخروج إلى الأسواق والطرفات والمجامع متعطرات متطيبات ، كاسيات عاريات... فاتق الله يا أمة الله في نفسك ، وفي عباد الله الصائمين ، ولا تكوني رسول الشيطان إليهم لتفسدي قلوبهم وتشوشي صيامهم ، بل قري في بيتك ، فإن خرجت ولا بد فاستتري بالحجاب الكامل ، وتأدبي بأداب الإسلام.

قال رسول الله ص: \$صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رءوسهن كأسنمة البخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا» (رواه مسلم).

■ يا أهل الفن والإعلام: أقصروا!

إن رمضان فرصة ثمينة للتوبة والإنابة إلى الله عز وجل: وأنتم تحولونه إلى فرصة لنشر الفساد وإشاعة الفواحش ، فانضموا إلى صفوف أولياء الله المنقين ، وسخروا الإعلام في خدمة الدين ، وإشاعة المعروف والنهي عن المنكر ، وذكروهم بالقرآن والسنة ، ولا تشغلهم بالأغاني والمسلسلات ، والفوازير ، والرقصات ، قبيح بكم أن تبارزوا ربكم بالحرب في شهره الكريم ، وتكتفوا حربكم على الدين والأخلاق ، كأنكم تشفقون من بوار تجارتكم الشيطانية في هذا الشهر المبارك ، فتضاعفون من مجهودكم لتصدوا الناس عن سبيل الله لا ، وتبغوها عوجاً .

إن المنادي يناديكم من أول ليلة في رمضان ... أقصروا يا بغاة الشر ، فإن أصبرتم فإن ربكم لبالمرصاد ، قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) (النور: 19) .
ويا أيها المسلمون الصائمون :فروا من الفيديو والتلفاز والصحف الفاسدة فراركم من الأسد ، إن الفنايين هم قطاع الطريق إلى الله ، إنهم ميمن قال الله فيهم: (أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهِ يَدْعُو إِلَى الْحَنَةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ) (البقرة: 221) ، وقال: (وَلَا تَطْعَمَنَّ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا) (الكهف: 28) ، وقال تعالى: (إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى * فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى) (طه: 15 - 16) ، وقال تعالى: (وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهْوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا * يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا) (النساء: 27:28) .

فتذكر يا عبد الله الصائم قوله تبارك وتعالى: (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا) (الإسراء: 36) ، وأهل ألفن يدعونك إلى زنا العين ، وزنا الأذن ، فكيف تطاوعهم وأنت مسلم؟! وكيف تشاركهم وأنت صائم؟! وكيف لا تقول إذا دعاك الشياطين إلى هذه المعاصي: \$إني صائم ، إني صائم #؟! وإذا كنت في الصيام تحرم الحلال من الطعام والشراب والشهوة امتثالاً لأمر الله ، فكيف تستبيح ما هو حرام قطعاً من إطلاق البصر إلى النساء الفاجرات ، إلا ما أصدق يقول الصادق المصدوق ص: \$مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ # (رواه البخاري) . ، وقوله ص: \$رَبِّ قَاتِمِ حَظَّهُ مِنْ قِيَامِهِ السَّهْرُ ، وَرَبِّ صَائِمِ حَظَّهُ مِنْ صِيَامِهِ الْجُوعِ وَالْعَطَشِ # (صحيح رواه أحمد والحاكم والبيهقي) ، وقوله ص: \$ الصَّيَامُ جَنَةٌ ، وَإِذَا كَانَ يَوْمٌ صَوْمٌ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ ، وَلَا يَصْحَبْ ، فَإِنْ سَابَهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إني امرؤ صائم # (رواه البخاري) .

فيا عاكفين أمام الممثلات والراقصات ، أين أنتم من عباد الرحمن الذين: (لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللُّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا) (فرقان 72) ، و (وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ) (المؤمنون 3) ، لقد بين الله - الحكمة من تشريع الصيام

في قوله جل وعلا: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (البقرة 183).

ولقد سأل أمير المؤمنين عمر ت أبي بن كعب ت : ما التقوى؟ ، فقال أبي:

« يا أمير المؤمنين أما سلكت طريقاً ذات شوك؟ ، قال: بلى ، قال: فماذا صنعت؟ ، قال: شممتُ واجتهدتُ ، قال: فذلك التقوى .»

وسئل أمير المؤمنين علي ت عن معنى التقوى ، فقال: «هي الخوف من الجليل ، والعمل بالتنزيل ، والقناعة بالقليل ، والاستعداد ليوم الرحيل .»

حَلَّ الذُّنُوبِ صَغِيرَهَا
واصنع كماش فوق أرض
وكبيرها ذاك التقى.
الشوك يحذر ما يرى.
لَا تَحْقِرَنَّ صَغِيرَةً
إِنَّ الْجِبَالَ مِنَ الْحَصَى.

ولقد قال رسول الله ص: \$الصِّيَامُ جُنَّةٌ # أي وقاية تنقي بها كل ما نخشاه ، وننال به كل ما نتمناه ، فالصوم وقاية للسان في نطقه ، وللعين في بصرها ، وللأذن في سماعها ، وهكذا كل الجوارح تنقي ما نهي عنه ، قال جابر بن عبد الله م: \$إِذَا صُمْتَ فَلْيَصْمِمْ سَمْعَكَ وَبَصْرَكَ وَلسَانَكَ عَنِ الْكُذْبِ وَالْمَاتَمِ ، وَدَعِ أَدَى الْجَارِ ، وَلِيَكُنْ عَلَيْكَ وَقَارٌ وَسَكِينَةٌ يَوْمَ صَوْمِكَ ، وَلَا تَجْعَلْ يَوْمَ فَطْرِكَ وَيَوْمَ صَوْمِكَ سِوَاءً #.

■ يا خائضاً في أعراض الناس ... أقصر !!
فقد قال تعالى: (وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْنَاهُ وَإِقْفَاءُ اللَّهِ أَنْ اللَّهُ تَوَّابٌ رَحِيمٌ) (الحجرات 12) ، وقال ص: \$الغيبية: ذُكِرْكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُهُ # (رواه مسلم). وقال القرطبي /: \$لا خلاف أن الغيبية من الكبائر ، وأن من اغتاب أحداً عليه أن يتوب إلى الله لا #

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: «لَمَّا عَرَجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نَحَاسٍ يَخْمَشُونَ وَجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جَبْرِيْلُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لَحْمَ النَّاسِ وَيَقْعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ.» (صحيح رواه أحمد و أبو داود)

(يخمشون) أي يخدشون ، حَمَشَتِ الْمَرْأَةُ كَضَرَبَ وَجْهَهَا بِظُفْرِ جَرَحَتْ ظَاهِرَ الْبَشْرَةِ. (يَأْكُلُونَ لَحْمَ النَّاسِ): أَي يَغْتَابُونَ الْمُسْلِمِينَ.

لَمَّا كَانَ حَمَشَ الرَّجُلِ وَجْهَهُ وَالصَّدْرَ مِنْ صِفَاتِ النِّسَاءِ النَّائِحَاتِ جَعَلَهُمَا جَزَاءً مَنْ يَغْتَابُ وَيَقْرِي فِي أَعْرَاضِ الْمُسْلِمِينَ إِشْعَارًا بِأَنَّهُمَا لَيْسَتَا مِنْ صِفَاتِ الرِّجَالِ بَلْ هُمَا مِنْ صِفَاتِ النِّسَاءِ فِي أَفْبَحِ حَالَةٍ وَأَشْوَهِ صُورَةٍ

عَنْ أَبِي بَرزَةَ الْأَسْلَمِيِّ تَقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: «يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانَ قَلْبَهُ لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ ، فَإِنَّهُ مَنْ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ ، وَمَنْ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ.» (صحيح رواه أحمد و أبو داود)

وعن طليق بن قيس قال: قال أبو ذر ت: \$إِذَا صُمْتَ فَتَحَقَّقْ مَا اسْتَطَعْتَ # فكان طليق إذا كان يوم صيامه دخل ، فلم يخرج إلا إلى صلاة.

وعن مجاهد قال: \$من أحب أن يسلم له صومه ؛ فليتجنب الغيبة والكذب

#

وعن حفصة بنت سيرين قالت: \$الصيام جُنَّةٌ ، ما لم يخرقها صاحبها ، وخرقها الغيبة#.

وعن ميمون بن مهران: \$إن أهون الصوم ترك الطعام والشراب #.

وقال الشاعر :

إذا لم يكن في السمع منِّي تَصَوُّنٌ وفي بصري غَضٌّ ، وفي منطقي صَمْتُ

فَحَظِّي إِذَا مِنْ صَوْمِي الْجَوْعُ وَالظَّمَا وإن قُلْتُ: \$إني صُمْتُ يَوْمًا #فما صُمْتُ

■ وهذه وصايا لكل مسلم ومسلمة في هذا الشهر الكريم :

* ينبغي أن يقدم في شعبان قضاء ما فاته من صيام رمضان الماضي.

* من سنة المصطفى ص صيام أغلب شهر شعبان لأنه لرمضان كنوافل

للصلاة

* احرص على قيام أول ليلة من رمضان وهي ليلة الرؤيا ، ولا تفوتها ،

كي تنال فضيلة قيام رمضان كله.

* اصبر على القيام خلف إمامك في التراويح إلى أن ينصرف كي يكتب

لك قيام ليلة كاملة.

* احرص على صلاة المغرب في جماعة المسجد ، فإنه ينبغي تعمير

المساجد بالجماعة في رمضان أكثر من غيره.

* لا تضع سنة العشاء البعدية ، وهما ركعتان بعد العشاء ، وقبل القيام.

* لا تسهر سهرًا يضر بمواظبتك على حضور صلاة الفجر بالمسجد.

■ احرص على تطبيق الأحاديث الشريفة التالية:

(1) عن أبي أمامة ت قال رسول الله ص: \$صَلَاةٌ فِي إِثْرِ صَلَاةٍ لَا لَعْوَى

بَيْنَهُمَا ؛ كِتَابٌ فِي عَلَيِّينَ # (حسن رواه أبو داود).

(2) عن أنس ت قال: يقال ص: \$مَنْ صَلَّى الْغَدَاةَ فِي جَمَاعَةٍ ثُمَّ قَعَدَ

يَذْكُرُ اللَّهَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ كَانَتْ لَهُ كَأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ قَالَ

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص تَامَةً تَامَةً تَامَةً». (صحيح رواه الترمذي).

(الغداة) : الصبح (ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ) أَي ثُمَّ صَلَّى بَعْدَ أَنْ تَرْتَفَعَ الشَّمْسُ

فَدَرَّ رُوحٌ حَتَّى يَخْرُجَ وَقْتُ الْكَرَاهَةِ ، وَهَذِهِ الصَّلَاةُ تُسَمَّى صَلَاةَ الْإِشْرَاقِ وَهِيَ

أَوَّلُ صَلَاةِ الضُّحَى.

(3) عن أم حبيبة بقال رسول الله ص: \$مَنْ صَلَّى فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ نَتَيْ

عَشْرَةَ رَكْعَةٍ بَنِي لَهُ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ : أَرْبَعًا قَبْلَ الظُّهْرِ ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَهَا ،

وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرَبِ ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْعِشَاءِ ، وَرَكْعَتَيْنِ قَبْلَ صَلَاةِ الْفَجْرِ

#(صحيح رواه الترمذي).

(4) عن أنس ت قال رسول الله ص: \$مَنْ صَلَّى لِلَّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا فِي

جَمَاعَةٍ يَذْرُكُ التَّكْبِيرَةَ الْأُولَى كَتَبَتْ لَهُ بَرَاءَتَانِ بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ وَبَرَاءَةٌ مِنَ

النِّفَاقِ # (حسن رواه الترمذي).

(5) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ت قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ

صَائِمًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ ت: أَنَا.

قَالَ: «فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟».
 قَالَ أَبُو بَكْرٍ ت: أَنَا.
 قَالَ: «فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟».
 قَالَ أَبُو بَكْرٍ ت: أَنَا.
 قَالَ: «فَمَنْ عَادَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟».
 قَالَ أَبُو بَكْرٍ ت: أَنَا.
 فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: «مَا اجْتَمَعَنَ فِيَّ امْرِي إِلاَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ» (رواه مسلم).

■ عباد الله سيأتي الموت على الجميع :
 كم من أخ نعرفه صام معنا و قام في رمضان الماضي و ما قبله ، ثم صار إلى عالم الدود و اللحد ، بعد أن استلته هادم اللذات من بيننا ، وسيأتي الموت على الجميع ، إن عاجلاً و إن أجلاً .

تَمُرُّ بنا الأيامُ تَتَرَى وائْتَمَا
 فليسَ عن لَقِيَا المنيّةِ صارِفٌ
 يا نفسُ فالتَمِسيِ النجاةَ بنوْبَةٍ
 فها اغتتما هذه الفرصة للتزود ، فإن خير الزاد التقوى ، و هي الغاية الكبرى من مشروعية الصيام قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (البقرة 183) فالصائم الصادق الصالح هو الذي يتق الله في صومه ، فيصوم جوفه ، و فرجه ، و سائر جوارحه ، صوماً يققه عن المعاصي ، و يحجزه عن الحرمات ، فلا يقول إلا خيراً ، و لا يسمع إلا خيراً ، و لا يفعل إلا خيراً ، و يقطع عن قول الزور و العمل به ، فمن لم يكن كذلك فليس لله حاجة في أن يدع طعامه و شرابه ، كما صح بذلك الخبر عن خير البشر فيما رواه الإمام البخاري في صحيحه كيف لا ، و للصيام منزلة رفيعة بين العبادات ، ففي الحديث القدسي الذي رواه الشيخان يقول الله لأبي : « كُلَّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلاَّ الصَّوْمُ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ » ، و الحكمة في ذلك أن الصوم سر بين العبد و بين ربه ، لا يطلع عليه أحد سواه ، و قيل : (فَإِنَّهُ لِي) أي لم يتعبد أحد بمثله إلا أنا ، فالعباد يركعون لبعضهم و يسجدون ، و ينفقون تزلفاً و تملقاً ، و يقصد بعضهم بعضاً ، إلى غير ذلك مما يصرفه بعضهم لبعض من الأعمال . أما الصوم فلا يُعرف أن أحداً يصوم لأحد غير الله لأبي .

و المؤمن الرشيد - يا عباد الله - يقدم بين يدي رمضان توبة تحجزه عن الملاهي والمنكرات ، التي تكتظ بها و سائل الإعلام و الإجرام ، و يتزود بالتقوى والإنابة ، قبل تزوده بالطعام و الشراب و الثمار المستطابة .

مَضَى رَجَبٌ و ما أحسنت فيه
 فها من ضَيَعِ الأوقاتِ جهلاً
 تدارك ما استطعت من الليالي
 و عليكم في رمضان خاصة بكتاب ربكم خيراً ، فإن القرآن و رمضان شفيعان مشفيعان يوم القيامة ؛ قال ص : \$ الصيامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفِيعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، يَقُولُ الصَّيَامُ : « أَيُّ رَبِّ مَنَعْتَهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ » ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ : « مَنَعْتَهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ » قال : فَيُشْفِعَانِ # (صحيح رواه الإمام أحمد)

مُقَلَّ العيون بليها لا تهجع
 منع الكتاب بوَعْدِهِ و وَعِيدِهِ
 فهُمُوا عن الملك العظيم كلامه
 وتخضع

46- رمضان شهر الجهاد

كنا جبلاً في الجبالِ وربِّما
سِرْنَا على موج البحارِ
بمعابدِ الإفرنجِ كان أذاننا
بحاراً
لم تنسَ إفريقيا ولا صحراؤها
ناراً
كنا نقدّمُ للسيوفِ صدورنا
جبارةً
■ لنا في الرسولِ الأسوةُ الحسنةُ:

لما كَانَ الْجِهَادُ ذُرْوَةَ سَنَامِ الْإِسْلَامِ وَفُتِبَتْهُ وَمَنَازِلُ أَهْلِهِ أَعْلَى الْمَنَازِلِ فِي الْجَنَّةِ كَمَا لَهُمُ الرَّفْعَةُ فِي الدُّنْيَا فَهُمْ الْأَعْلَوْنَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص فِي الذَّرْوَةِ الْعُلْيَا مِنْهُ ، وَاسْتَوَلَى عَلَى أَنْوَاعِهِ كُلِّهَا فَجَاهَدَ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ بِالْقَلْبِ وَالْحِنَانِ وَالِدَعْوَةِ وَالْبَيَانِ وَالسِّيْفِ وَالسَّنَانِ ، وَكَانَتْ سَاعَاتُهُ مَوْفُوفَةً عَلَى الْجِهَادِ بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ وَيَدِهِ . وَلِهَذَا كَانَ أَرْفَعَ الْعَالَمِينَ ذِكْرًا وَأَعْظَمَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ قَدْرًا . وَأَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْجِهَادِ مِنْ جِبِينِ بَعْتِهِ وَقَالَ : (وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا فَلَا تُطْعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا) (الْفُرْقَانُ : 52) فَهَذِهِ سُورَةٌ مَكِّيَّةٌ أَمَرَ فِيهَا بِجِهَادِ الْكُفَّارِ بِالْحُجَّةِ وَالْبَيَانِ وَتَبْلِيغِ الْقُرْآنِ وَكَذَلِكَ جِهَادُ الْمُنَافِقِينَ إِنَّمَا هُوَ بِتَبْلِيغِ الْحُجَّةِ وَالْإِلَّا فَهُمْ تَحْتَ قَهْرِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ قَالَ تَعَالَى : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) (التَّوْبَةُ 73)

فَجِهَادُ الْمُنَافِقِينَ أَصْعَبُ مِنْ جِهَادِ الْكُفَّارِ وَهُوَ جِهَادُ حَوَاصِّ الْأُمَّةِ وَوَرَثَةُ الرَّسُلِ وَالْقَائِمُونَ بِهِ أَفْرَادًا فِي الْعَالَمِ وَالْمُشَارِكُونَ فِيهِ وَالْمُعَاوِنُونَ عَلَيْهِ وَإِنْ كَانُوا هُمْ الْأَقْلِينَ عَدَدًا فَهُمْ الْأَعْظَمُونَ عِنْدَ اللَّهِ قَدْرًا .
وَلَمَّا كَانَ مِنْ أَفْضَلِ الْجِهَادِ قَوْلُ الْحَقِّ مَعَ شِدَّةِ الْمُعَارِضِ مِثْلَ أَنْ تَتَكَلَّمَ بِهِ عِنْدَ مَنْ تَخَافُ سَطْوَتَهُ وَأَدَاهُ كَانَ لِلرَّسُلِ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَسَلَامُهُ - مِنْ ذَلِكَ الْحِظِّ الْأَوْفَرَ وَكَانَ لِنَبِيِّنَا - صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ - مِنْ ذَلِكَ أَكْمَلُ الْجِهَادِ وَأَتَمُّهُ .

■ جِهَادُ أَعْدَاءِ اللَّهِ فَرَعٌ عَلَى جِهَادِ النَّفْسِ
وَلَمَّا كَانَ جِهَادُ أَعْدَاءِ اللَّهِ فِي الْخَارِجِ فَرَعًا عَلَى جِهَادِ الْعَبِيدِ نَفْسِهِ فِي ذَاتِ
قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « الْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ ،
وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ » (صحيح رواه الإمام أحمد) ، كَانَ
جِهَادُ النَّفْسِ مُقَدِّمًا عَلَى جِهَادِ الْعَدُوِّ فِي الْخَارِجِ وَأَصْلًا لَهُ ؛ فَإِنَّهُ مَا لَمْ يُجَاهِدْ
نَفْسَهُ أَوَّلًا لَيَتَفَعَّلَ مَا أَمَرَتْ بِهِ وَتَتْرَكَ مَا نَهَيْتَ عَنْهُ وَيُحَارِبُهَا فِي اللَّهِ لَمْ يُمَكِّنْهُ
جِهَادُ عَدُوِّهِ فِي الْخَارِجِ ، فَكَيْفَ يُمَكِّنُهُ جِهَادُ عَدُوِّهِ وَالْإِنْتِصَافُ مِنْهُ وَعَدُوُّهُ الَّذِي

بَيْنَ جَنْبَيْهِ قَاهِرٌ لَهُ مُنْسَلَطٌ عَلَيْهِ لَمْ يُجَاهِدْهُ وَأَمْ يُحَارِبُهُ فِي اللَّهِ ، بَلْ لَا يُمَكِّنُهُ الْخُرُوجُ إِلَى عَدُوِّهِ حَتَّى يُجَاهِدَ نَفْسَهُ عَلَى الْخُرُوجِ .
 ■ هُنَاكَ جِهَادٌ ثَالِثٌ هُوَ جِهَادُ الشَّيْطَانِ :

فَهَذَانِ عَدُوَانِ قَدْ أُمْتَحِنَ الْعَبْدُ بِجِهَادِهِمَا وَبَيْنَهُمَا عَدُوٌّ ثَالِثٌ لَا يُمَكِّنُهُ جِهَادُهُمَا إِلَّا بِجِهَادِهِ ، وَهُوَ وَاقِفٌ بَيْنَهُمَا يَنْبِطُ الْعَبْدُ عَنْ جِهَادِهِمَا وَيَخَذُلُهُ وَيَرْجُفُ بِهِ ، وَلَا يَزَالُ يُحِيلُ لَهُ مَا فِي جِهَادِهِمَا مِنَ الْمَشَاقِّ وَتَرِكَ الْحُطُوظَ وَفَوَتْ اللَّذَاتِ وَالْمُشْتَهِيَاتِ ، وَلَا يُمَكِّنُهُ أَنْ يُجَاهِدَ ذَنْبِكَ الْعَدُوِّينِ إِلَّا بِجِهَادِهِ فَكَانَ جِهَادُهُ هُوَ الْأَصْلُ لِجِهَادِهِمَا وَهُوَ الشَّيْطَانُ قَالَ تَعَالَى : (إِنْ الشَّيْطَانُ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا) (فَاطِرٌ : 6) وَالْأَمْرُ بِاتِّخَاذِهِ عَدُوًّا تَنْبِيهُ عَلَى اسْتِفْرَاحِ الْوَسْعِ فِي مُحَارَبَتِهِ وَمُجَاهَدَتِهِ كَأَنَّهُ عَدُوٌّ لَا يَفْتَرُ وَلَا يَقْصِرُ عَنْ مُحَارَبَةِ الْعَبْدِ عَلَى عَدَدِ الْأَنْفَاسِ .

فَهَذِهِ ثَلَاثَةُ أَعْدَاءِ أَمْرِ الْعَبْدِ بِمُحَارَبَتِهَا وَجِهَادِهَا وَقَدْ بَلَّيَ بِمُحَارَبَتِهَا فِي هَذِهِ الدَّارِ وَسُلْطَتِ عَلَيْهِ أَمْتَحَانًا مِنْ اللَّهِ لَهُ وَابْتِلَاءٌ فَأَعْطَى اللَّهُ الْعَبْدَ مَدَدًا وَعُدَّةً وَأَعْوَانًا وَسِلَاحًا لِهَذَا الْجِهَادِ وَأَعْطَى أَعْدَاءَهُ مَدَدًا وَعُدَّةً وَأَعْوَانًا وَسِلَاحًا وَيَلَا أَحَدَ الْفَرِيقَيْنِ بِالْآخَرِ وَجَعَلَ بَعْضَهُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً لِيَبْلُوَ أَخْبَارَهُمْ وَيَمْتَحِنَ مَنْ يَتَوَلَّاهُ وَيَتَوَلَّى رُسُلَهُ مِمَّنْ يَتَوَلَّى الشَّيْطَانَ وَحَزْبَهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى : (وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَنْتَصِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا) (الْفُرْقَانُ : 20) ، وَقَالَ تَعَالَى : (ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ) (مُحَمَّدٌ : 4) ، وَقَالَ تَعَالَى : (وَانْبَلَوْنَكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ) (مُحَمَّدٌ : 31) .

■ مَعْنَى وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ :
 وَأَمَرَ اللَّهُ لَا عِبَادَةَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُجَاهِدُوا فِيهِ حَقَّ جِهَادِهِ كَمَا أَمَرَهُمْ أَنْ يَتَّقُوهُ حَقَّ تَقَاتِهِ قَالَ لَا : (وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَلَّةً أَوْ كِبْرًا هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ) (الْحَجَّ : 78) وَقَالَ لَا : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) (آلِ عِمْرَانَ : 102) .

وَكَمَا أَنَّ حَقَّ تَقَاتِهِ أَنْ يُطَاعَ فَلَا يُعْصَى وَيُذَكَّرَ فَلَا يُنْسَى وَيُشْكَّرَ فَلَا يُكْفَرُ ، فَحَقَّ جِهَادِهِ أَنْ يُجَاهِدَ الْعَبْدُ نَفْسَهُ لِيُسَلِّمَ قَلْبَهُ وَلِسَانَهُ وَجَوَارِحَهُ لِلَّهِ ، فَيَكُونَ كُلُّهُ لِلَّهِ وَبِاللَّهِ لَا لِنَفْسِهِ وَلَا بِنَفْسِهِ ، وَيُجَاهِدُ شَيْطَانَهُ بِتَكْذِيبِ وَعَدِهِ وَمَعْصِيَةِ أَمْرِهِ وَارْتِكَابِ نَهْيِهِ فَإِنَّهُ يَعِدُ الْأَمَانِيَّ وَيَمْتَنِي الْغُرُورَ وَيَعِدُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَيَنْهَى عَنِ التَّقَى وَالْهُدَى وَالْعَقَّةَ وَالصَّبْرَ ؛ فَجَاهِدُهُ بِتَكْذِيبِ وَعَدِهِ وَمَعْصِيَةِ أَمْرِهِ ، فَيُنْشَأُ لَهُ مِنْ هَذَيْنِ الْجِهَادَيْنِ قُوَّةٌ وَسُلْطَانٌ وَعُدَّةٌ يُجَاهِدُ بِهَا أَعْدَاءَ اللَّهِ فِي الْخَارِجِ بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ وَيَدِهِ وَمَالِهِ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا .

وَاحْتَلَفَتْ عِبَارَاتُ السَّلَفِ فِي حَقِّ الْجِهَادِ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : هُوَ اسْتِفْرَاحُ الطَّاقَةِ فِيهِ وَالْأَبْخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لِأَيْمٍ.
 وَقَالَ مُقَاتِلٌ : اَعْمَلُوا لِلَّهِ حَقَّ عَمَلِهِ وَاعْبُدُوهُ حَقَّ عِبَادَتِهِ. وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ : هُوَ مُجَاهَدَةُ النَّفْسِ وَالْهَوَى.
 ■ مَرَاتِبُ الْجِهَادِ :

الْجِهَادُ أَرْبَعُ مَرَاتِبٍ: جِهَادُ النَّفْسِ وَجِهَادُ الشَّيْطَانِ وَجِهَادُ الْكُفَّارِ وَجِهَادُ الْمُنَافِقِينَ.

فَجِهَادُ النَّفْسِ أَرْبَعُ مَرَاتِبٍ أَيْضًا :
 إِحْدَاهَا: أَنْ يُجَاهِدَهَا عَلَى تَعَلُّمِ الْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ الَّذِي لَا فَلَاحَ لَهَا وَلَا سَعَادَةَ فِي مَعَايِشِهَا وَمَعَادِهَا إِلَّا بِهِ وَمَتَى فَاتَهَا عِلْمُهُ شَقِيَّتٌ فِي الدَّارَيْنِ.
 الثَّانِيَّةُ: أَنْ يُجَاهِدَهَا عَلَى الْعَمَلِ بِهِ بَعْدَ عِلْمِهِ وَإِلَّا فَمُجَرَّدُ الْعِلْمِ بِلَا عَمَلٍ إِنْ لَمْ يَضُرَّهَا لَمْ يَنْفَعَهَا.

الثَّلَاثَةُ: أَنْ يُجَاهِدَهَا عَلَى الدَّعْوَةِ إِلَيْهِ وَتَعْلِيمِهِ مَنْ لَا يَعْلَمُهُ وَإِلَّا كَانَ مِنَ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْهُدَى وَالنَّبِيَّاتِ وَلَا يَنْفَعُهُ عِلْمُهُ وَلَا يُنْجِيهِ مِنَ عَذَابِ اللَّهِ.

الرَّابِعَةُ: أَنْ يُجَاهِدَهَا عَلَى الصَّبْرِ عَلَى مَشَاقِّ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ وَأَدَى الْخَلْقِ وَيَتَحَمَّلُ ذَلِكَ كُلَّهُ لِلَّهِ.

فَإِذَا اسْتَكْمَلَ هَذِهِ الْمَرَاتِبَ الْأَرْبَعَةَ صَارَ مِنَ الرَّبَّانِيِّينَ فَإِنَّ السَّلَفَ مُجْمِعُونَ عَلَى أَنَّ الْعَالِمَ لَا يَسْتَحِقُّ أَنْ يُسَمَّى رَبَّانِيًّا حَتَّى يَعْرِفَ الْحَقَّ وَيَعْمَلَ بِهِ وَيَعْلَمَهُ فَمَنْ عَمِلَ وَعَمِلَ وَعَلِمَ فَمَا ذَاكَ يُدْعَى عَظِيمًا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ.

■ مَرَاتِبُ جِهَادِ الشَّيْطَانِ :
الأولى: جهاده على دفع ما يُلقَى إلى العبد من الشبهات والشكوك القادحة في الإيمان.

الثانية: جهاده على دفع ما يُلقى إليه من الإراذات الفاسدة والشهوات. فالجهاد الأول يكون بعده اليقين والثاني يكون بعده الصبر. قال تعالى: (24) وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ (السجدة: 24) فَأَخْبَرَ أَنْ إِمَامَةَ الدِّينِ إِنَّمَا تُنَالُ بِالصَّبْرِ وَالْيَقِينِ فَالصَّبْرُ يَدْفَعُ الشَّهَوَاتِ وَالْإِرَادَاتِ الْفَاسِدَةَ وَالْيَقِينُ يَدْفَعُ الشُّكُوكَ وَالشُّبُهَاتِ.

■ مَرَاتِبُ جِهَادِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ:
 جهاد الكفار والمنافقين أربع مراتب بالقلب واللسان والمال والنفس وجهاد الكفار أحص باليد وجهاد المنافقين أحص باللسان.

■ جهاد أرباب الظلم والبدع والمنكرات :
 جهاد أرباب الظلم والبدع والمنكرات ثلاث مراتب :
 الأولى : باليد إذا قدر ، فإن عجز انتقل إلى اللسان ، فإن عجز جاهد بقلبه فهذه ثلاثة عشر مرتبة من الجهاد ، وقد قال ص: « مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْرُ وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِالْعَزْوِ ، مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنَ النِّفَاقِ » (رواه مسلم).
 ■ فضل الجهاد في سبيل الله لا:

قال الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُفَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ، وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ. وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ، فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (التوبة: 111).

وقال الله تعالى: (لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ ، وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ، فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ، وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى ، وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا. دَرَجَاتٍ مِنْهُ ، وَمَغْفِرَةً ، وَرَحْمَةً ، وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) (النساء: 95 ، 96)

وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُجْبِكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ؟ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ. ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ، يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ، وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ، وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ، ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ، وَأُخْرَى تَحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ، وَبَشِيرٌ الْمُؤْمِنِينَ) (الصف: 10 - 13) ، والآيات في الباب كثيرة مشهورة.

* عَنْ سَلْمَانَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص يَقُولُ: « رَبَّاطُ يَوْمٍ وَبَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ ، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ ، وَاجْرِي عَلَيْهِ رِزْقُهُ وَأَمِنَ الْفِتَانَ » (رواه مسلم).

هَذِهِ فَضِيلَةٌ ظَاهِرَةٌ لِلْمُرَابِطِ ، وَجَرِيَانِ عَمَلِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ فَضِيلَةٌ مُخْتَصَّةٌ بِهِ ، لَا يُشَارِكُهُ فِيهَا أَحَدٌ ،
وَعَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «كُلُّ الْمَيِّتِ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ
إِلَّا الْمُرَابِطَ ، فَإِنَّهُ يَنْمُو لَهُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَيَوْمَئِذٍ مِنْ فَتَانِ الْقَبْرِ» (صحيح رواه أبو داود).
(كَلَّ الْمَيِّتِ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ) : الْمُرَادُ بِهِ طَيِّ صَحِيفَتِهِ وَأَنْ لَا يَكْتُبَ لَهُ

بَعْدَ مَوْتِهِ عَمَلٌ
(إِلَّا الْمُرَابِطَ) : هُوَ الْمُلَازِمُ لِلشَّجَرِ لِلجِهَادِ . قَالَ بَعْضُ الْأَيُّمَةِ : أَصْلُ
الْمُرَابِطَةِ أَنْ يَرْبُطَ الْفَرِيقَانِ خِيُولَهُمْ فِي نَعْرِ كُلِّ مِنْهُمَا مُعَدًّا لِصَاحِبِهِ ، فَسُمِّيَ
الْمُقَامُ فِي الشُّعُورِ رِبَاطًا
(يَنْمُو) : أَيُّ يَزِيدُ (إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) : يَعْنِي أَنَّ ثَوَابَهُ يَجْرِي لَهُ دَائِمًا وَلَا
يَنْقَطِعُ بِمَوْتِهِ

(وَيَوْمَئِذٍ مِنْ فَتَانِ الْقَبْرِ) أَيُّ فَتَانِيهِ وَهَمَّا مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ
الْمُرَادُ أَنَّ الْمَلَائِكِينَ لَا يَجِيبَانِ إِلَيْهِ وَلَا يَخْتَبِرَانِهِ بَلْ يَكْفِي مَوْتَهُ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ
اللَّهِ شَاهِدًا عَلَى صِحَّةِ إِيْمَانِهِ . وَيَحْتَمِلُ أَنَّهَا يَجِيبَانِ إِلَيْهِ لَكِنْ لَا يَضُرَّانِهِ وَلَا
يَحْصُلُ بِسَبَبِ مَجِيئِهِمَا فِتْنَةٌ .

قَوْلُهُ ص : (وَأَجْرِي عَلَيْهِ رِزْقُهُ) مُوَافِقٌ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى فِي الشَّهَدَاءِ :
أَحْيَاءٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْزُقُونَ .

* عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «مَنْ طَلَبَ الشَّهَادَةَ صَادِقًا
أَعْطِيَهَا وَلَوْ لَمْ تُصِبْهُ» (رواه مسلم) وفي رواية : «مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ
بِصِدْقٍ بَلَغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشَّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ» (رواه مسلم)
مَعْنَى الرَّوَايَةِ الْأُولَى مُفَسَّرٌ مِنَ الرَّوَايَةِ الثَّانِيَةِ ، وَمَعْنَاهُمَا جَمِيعًا : أَنَّهُ إِذَا
سَأَلَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ أُعْطِيَ مِنْ ثَوَابِ الشَّهَدَاءِ ، وَإِنْ كَانَ عَلَى فِرَاشِهِ . وَفِيهِ :
إِسْتِحْبَابُ سُؤْلِ الشَّهَادَةِ ، وَاسْتِحْبَابُ نِيَّةِ الْخَيْرِ .

* عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ تَعَنَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «تَكْفَلَ اللَّهُ لِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ -
لَا يُخْرِجُهُ مِنْ بَيْتِهِ إِلَّا جِهَادًا فِي سَبِيلِهِ وَتَصَدِيقَ كَلِمَتِهِ - بَأَنْ يَدْخُلَهُ الْجَنَّةَ ، أَوْ
يَرْجِعَهُ إِلَى مَسْكِنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ مَعَ مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ» (رواه مسلم).
* عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أَحَادِيثٌ مِنْهَا : وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «كُلُّ كَلِمٍ يُكَلِّمُهُ الْمُسْلِمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ
تَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهَا إِذَا طُعِنَتْ ، تَفَجَّرَ دَمًا ، اللَّوْنُ لَوْنُ دَمٍ ، وَالْعَرَفُ
عَرَفُ الْمَسْكِ» .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ فِي يَدِهِ لَوْلَا أَنْ أَشَقَّ عَلَى
الْمُؤْمِنِينَ مَا قَعَدْتُ خَلْفَ سَرِيَّةٍ تَغْرَوُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَلَكِنْ لَا أَجِدُ سَعَةً فَأَحْمِلُهُمْ
وَلَا يَجِدُونَ سَعَةً فَيَتَّبِعُونِي ، وَلَا تَطِيبُ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يَقْعُدُوا بَعْدِي» (رواه مسلم).

ورواه البخاري بلفظ: «انْتَدَبَ اللَّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ - لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا إِيْمَانٌ بِي وَتَصَدِيقٌ بِرُسُلِي - أَنْ أَرْجِعَهُ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ ، أَوْ أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ ، وَلَوْ لَا أَنْ أَشَقَّ عَلَيَّ أُمَّتِي مَا قَعَدْتُ خَلْفَ سَرِيَّةٍ ، وَلَوْ دِدْتُ أَنِّي أَقْتُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، ثُمَّ أَحْيَا ، ثُمَّ أَقْتُلُ ، ثُمَّ أَحْيَا ، ثُمَّ أَقْتُلُ» .

* عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى قَالَ : «مَا مِنْ نَفْسٍ تَمُوتُ لَهَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ يَسْرُهَا أَنَّهَا تَرْجِعُ إِلَى الدُّنْيَا ، وَلَا أَنْ لَهَا الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا إِلَّا الشَّهِيدُ ؛ فَإِنَّهُ يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ فَيُقْتَلَ فِي الدُّنْيَا لِمَا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ» (رواه مسلم) وفي رواية: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا - وَأَنَّ لَهُ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ - غَيْرَ الشَّهِيدِ فَإِنَّهُ يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ لِمَا يَرَى مِنَ الْكِرَامَةِ» (رواه مسلم) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قِيلَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى ص: مَا يَعْدِلُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ؟

قَالَ: « لَا تَسْتَطِيعُونَهُ » ، قَالَ: فَأَعَادُوا عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ، كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ: « لَا تَسْتَطِيعُونَهُ » ، وَقَالَ فِي الثَّلَاثَةِ: « مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ الْقَائِمِ بِآيَاتِ اللَّهِ ، لَا يَقْتُرُ مِنْ صِيَامٍ وَلَا صَلَاةٍ حَتَّى يَرْجِعَ الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى » (رواه مسلم).

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى ص: « لِعُدْوَةٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رَوْحَةٍ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا » (رواه البخاري ومسلم)

(الْعُدْوَةُ) : يَفْتَحُ الْعَيْنُ : السَّيْرُ أَوَّلَ النَّهَارِ إِلَى الزَّوَالِ ، وَ (الرَّوْحَةُ) السَّيْرُ مِنَ الزَّوَالِ إِلَى آخِرِ النَّهَارِ . (أَوْ) هُنَا لِلتَّفْسِيرِ لَا لِلشَّكِّ ، وَمَعْنَاهُ : أَنْ الرَّوْحَةَ يَحْصُلُ بِهَا هَذَا الثَّوَابُ ، وَكَذَا الْعُدْوَةُ ، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ لَا يَخْتَصُّ ذَلِكَ بِالْعُدْوَةِ وَالرَّوْحِ مِنْ بِلَدْتِهِ ، بَلْ يَحْصُلُ هَذَا الثَّوَابُ بِكُلِّ عُدْوَةٍ أَوْ رَوْحَةٍ فِي طَرِيقِهِ إِلَى الْعَزْوِ ، وَكَذَا بَعْدُ رَوْحَةٍ فِي مَوْضِعِ الْقِتَالِ ؛ لِأَنَّ الْجَمِيعَ يُسَمَّى عُدْوَةً وَرَوْحَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ . وَمَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ : أَنَّ فَضْلَ الْعُدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَثَوَابَهُمَا خَيْرٌ مِنْ نَعِيمِ الدُّنْيَا كُلِّهَا لَوْ مَلَكَهَا الْإِنْسَانُ ، وَتَصَوَّرَ نَعْمَهُ بِهَا كُلِّهَا ؛ لِأَنَّهُ زَائِلٌ وَنَعِيمُ الْآخِرَةِ بَاقٍ .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى ص: « مَا يَجِدُ الشَّهِيدُ مِنْ مَسِّ الْقَتْلِ إِلَّا كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ مِنْ مَسِّ الْقُرْصَةِ » (حسن صحيح رواه الترمذي).

(مِنْ مَسِّ الْقُرْصَةِ) وَفِي رَوَايَةٍ : (أَلَمْ الْقُرْصَةَ) هِيَ الْمَرَّةُ مِنَ الْقُرْصِ ، وَالْقُرْصُ : أَخَذَكَ لَحْمَ إِنْسَانٍ بِأَصْبُعِكَ حَتَّى تَوْلِمَهُ وَلسَعُ الْبَرَاعِيثِ . وَهَذَا تَسْلِيَةٌ لَهُمْ عَنْ هَذَا الْحَطْبِ الْمَهُولِ .

عَنْ الْمُقَدَّامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى ص: « لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ : يُعْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ ، وَيَجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، وَيَأْمَنُ مِنَ الْفَرَعِ الْأَكْبَرِ ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ ، الْيَأْفُوتَةُ

مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا ، وَمَا فِيهَا وَيزُوجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الحُورِ العِينِ ، وَيُشْفَعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقْرَابِهِ «(صحيح رواه الترمذي)
 قَوْلُهُ : (لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ) لَا يُوجَدُ مَجْمُوعَهَا لِأَحَدٍ غَيْرِهِ .
 (يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ مِنْ دَمِهِ) أَيُّ تُمَحَّى ذُنُوبُهُ فِي أَوَّلِ صَبَّةٍ مِنْ دَمِهِ .
 (وَيَجَارُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ) أَيُّ يَحْفَظُ وَيُؤَمِّنُ .
 قَالَ القَارِي : وَيُنْبَغِي أَنْ يُحْمَلَ قَوْلُهُ «يُرَى مَفْعَدُهُ» عَلَى أَنَّهُ عَطْفٌ
 تَفْسِيرٌ لِقَوْلِهِ يُغْفَرُ لَهُ لِئَلَّا تَزِيدَ الخِصَالُ عَلَى سِتِّ ، وَلِئَلَّا يَلْزَمُ التَّكْرَارُ فِي
 قَوْلِهِ : «وَيَجَارُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ»

(وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الوُقَارِ) أَيُّ تَاجٌ هُوَ سَبَبُ العِزَّةِ وَالْعِظَمَةِ .
 وَالتَّاجُ : مَا يُصَاغُ لِلْمُلُوكِ مِنَ الذَّهَبِ وَالجَوَاهِرِ .
 (الْيَاقُوتَةُ مِنْهَا) أَيُّ مِنَ التَّاجِ . وَالتَّائِيثُ بِاعْتِبَارِ أَنَّهُ عِلَامَةُ العِزِّ وَالشَّرَفِ ،
 أَوْ بِاعْتِبَارِ أَنَّهُ مَجْمُوعٌ مِنَ الجَوَاهِرِ وَغَيْرِهَا .
 (وَيُزَوِّجُ) أَيُّ يُعْطَى بِطَرِيقِ الرُّوحِيَّةِ (اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الحُورِ
 العِينِ) أَيُّ نِسَاءِ الجَنَّةِ ، وَاجِدَتْهَا حَوْرَاءٌ وَهِيَ الشَّدِيدَةُ بَيَاضِ العَيْنِ الشَّدِيدَةِ
 سَوَادِهَا ، وَالعَيْنُ جَمْعُ عَيْنَاءَ وَهِيَ الوَاسِعَةُ العَيْنِ (وَيُشْفَعُ) أَيُّ يُقْبَلُ شَفَاعَتُهُ .
 يَا بَنِي قَوْمِنَا سِرَاعًا إِلَى اللَّهِ فَقدَ فَازَ مَنْ يَمُوتُ شَهِيدًا
 سَارِعُوا سَارِعُوا إِلَى جَنَّةٍ قَدِ
 وَبِيعُوا الحَيَاةَ بِيَعًا مَجِيدًا
 رَمَضَانَ شَهْرَ الجِهَادِ

الصيام مصدر قوة روحية تدفع الى العمل واعتقاد المؤمن أنه يؤدي عبادة
 فرضها الخالق مما يمدده بالروح الفتى والعزم القوى ؛ لذلك كانت شهور
 رمضان أيام نصر حربي وفوز نضالي ففي مواسم هذا الشهر الكريم تحققت
 انتصارات اسلامية رائعة تبتدئ بمعركة بدر مرورًا بمعارك كثيرة أشهرها فتح
 مكة والأندلس وحطين وعين جالوت حتى جاء نصر الله وتم العبور في شهر
 رمضان.

لذلك كان هذا الشهر يحفل على مد العصور بكبريات الوقائع الحربية
 الحاسمة في تاريخ الإسلام ؛ و من يتصفح كتب التاريخ ، أو يقلب أوراقه تبرز
 أمامه صورة مشرقة لشهر عظيم ، صورة غابت عن الأعين لفترة زادت عن
 المئة عام وأصبح من الصعب على العقل أن يتصورها بعد أن بعدت الشقة بينه
 وبين مثيلاتها منذ فترة طويلة.

تلك هي الصورة المشرقة التي اتسمت بالعزة والكرامة والسؤدد والبسالة
 والانتصارات والفتوحات والتقوى والمغفرة. فالأمر لا يحتاج من الناظر إلى
 التدقيق والإمعان في كتب التاريخ حتى يصل إلى هذه الصورة المشرقة بل يكفي
 التصفح السريع أو النظرة العاجلة ؛ ليدرك ما في هذا الشهر من الأحداث و
 البطولات التي نعلمها والتي لا نعلمها والتي تتسم بأنها أحداث عظيمة على قدر

فضل شهر رمضان ، فاذا قلنا ان رمضان شهر الجهاد فهو قول يحمل مصداقه التاريخي دون جدال.

ولكن رمضاننا هذه الأيام لا نصيب له مما فات لأن سلطان الإسلام لم يعد موجوداً. فهو يأتي والأمة تنزف في مواطن كثيرة ، فهذا جرح فلسطين الغائر وذلك جرح الشيشان نازف ، وجرح ثالث في كشمير ، و رابع في جنوب الفلبين ، وخامس في بورما... و ما يبرح أن ينزف جرح جديد حتى يلحق به جرح آخر.

ففي رمضان كان غزو أفغانستان من قبل أمريكا ولما ظهرت بعض الأصوات لتقول لأمريكا بأن رمضان قادم ويجب أن نراعي حرمة فلا نغزو المسلمين ، قال بوش متبجحاً إن الدولة الإسلامية كانت تخوض المعارك في شهر رمضان - وصدق وهو كذوب - ثم يأتي بعده رمضان آخر ليشهد شلالاً من الدماء في بلد آخر بلد الرافدين ، لتتكرر نفس المشاهد ولكن مع تغير الوجوه ، قتل وتدمير وتفتيت لأجساد الأطفال والنساء والشيوخ. ليرى فيها أنواع القنابل العنقودية و التفرغية والذكية والغيبية والتقليدية وأسماء ما سمعنا بها من قبل. وعلى وقع دماء اليوم التي ما زالت تسيل أعود لأذكر بدماء زكية طاهرة سألت بالأمس وألت هذه السيول إلى العز والتمكين ليكون هذا التذكير بإذن الله فيه النفع للمسلمين :

1- غزوة بدر الكبرى في السنة الثانية من الهجرة :

ففي صبيحة سبع عشرة من رمضان من السنة الثانية للهجرة خرج المسلمون بقيادة رسول الله صلياً على آله وسلم لقرية بدر ، ولكن أبا سفيان غيّر طريقه إلى الساحل واستنفر أهل مكة ، فخرجوا لمحاربة المسلمين والتقى الجمعان في بدر في السابع عشر من رمضان سنة اثنتين للهجرة ونصر الله رسوله والمؤمنين رغم قلة عددهم وعدتهم فقد كانوا ثلاثمائة وسبعة عشر وكان المشركون أكثر من ألف.

وأثمرت نتائج النصر ثماراً كثيرة ، فقد ارتفعت معنويات المسلمين وعلت مكانتهم عند القبائل التي لم تسلم بعد ، واهتزت قريش في أعماقها وخسرت كبار صنائدها وأعمدة الكفر فيها ، وأخذت تعد للثأر والانتقام. وخلال سنة تحققت للمسلمين في المدينة عوامل أمن خارجية وداخلية فقبائل غطفان وسليم التي كانت تعد لمهاجمة المسلمين بلغها انتصار المسلمين في بدر وتحركهم بعد ذلك لضربها ، فخافت وتركت ديارها وخلفت غنائم كثيرة للمسلمين ، كما أجلى بنو قينقاع إحدى قبائل اليهود لكيدهم بالمسلمين وعدوانيتهم.

كانت تلك الغزوة فرقانا بين الحق والباطل ، تلك الغزوة التي جعلت للمسلمين كيانا مهابا وجانبا مصونا. وبعد هذه الغزوة أصبح للمسلمين كيانياً ماثلاً لأعين الكفار يحسبون له ألف حساب ولا يجرؤون على تجاهله ، بعد أن كانوا مستضعفين لا يكثرث بهم بل ويستهان بهم ، أصبحوا بعدها قوة ضاربة يهابها الكفار. فكانت تلك الحادثة عرساً حقيقياً في رمضان وفرحاً صادقاً للمسلمين في شهر الفرقان.

موقف

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: «انْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ص وَأَصْحَابُهُ حَتَّى سَبَقُوا الْمُشْرِكِينَ إِلَى بَدْرٍ ، وَجَاءَ الْمُشْرِكُونَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: «لَا يُقَدِّمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَيَّ شَيْءٌ حَتَّى أَكُونَ أَنَا دُونَهُ» ، فَدَنَا الْمُشْرِكُونَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: «فُومُوا إِلَيَّ جَنَّةَ عَرْضِهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ».

قَالَ: يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الْحَمَامِ الْأَنْصَارِيُّ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ جَنَّةَ عَرْضِهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ؟».

قَالَ: «نَعَمْ».

قَالَ: «بَخٍ بَخٍ».

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: «مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ؟».

قَالَ: «لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَّا رَجَاءُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا».

قَالَ: «فَأَنْتَ مِنْ أَهْلِهَا».

فَأَخْرَجَ تَمْرَاتٍ مِنْ قَرْنِهِ فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ ثُمَّ قَالَ: «لَئِنْ أَنَا حَبِيبٌ حَتَّى أَكُلَ تَمْرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ» ، قَالَ: فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ» . (رواه مسلم)

قَوْلُهُ ص: (لَا يُتَقَدِّمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَيَّ شَيْءٌ حَتَّى أَكُونَ أَنَا دُونَهُ) أَي: قُدَّامَهُ

مُنْقَدِّمًا فِي ذَلِكَ الشَّيْءِ لِئَلَّا يَفُوتَ شَيْءٌ مِنَ الْمَصَالِحِ الَّتِي لَا تَعْلَمُونَهَا

قَوْلُهُ: (بَخٍ بَخٍ) هِيَ: كَلِمَةٌ تُطْلَقُ لِتَفْخِيمِ الْأَمْرِ وَتَعْظِيمِهِ فِي الْخَيْرِ.

قَوْلُهُ: (لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَّا رَجَاءُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا)

مَعْنَاهُ: وَاللَّهِ مَا فَعَلْتَهُ لِشَيْءٍ إِلَّا لِرَجَاءِ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا.

(فَأَخْرَجَ تَمْرَاتٍ مِنْ قَرْنِهِ) جُعِبَةُ النَّشَابِ

(لَئِنْ أَنَا حَبِيبٌ حَتَّى أَكُلَ تَمْرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ

مِنَ التَّمْرِ ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ) فِيهِ: جَوَازُ الْإِنْعِمَارِ فِي الْكُفَّارِ ، وَالتَّعَرُّضُ لِلشَّهَادَةِ ،

وَهُوَ جَائِزٌ بِلَا كَرَاهَةٍ عِنْدَ جَمَاهِيرِ الْعُلَمَاءِ .

2- فتح مكة في السنة الثامنة من الهجرة :

ففي رمضان في السنة الثامنة للهجرة تحقق أكبر فتح للمسلمين وهو فتح

مكة المعقل الأكبر للشرك آنذ. وكان لهذا الفتح أثر كبير في تاريخ البشرية ،

فقد قضى على الأوثان والشرك في مكة تمامًا ، وتسابقت الشعوب والقبائل إلى

الدخول في الإسلام ، ودخلت الجزيرة العربية بأكملها في دين الله ، وبدأ

الرسول ص في بعث الرسل إلى البلاد المجاورة. ووضع النبي ص الأسس

الخالدة التي قامت عليها الفتوحات الإسلامية ، مثل عدم الاعتداء على المدنيين ،

وعدم قطع شيء من النبات بلا فائدة ، والعفو والصفح عند المقدرة.

3- فتح (البويب) في السنة 13 هجرية :

لما سمع أمراء الفرس بكثرة جيوش المثنى بن حارثة ، بعثوا إليه جيشا

آخر مع رجل يقال له: مهرا. فتوافقوا هم وإياهم بمكان يقال له: البويب قريب

من مكان الكوفة اليوم ، وبينهما الفرات وأقام بمكانه حتى كاتبه مهرا: إما أن

تعبروا إلينا وإما أن نعبر إليكم ، فقال المثنى: اعبروا فعبر مهرا فنزل على

شاطئ الفرات ، وذلك في شهر رمضان سنة ثلاث عشرة.

فعزم المثنى على المسلمين في الفطر ليقبوا بالطعام على قتال العدو

فأفطروا عن آخرهم ، وعبأ الجيش ، و خرج يطوف في صفوفه يعهد إليهم

عهده وهو على فرسه ، فوقف كل راية من رايات الأمراء القبائل ويعظهم ويحثهم على الجهاد والصبر والصمت والنبات.

وقال المثنى لهم: إني مكبر ثلاث تكبيرات فتهيأوا ، فإذا كبرت الرابعة فاحملوا. فقابلوا قوله بالسمع والطاعة والقبول. فلما كبر أول تكبيرة عاجلتهم الفرس فحملوا حتى غالقوهم ، واقتتلوا قتالا شديداً ، وركدت الحرب.

ورأى المثنى في بعض صفوفه خلا ، فبعث إليهم رجلاً يقول: الأمير يقرأ عليكم السلام ويقول لكم: لا تفضحوا المسلمين اليوم ؛ فاعتدلوا.

وجعل المثنى والمسلمون يدعون الله بالظفر والنصر ، فلما طالت مدة الحرب جمع المثنى جماعة من أصحابه الأبطال يحمون ظهره ، وحمل على مهران فأزاله عن موضعه حتى دخل الميمنة ، وقُتِلَ مهران ، وهربت المجوس وركب المسلمون أكتافهم بقية ذلك اليوم وتلك الليلة ، ومن الغد إلى الليل. وغنم المسلمون مالا جزيلا وطعاما كثيرا ، وبعثوا بالبشارة والأخماس إلى عمرت.

وقد قتل من سادات المسلمين في هذا اليوم بشر كثير أيضا ، وذلت لهذه الواقعة رقاب الفرس ، وتمكن الصحابة من الغارات في بلادهم فيما بين الفرات ودجلة ، فغنموا شيئا عظيما لا يمكن حصره وكانت هذه الواقعة بالعراق نظير اليرموك بالشام.

4- فتح النوبة سنة 31 هجرية.

5- وفي عام 92 هـ وفي رمضان كان فتح الأندلس بقيادة طارق بن زياد.

6- فتح عمورية سنة 223 هجرية :

طمع (تيوفيل بن ميخائيل) ملك الروم في بلاد المسلمين ، خاصة عندما علم أن جنود المسلمين جميعهم في أذربيجان يواصلون فتوحاتهم. فأخذ يعبئ الجنود ، وخرج قائداً على مائة ألف من الروم لقتال المسلمين ، فوصل إلى حصن (زبطرة) ، فقتل الأطفال والشيوخ ، وخرّب البلاد ، وأسر النساء وسباهن ، وانتهك أعراضهن وحرماتهن ، ومثل بكل من وقع في يده من المسلمين. وكان من ضمن النساء امرأة اقتادها جنود الروم للأسر ، فصرخت هذه المرأة ، وقالت: «وامعتصماه».

فلما وصل الخبر إلى المعتصم خليفة المسلمين استنشط غضباً ، وأخذته الحمية والغضب لله ، وقال: «لبيك». وأخذ في الاستعداد ، وجمع الجنود ، وأعدّ العدة ، وخرج على رأس جيش لنجدة المسلمين ، وقرر فتح عمورية أقوى حصون الروم.

وقام الجيش الإسلامي بحصار المدينة حصاراً شديداً ، حتى استطاع أن يحدث ثغرة في سورها ، فاندفع الجنود داخل المدينة ، وحاربوا بكل قوة وشجاعة؛ حتى سيطروا على المدينة ، وانتصروا على الروم يوم الجمعة لست خلون من شهر رمضان.

وهكذا تم فتح أصعب الحصون الرومانية ، مما كان له أكبر الأثر في نفوس المسلمين ، حيث قويت معنوياتهم ، وسهل لهم استمرار الفتوحات في

شرق أوروبا. كما أضعف هذا النصر من معنويات الروم ، لأنه أظهر لهم قوة المسلمين وشجاعتهم ، وأنهم أصبحوا قوة لا يستهان بها ، ويخشى الأعداء بأسها. كذلك عايش بعض الروم الحياة الإسلامية ، وأعجبوا بأخلاق المسلمين وطهارة سيرهم ، وعظمة دينهم ، فدخلوا في الإسلام ، بعد أن شعروا برحمته وعدله.

7- وفي رمضان سنة أربع وثمانين وخمسمائة تم طرد الصليبيين من سوريا على يد القائد صلاح الدين الأيوبي الذي استرد من الصليبيين الأراضي التي استولوا عليها في فلسطين.

8- عين جالوت في فلسطين سنة 658 هجرية :
(عين جالوت) بلدة من أعمال فلسطين المغتصبة - ردها الله إلى المسلمين قريباً - وهي بلدة بين بيسان ونابلس.
ويطل هذه المعركة الجليلة هو السلطان المظفر سيف الدين قطز بن عبد الله ، الذي تولى الحكم في مصر يوم السبت 17 من ذي القعدة سنة سبع وخمسين وستمائة.

استمر المغول في زحفهم المدمر حتى دخلوا بغداد عاصمة الخلافة العباسية ، واستطاع (هولاكو) - حفيد جنكيز خان - إسقاط الخلافة العباسية ، وقتل الخليفة العباسي سنة 1258م ، وتدمير بغداد عاصمة الخلافة.

وواصل هولاكو تقدمه ، فاستولى على حلب ودمشق ، وكان بغى التتار قد امتد وزاد حتى احتلوا بلدة (الخليل) وبلدة (غزة) من أرض فلسطين ، وقتلوا الرجال ، وسبوا النساء والصبيان ، واستاقوا من الأسرى عددًا كبيرًا ، ولم يبق أمامه إلا مصر ، فأرسل هولاكو رسالة تهديد لحاكم مصر آنذاك السلطان (سيف الدين قطز) ، ويطلب منه الاستسلام ، فأبى السلطان قطز ، وأخذ يعد جيوشه وأرسل قوة استطلاعية بقيادة (بيبرس) الذي استطاع أن يهزم إحدى الفرق المغولية.

ورحل السلطان قطز بعساكره ونزل الغور بعين جالوت في فلسطين ، وكانت جموع التتار هناك ، وفي يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر رمضان قامت معركة عنيفة بين الفريقين ، وتقاتلوا قتالاً شديداً لم ير الناس مثله ، واشتد الأمر في بدء المعركة على المسلمين ، فاقتحم قطز ميدان المعركة ، وباشر القتال بنفسه ، وأبلى في ذلك اليوم بلاءً حسناً. وحقق المسلمون نصراً ساحقاً على جيش المغول ، وأسروا قائدهم ، وأمر (قطز) بقتله.

وانتهت بانتهاء معركة عين جالوت أسطورة الجيش المغولي الذي لا يقهر ، واستطاع المسلمون إنقاذ العالم كله من همجية المغول وخطرهم ، والذين أخذوا يفرون إلى ديارهم وهم يجرون أذيال الخيبة والهزيمة في عين جالوت وكانت هذه المعركة البداية لدولة المماليك في مصر والشام.

9- معركة المنصورة سنة 647هـ:

كانت في شهر رمضان سنة 647هـ ضد الصليبيين. فقد قدم (لويس التاسع) ملك فرنسا يقود جيشاً قوامه 110 آلاف مقاتل ، مزودين بأحدث أنواع

الأسلحة ، في أحدث حملة صليبية ، وواصل زحفه حتى استولى على دمياط سنة 1249م ، ثم توجه إلى المنصورة ، وعلى ضفاف البحر الصغير دارت معركة حامية ، اشتبك فيها العربان والمشايخ والفلاحون ، واشترك في تعبئة الروح المعنوية الإمام (العز بن عبد السلام) وهو يومئذ ضريير ، وانتهت المعركة بأن أسر المسلمون من الصليبيين مائة ألف وقتلوا عشر آلاف ، وأسّر الملك لويس التاسع ، وسجن بدار ابن لقمان بالمنصورة ، ثم افتدي الملك بدفع (40 ألف دينار) ، وأطلق سراحه.

10- ثم كان آخر الانتصارات انتصار العاشر من رمضان سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة وألف ، حين عبرت القوات المصرية قناة السويس ، وحطمت خط بارليف الذي شيده اليهود ، فكسرت الذراع الإسرائيلية ، وكان هذا النصر بعد أن رفع المسلمون صيحة (الله أكبر).

مَنْ سَوَاكُمُ حَلَّ أَغْلَالَ الْوَرَى
صَاحٌ لَا كَسْرَى هُنَا لَا

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ يَا شَعْبَ الْجِهَادِ
أَيُّ دَاعٍ قَبْلَكُمْ فِي ذَا الْوَجُودِ
قَبْصَرًا

أَطْلَعَ الْقُرْآنَ صَبْحًا لِلرِّشَادِ
لَيْسَ غَيْرُ اللَّهِ رَبًّا

مَنْ سَوَاكُمُ فِي قَدِيمٍ أَوْ حَدِيثٍ
هَاتِفًا فِي مَسْمَعِ الْكَوْنِ الْعَظِيمِ
لِلْعِبَادِ

47- خطبة عيد الفطر

رمضان لا ترتحل فالنفس ظامنةٌ وتعتصرُ
شوقاً لبسَمِكَ الشافي
إن ترتحل تَبْسُطِ الأثامَ أذرعها
ويأسنُ الصبرُ والأحلامُ
تنتحرُ

■ وداع الضيف الحبيب:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبفضله تحصل الدرجات وبكرمه تبدل الخطيئات الحمد لله على تمام الشهر وكمال الفضل فالفضل لك وحدك لا شريك لك ؛ فتقبل منا وأعف عنا وتجاوز عن تقصيرنا وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها.

انه العيدُ جاءَ ضيفاً عزيزاً
فاكثبوا بالمِدادِ فيضَ التهاني
كَبُرُوا اللهُ عَلى تَكْبِيرَةِ العِيدِ
تَضَخَ الضَمِيرُ في الشريانِ
زلزلتُ في القديمِ إيوانَ كِسْرَى
هل تهزُّ الغداةَ كِسْرَى الزمانِ
ها هي صفحاتُ الأيامِ تطوي وساعاتُ الزمنِ تنقضي.. بالأمس القريب استقبلنا حبيبا واليوم نودعه.. وقبل أيام هل هلالَ رمضان واليوم تصرمت أيامه.. ولئن فاخرت الأمم - من حولنا - بأيامها وأعيادها واخلعتها أقدارا زائفة ، وبركات مزعومة وسعادة واهية فإنما هي تضرب في تيه وتسعى في ضلال.. ويبقى الحق والهدى طريق أمة محمد ص.

فالحمد لله الذي هدى أمة الإسلام سبيلها وألهمها رشدها وخصها بفضل لم يكن لمن قبلها.. أطلق بصرك لترى هذه الأمة المرحومة مع إشراقة يوم العيد تتعبد الله عز وجل بالفطر كما تعبدته من قبل بالصيام .

■ الأعياد من جملة الشرائع:

ان الأعياد من جملة الشرائع والمناهج يقول الله لأ: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَا جَا) (المائدة: 48) ، ويقول لأ: (لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ) (الحج: 67) أي: عيداً يختصون به.

عن أنس تأن النبي ص عن أنس قال: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ص الْمَدِينَةَ وَلَهُمْ يَوْمَانِ يَلْعَبُونَ فِيهِمَا فَقَالَ: « مَا هَذَانِ الْيَوْمَانِ؟ »

قَالُوا: كُنَّا نَلْعَبُ فِيهِمَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: « إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَبْدَلَكُمْ بِهِمَا خَيْرًا مِنْهُمَا يَوْمَ الْأَضْحَى وَيَوْمَ الْفِطْرِ » (صحيح رواه أبو داود).

فالعِيد شعيرة من شعائر الإسلام ومظهر من أجل مظاهره ، تهاون به بعض الناس وقدموا الأعياد المحدثه عليه.. فترى من يستعد لأعياد الميلاد وأعياد الأم وشم النسيم والغطاس وغيرها ويسعد هو وأطفاله بقدموها ويصرف الأموال لإحيائها.. أما أعياد الإسلام فلا قيمة لها بل ربما تمر وهو معرض عنها غير ملتفت إليها.. قال تعالى: (ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ) (الحج: 32)

■ يوم العيد يوم فرح وسرور ولكن:
 إن يوم العيد يوم فرح وسرور لمن طابت سريرته ، وخلصت لله نيته
 واعلموا أيها المسلمون ، أنه ليس السعيد من تزين وتجمل للعيد ، فليس
 الجديد (1) ، ولا من خدَمته الدنيا وأتته على ما يريد ، إنما العيد لمن خاف يوم
 الوعيد واتقى ذا العرش المجيد.. وسكب الدمع تائبًا رجاء يوم المزيد.. والسعيد
 من فاز بتقوى الله تعالى ، وكتب له النجاة من نار حرها شديد ، وقعرها بعيد ،
 وطعام أهلها الزقوم والضريع ، وشرابهم الحميم والصديد ، وفاز بجنة الخلد
 التي لا ينقص نعيمها ولا يببئ.
 فالحذر الحذر أن تكون الأعياد موسمًا يُعَبُّ فيه من اللهو عتيًا ، بلا تحرُّز
 من حرام أو تباعد عن باطل ، فذلك ينافي تعاليم الإسلام ، ويضاد مقاصده من
 الأعياد وغيرها.

(1) بل من السنة لبس الجديد يوم العيد فعن ابن عباس ت قال: « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص يَلْبَسُ يَوْمَ الْعِيدِ بُرْدَةً حَمْرَاءَ » (رواه الطبراني وإسناده جيد)، وإنما المقصود أن العيد الحقيقي يوم القيامة لمن التزم بشرع الله لأ.

■ وقفات سريعة موجزة مع آداب وأحكام العيد :
أولاً: احمد الله عز وجل أن أتم عليك أيام هذا الشهر العظيم وجعلك ممن صامه وقامه. وأكثر من الدعاء بأن يقبل الله منك الصيام والقيام وأن يتجاوز عن تقصيرك وزلللك .

ثانياً: التكبير: يشرع التكبير من بعد غروب الشمس ليلة العيد إلى صلاة العيد ، قال الله تعالى: **(وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)** (البقرة:185).

وصفة التكبير: (الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر لا إله إلا الله ، والله أكبر والله الحمد).

ويسن جهر الرجال به في المساجد والأسواق والبيوت إعلاناً بتعظيم الله وإظهاراً لعبادته وشكره .

ثالثاً: الاغتسال والتطيب للرجال وليس أحسن الثياب: بدون إسراف ولا إسبال ولا حلق لحية فهذا حرام - أما المرأة فيشرع لها الخروج إلى مصلى العيد بدون تبرج ولا تطيب .

وأرباباً بالمسلمة أن تذهب لطاعة الله وهي متلبسة بمعصية التبرج والسفور والتطيب أمام الرجال .

رابعاً: أكل تمرات: وتراً ثلاث أو خمس قبل الذهاب إلى المصلى لفعل الرسول ص .

خامساً: الصلاة مع المسلمين وحضور الخطبة: والذي رجحه المحققون من أهل العلم من شيخ الإسلام ابن تيمية ، وغيره: أن صلاة العيد واجبة ولا تسقط إلا بعذر ، والنساء يشهدن العيد مع المسلمين حتى الحيض ، ويعتزل الحيض المصلى .

سادساً: مخالفة الطريق: يستحب الذهاب إلى مصلى العيد من طريق ، والرجوع من طريق آخر لفعل النبي .
سابعاً: لا بأس بالتهنئة بالعيد: كقول (تقبل الله منا ومنك).

■ مخالفات العيد:
 ونبهك أخي الحبيب إلى بعض المخالفات - مع الأسف - التي تقع في يوم العيد وأليته لتحذيرها.. والعجب أن يختم بعض المسلمين هذه الطاعة بالمعاصي.. ويستبدل البعض الآخر الاستغفار في نهاية كل عبادة باللغو والعبث.. ومن المخالفات :

- * اعتقاد مشروعية إحياء ليلة العيد والأحاديث الواردة فيها لا تصح .
- * تخصيص يوم العيد لزيارة المقابر والسلام على الأموات
- * اختلاط النساء بالرجال في بعض المصليات والشوارع والمنزهات .
- * بعض الناس يجتمعون في العيد على الغناء واللغو والعبث وهذا لا

يجوز :
 * البعض يظهر عليه الفرح بالعيد لأن شهر رمضان انتهى وتخلص من العبادة فيه وكأنها حمل ثقيل على ظهره.. وهذا خطر عظيم .

*الإغراق في المباحات من لبس وأكل وشرب حتى يتجاوز الأمر إلى الإسراف في ذلك قال تعالى: (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) (الأعراف:31)

أخي الحبيب لا تنس أيها الأخ الحبيب أن رب رمضان هو رب الشهور.. واستمر على الطاعة واسأل الله عز وجل الثبات على هذا الدين حتى تلقاه ، وأعلم أن نهاية وقت الطاعة والعبادة ليس رؤية هلال العيد كما يتوهم البعض بل هو كما قال الله عز وجل: (وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ) (الحجر:99). واليقين هو الموت.. قال بعض السلف: ليس لعمل المسلم غاية دون الموت . وقال الحسن: أبى قوم المداومة ، والله ما المؤمن بالذي يعمل شهر أو شهرين أو عام أو عامين ، لا والله ما جعل لعمل المؤمن أجل دون الموت . وقرأ عمر بن الخطاب وهو يخطب الناس على المنبر: (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ) (فصلت:30). فقال: استقاموا والله بطاعة الله ثم لم يروغوا روغان التعلب .

وإن ودعت - أيها المسلم - شهر الطاعة والعبادة وموسم الخير والعشق من النار فإن الله عز وجل جعل لنا من الطاعات والعبادات ما تهنا به نفس المؤمن وتقر به عين المسلم من أنواع النوافل والقربات طوال العام ومن ذلك :
* صيام ست من شوال؛ قال ص: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ» . (رواه مسلم). وإن كان عليك قضاء فأقضه ثم صمها .

* صيام أيام البيض 13 ، 14 ، 15 وصيام يوم عرفه لغير الحاج وكذلك صيام أيام الاثنين والخميس .
* قيام الليل والمحافظة على الوتر . وتأس بالأخيار (كأنوا قليلاً من الليل ما يهجعون) (الذاريات:17)

* المداومة على الرواتب التابعة للفرائض اثنتا عشرة ركعة: أربع قبل الظهر وركعتان بعده وركعتان بعد المغرب وركعتان بعد العشاء وركعتان قبل الفجر

* قراءة القرآن والحرص على ذلك يومياً ولو جزءاً واحداً على الأقل .
* احرص على أعمال البر واستقم على الطاعة. قال الله تعالى: (فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ) (هود:112). وأنواع الطاعات كثيرة وأجرها عظيم قال تعالى: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنشَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (النحل:97) .

فاحرص أخي المسلم على الاستمرار على الأعمال الصالحة واحذر أن يفجأك الموت على معصية.. واستحضر أن من علامات قبول عملك في رمضان استمرارك على الطاعة بعده ..والحسنة تتبعها الحسنه والسيئة تجر السيئة .

* تذلل وتضرع وأدع ربك أن يحييك على الإسلام وأن يميئك عليه وأسأله الثبات على كلمة التوحيد عن أنس تَقَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص يَكْتُمُ أَنْ يَقُولَ: يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ» ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمَّا بَكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ

فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟ قَالَ: «نَعَمْ؛ إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أَصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ». (صحيح رواه الترمذي).

■ أيام العيد أيام عبادة وشكر:

أيام العيد ليست أيام لهو وغفلة بل هي أيام عبادة وشكر، والمؤمن يتقلب في أنواع العبادة ولا يعرف حد لها.. ومن تلك العبادات التي يحبها الله ويرضاها: صلة الأرحام وزيارة الأقارب وترك التباغض والتحاسد والعطف على المساكين والأيتام وإدخال السرور على الأرملة والفقير.

وتأمل دورة الأيام واستوحش من سرعة انقضائها.. وافزع إلى التوبة وصدق الالتجاء إلى الله لا ووطن أيها الحبيب نفسك على الطاعة وألزمها العبادة فإن الدنيا أيام قلائل.

وأعلم أنه لا يهدأ قلب المؤمن ولا يسكن روعة حتى تطأ قدمه الجنة.. فسارع إلى جنة عرضها السموات والأرض وجنب نفسك نارا تظلى لا يصلها إلا الأشقي. عَنِ عَائِشَةَ لَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى قَالَ: «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ لَنْ يَدْخُلَ أَحَدَكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ، وَإِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ» (رواه البخاري)

■ احذر الركون إلى الدنيا وكفران النعم:

اشتهدت زوجة المعتمد بن عباد - أحد ولاة الأندلس - أن تمشي في الطين وتحمل القرب؟! فأمر المعتمد أن ينثر المسك على الكافور والزعفران وتحمل قرباً من طيب المسك لتخوض فيه زوجته تحقيقاً لشهوتها.

وتجري السنّة الإلهية وتتهاوى حصون الإسلام في الأندلس بسبب اللهو والغفلة والإغراق في الشهوات ليؤخذ المعتمد أسيراً إلى (أغمات) وتبقى بناته يتجرعن كأس الفقر بعد الغنى، والذلة بعد العزة؛ يغرلن للناس - يتكسبن - حتى إذا علم المعتمد بذلك تمثل يقول:

فيما مضى كنت بالأعياد مسروراً
فساءك العيد في أغمات

مأسوراً

تري بناتك في الأطمار جائعة
برزن نحوك للتسليم خاشعة
يطان في الطين والأقدام حافية
من بات بعدك في ملك يسر به
فإنما بات بالأحلام مسروراً
(وَضْرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمَنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ) (النحل: 112).

■ احذروا كيد الأعداء:

فإنهم لا يريدون بكم خيراً وقد أخبركم ربكم بدوام عداوتهم لكم (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا) (البقرة: 217) وأنهم لن يرضوا عنكم إلا بانسلاخكم عن دينكم (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) (البقرة: 120).

لقد نطقوا بالحدّ قديماً وحديثاً (قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر) (آل عمران: 118) يقول (جلادستون) رئيس وزراء بريطانيا

سابقاً: «مادام هذا القران موجود في أيدي المسلمين فلن تستطيع أوربا السيطرة على الشرق».

لما كانت قلوبنا تردد التكبير مع الألسن نصرنا بالرعب مسيرة شهر وأحكمتنا الأمر.

ان تكبيرنا في العيد إعلانٌ لانتصار الدين على الدنيا والآخرة على الأولى فالله أكبر من الدنيا ولذائدها والله أكبر من كيد الأعداء (وَلَذِكْرِ اللَّهِ أَكْبَرُ) (العنكبوت: 45) ، لقد دخلنا الأندلس لما كان نشيد طارق بن زياد في العبور (الله أكبر) وبقينا فيها زماناً كانت الهمة تغلب الشهوة ؛ ذكر أهل السير أنه لما قدم لعبد الرحمن الداخل الخمر قال : إني لما يزيد في عقلي أحوج ، لا لما ينقصه.

■ العيد استمرار على العهد وتوثيق للميثاق:

فيا من وقى في رمضان على أحسن حال لا تُعَيِّر في شوال..ويا من أدرك العيد عليك بشكر النعم والثناء عليه ولا تنقض غزلاً من بعد قوة وعناء (وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ)* وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَصَتْ غَزْلُهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاسًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) (النحل: 91: 92).

(وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا) الأيمان: جمع يمين وهو الحلف يالله ، وتوكيدها: تغليظها بالألفاظ الزائدة (وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا) أي وكيلًا ، أي أثناء حلفكم به تعالى ، فقد جعلتموه وكيلًا ، فهذه الآية حرمت نقض الأيمان وهو نكثها وعدم الالتزام بها بالحنث فيها لمصالح مادية. وقوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ) فيه وعيد شديد لمن ينقض أيمانه بعد توكيدها.

(نَقَصَتْ غَزْلُهَا) : أي أفسدت غزلها بعد ما غزلته. (مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ) : أي إحكام له وبرم. (أَنْكَاسًا) : جمع نكث وهو ما ينكث ويحل بعد الإبرام. فهي تعبت على الغزل ثم على النقص ، ولم تستنفد سوى الخيبة والعناء وسفاهة العقل ونقص الرأي ، فذلك من نقض ما عاهد عليه فهو ظالم جاهل سفيه ناقص الدين والمروءة.

فنهى الله تعالى المؤمنين أن ينقضوا أيمانهم بعد توكيدها فتكون حالهم كحال هذه الحمقاء. وقوله تعالى : (تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا) أي إفساداً وخديعة كأن تحالفوا جماعة وتعاهدوها ، ثم تنقضون عهدكم وتحلون ما أبرتم من عهد وميثاق وتعاهدون جماعة أخرى لأنها أقوى وتنتفعون بها أكثر. هذا معنى قوله تعالى (أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ) أي جماعة أكثر من جماعة رجالاً وسلاحاً أو مالا ومنافع. وقوله تعالى : (إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ) أي يختبركم فتعرض لكم هذه الأحوال وتجدون أنفسكم تميل إليها ، ثم تذكرون نهي ربكم عن نقض الأيمان والعهود فنتركوا ذلك طاعة لربكم أولاً تفعلوا إيثاراً للدنيا عن الآخرة ، (وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) ثم يحكم بينكم ويجزيكم ، المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.

* العيد بقاء على الخير وثبات على الجادة واستمرار في الطريق قال بعض أصحاب سفیان الثوري: خرجت مع سفیان يوم العيد فقال: «إن أول ما نبدأ به يومنا هذا غض البصر».

ورجع حسان بن أبي سنان من عيده فقالت له امرأته: «كم من امرأة حسناء قد رأيت؟!»، فقال: «ما نظرت منذ خرجت إلا في أبهامي حتى رجعت».

فاحذر الرجوع إلى الذنب بعد الطاعة فإن ذلك علامة مقت وخسران.
* حذار حذار من جلساء وأصحاب السوء و اصطحاب الآتي اللهي في المنتزهات والاستراحات والعكوف عليها ، قال ص: «لِيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحْلُونَ الْحَرَّ وَالْحَرِيرَ وَالْخَمْرَ وَالْمَعَارِفَ» (رواه البخاري) الْجِرَّ: الْفَرْجُ ، وَالْمَعْنَى يَسْتَحْلُونَ الرِّزَا (وَالْمَعَارِفُ) هِيَ آلَاتُ الْمَلَاهِي. وَنَقَلَ الْفَرَطِيُّ عَنِ الْجَوْهَرِيِّ أَنَّ الْمَعَارِفَ الْغِنَاءُ ، وَالَّذِي فِي صِحَاحِهِ أَنَّهَا آلَاتُ الْلَهُو ، وَقِيلَ : أَصْوَاتُ الْمَلَاهِي.

■ العيد فرصة لتحسين العلاقات وتسوية النزاعات وجمع الشمل ورأب الصدع وقطع العداوات المستشرية :
ورحم الله من أعان على إعادة مياه المودة إلى مجاريها اجعل هدية العيد لهذا العام عفو وصفح وغفران ، قال لاً: (وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغَفَّرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (التغابن:14) ما أجمل أن يكون العيد فرصة لصلة المتهاجرين والتقاء المتقاطعين.

إن الرجل الكريم هو من يعفو عن الزلة ولا يحاسب على الهفوة حاله كما قيل:

وَإِنَّ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَ بَنِي أَخِي وَبَيْنَ بَنِي عَمِّي لَمَخْتَلَفٌ جِدًّا
إِذَا نَهَشُوا لِحْمِي وَفَرَّتْ لِحَوْمِهِمْ وليس زعيم القوم مَنْ
يَحْمِلُ الْحَقْدَا

(وَفَرَّتْ : حَمِيَتْ وَصُنَّتْ)
ليس زعيم القوم من يحمل الحقدا ، ليس كريماً ولا عظيماً ولا سيِّداً من يجمع الأحقاد ويحمل الضغائن ويداوم على الجفاء والقطيعة. إنه لابد لتحسين العلاقات من نفوس كبيرة تتسع لهضم البغضاء وقضم العداوات ؛ (وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفُرُونَ) (الشورى : 37).
لقد دعا الإسلام إلى احتواء النزاعات بفعل المعروف - خاصة مع الأقارب - واعتبر ذلك من أفضل البر فعن أم كلثوم بنت عقبة ل أن النبي ص قال : « أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ: الصَّدَقَةُ عَلَى ذِي الرَّحِمِ الْكَاشِحِ » (صحيح رواه أحمد وغيره).

الكَاشِحُ : الْعَدُوُّ الَّذِي يُضْمِرُ عِدَاوَتَهُ وَيَطْوِي عَلَيْهَا كَتَشْحَهُ : أَي بَاطِنَهُ.
يعني أفضل الصدقة على ذي الرحم المضمرة العداوة في باطنه فالصدقة عليه أفضل منها على ذي الرحم الغير كاشح لما فيه من قهر النفس للإذعان لمعاديها.

فأصلحوا ذات بينكم ، ولا يصدنكم الشيطان ، فإنه قد يزين للمسلم أن هذا التنازل عن الحقوق والصفح عن الهفوات نوع ضعف وعجز ومهانة وأن يقال

ففي المسلم ذلك خير له من أن يقع في بحور القطيعة وخطيئة فعن أبي أيوب الأنصاري تأن رسول الله ص قال: « لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ ، يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ » (رواه البخاري ومسلم).

وعن أبي هريرة عن رسول الله ص قال: « مَا نَقَصَتْ صِدْقَةٌ مِنْ مَالٍ ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا ، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ » (رواه مسلم).

وقال ص: «لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا» (رواه البخاري ومسلم). (وَلَا تَدَابَرُوا) التَّدَابُرُ الْمُعَادَاةُ ، وَقِيلَ : الْمُقَاطَعَةُ ؛ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ يُؤَلِّي صَاحِبَهُ دُبْرَهُ.

قَالَ الْخَطَّابِيُّ : لَا تَتَهَاجَرُوا فَيَهْجُرَ أَحَدَكُمْ أَخَاهُ ، مَا حُوزَ مِنْ تَوَلِيَةِ الرَّجُلِ الْآخَرَ دُبْرَهُ إِذَا أَعْرَضَ عَنْهُ حِينَ يَرَاهُ ، وَالْحَسَدُ تَمْتِي زَوَالِ النِّعْمَةِ ، وَهُوَ حَرَامٌ . وَمَعْنَى (كُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا) أَي تَعَامَلُوا وَتَعَاشَرُوا مُعَامَلَةَ الْإِخْوَةِ ، وَمُعَاشَرَتِهِمْ فِي الْمَوَدَّةِ وَالرِّفْقِ ، وَالشَّفَقَةِ وَالْمَلَاطِفَةِ ، وَالتَّعَاوُنِ فِي الْخَيْرِ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ ، مَعَ صَفَاءِ الْقُلُوبِ ، وَالتَّصِيحَةِ بِكُلِّ حَالٍ .

■ معاشر النساء :

أَجِبْنَ نِدَاءَ اللَّهِ لَكُنَّ حَيْثُ قَالَ: (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) (الأحزاب : 33) إنها آية عظيمة جامعة لو تأملتها المرأة وعملت بها لحازت خير الدنيا والآخرة. إن الأصل في المرأة قرارها في البيت إذ هي نور أركانها وسكون أرجائه والخروج من البيت أمر طارئ لا يكون إلا لحاجة البيت هو وظيفة المرأة الأساس فما بالنار نرى تهافت النساء على الخروج من البيت لحاجة ولغير حاجة والله يقول : (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ)

إن خير النساء امرأة البيت فعن أبي هريرة تَعَنْ النَّبِيِّ ص قَالَ: « خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ الْإِبِلَ صَالِحُ نِسَاءٍ فَرِيشٍ ؛ أَحْنَاهُ عَلَى وَلَدٍ فِي صِغَرِهِ ، وَأَرْعَاهُ عَلَى زَوْجٍ فِي ذَاتِ يَدِهِ » (رواه البخاري ومسلم)

(أحناه): أكثره شفقة ، وَالْحَانِيَةَ عَلَى وَلَدِهَا هِيَ الَّتِي تَقُومُ عَلَيْهِمْ فِي حَالِ بُيُوتِهِمْ فَلَا تَنْزُوجُ ، (وَأَرْعَاهُ عَلَى زَوْجٍ فِي ذَاتِ يَدِهِ) أَي أَحْفَظُ وَأَصُونُ لِمَالِهِ بِالْأَمَانَةِ فِيهِ وَالصِّيَانَةَ لَهُ وَتَرَكَ التَّنْذِيرَ فِي الْإِنْفَاقِ.

إن مكان المرأة في البيت لا يمكن أن يسده أحد إن الخادمة في البيت قد تعد الطعام والشراب واللباس وتنظف الملابس والبيت لكنها لا تستطيع أن تمنح البيت حنان الأم.

قال أحد المشايخ الثقات : « لي قريبة تدرس في إحدى المدارس فلما أرادت أن تخرج إلى المدرسة كعادتها لحق بها طفلها الصغير وهو يناديها ، فالتفتت إليه وقالت: ماذا تريد فقال : أين تذهبين عني كل يوم فقالت: للمدرسة فقال ولماذا؟ قالت: حتى آتي لك بالمال تشتري به ألعاب وحلوى - وكأنها تريد أن تخفف عنه لوعة الفراق - فلما جاء يوم وأرادت الخروج كعادتها لحق بها ينادي وهو يمد يده قد قبض بكفه على ربال وهو يقول: « خذي يا أمه واجلسي معي في البيت ».

* عليك بخدمة الزوج والقيام معه بالطاعة ورعاية أولاده وحفظ ماله ومتاعه فإن لك بذلك عظيم الأجر وجزيل العطاء وعن أبي هريرة ت قال : قال رسول الله ص : « إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا وَصَامَتْ شَهْرَهَا ، وَحَصَّنَتْ فَرْجَهَا ، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا قِيلَ لَهَا : ادْخُلِي مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتَ » (صحيح رواه ابن حبان)

وروى الطبراني في معجمه وصححه الألباني أن النبي ص قال: « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِنِسَائِكُمْ فِي الْجَنَّةِ؟ » (يعني نساء الدنيا) قلنا: بلى يا رسول الله ، قال: «الْوُدُودُ الْوُلُودُ الْعَوْدُ الَّتِي إِذَا ظَلَمْتَ قَالَتْ: هَذِهِ يَدِي فِي يَدِكَ لَا أَدُوقُ عَمَضًا حَتَّى تَرْضَى » (حسن رواه الطبراني).

أما لك أسوة حسنة في عباسة بنت الفضل زوجة الإمام أحمد فقد قال عنها الإمام أحمد : أقمت مع (أم صالح) ثلاثين سنة !! فما اختلفت أنا وهي في كلمة !! ثم ماتت - رحمها الله لا .

* احذري الخضوع في مخاطبة الرجال ومخالطتهم وإبداء الزينة لهم ابتعدى عن ذلك في أماكن العبادة كمكة وفي الأعياد والجمع فضلاً عن الأسواق والحدائق العامة. عن أبي أسيد الأنصاري تأنه سمع رسول الله ص يقول وهو

لَا تَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَبَدًا. وَالثَّانِي : يُحْمَلُ عَلَى أَنَّهَا لَا تَدْخُلُهَا أَوَّلَ الْأَمْرِ مَعَ الْفَائِزِينَ.
* حافظي على عفافك وحجابك وحيائك (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ
وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا
يُؤْذِينَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) (الأحزاب: 59).

احذري دعوات التغريب وسهام التضليل التي يقذف بها الأعداء. احذري
تمبيع الحجاب فالحجاب ستر وليس زينة. وليست العباءة الضيقة ولا الشفافة ولا
مطرزة الأكمام حجاباً شرعياً.

* أيتها المسلمة: الله لا لحكمته جعل القوامة بيد الرجل (الرجال قوامون
على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم)
(النساء: 34) فكان ذلك تكليفاً له بهذه الأمانة من أجل رعاية البيت وحمائته
وحفظه.

وإن التمرد على القوامة والنشوز دون حق شرعي يعتبر من أعظم
الذنوب التي يعاقب الله عليها عن أبي هريرة تَعْنِ النَّبِيَّ ص قَالَ: « إِذَا دَعَا
الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَأَبَتْ أَنْ تَجِيءَ لَعْنَتُهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ » (رواه
البخاري ومسلم).

الفرّاش كناية عن الجماع ، وظاهر الحديث إختصاص اللعن بما إذا وقع
منها ذلك لئلا لقوله ص: « حَتَّى تُصْبِحَ » وَكَانَ السِّرُّ تَأَكُّدَ ذَلِكَ الشَّانِ فِي اللَّيْلِ
وَقُوَّةَ الْبَاعِثِ عَلَيْهِ ، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ يَجُوزُ لَهَا الْإِمْتِنَاعُ فِي النَّهَارِ ، وَأَنَّمَا
خَصَّ اللَّيْلَ بِالذِّكْرِ لِأَنَّهُ الْمَظْنَةُ لِذَلِكَ ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ تَقَال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
ص: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهَا فَتَأْبَى عَلَيْهِ إِلَّا
كَانَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ سَاخِطًا عَلَيْهَا حَتَّى يَرْضَى عَنْهَا» (رواه مسلم).

* على الزوج أيضاً أن يتقي الله في زوجته فلا يظلمها ولا يضربها عليه
أن يحفظ لها قيمتها وقدرها خصوصاً عند أولادها.

عليك أيها الزوج أن تعلم أن رباط الزوجية رباط وثيق فهو رباط
مصاحبة لا ينقطع بالموت؛ قال لا: (فإِذَا جَاءَتِ الصَّبَاخَةُ * يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ
أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ)
(عبس: 33-38).

انه عقد صحبة لا عقد رقي وولاء وفي الحديث عنه ص قال: « كُلَّ نَفْسٍ
مِنْ بَنِي آدَمَ سَيِّدٌ ؛ فَالرَّجُلُ سَيِّدُ أَهْلِهِ ، وَالْمَرْأَةُ سَيِّدَةُ بَيْتِهَا » (صحيح رواه ابن
السني).

فالواجب احترام سيادة المرأة في البيت وأن لا تسقط خاصة عند أولادها
، وحين يدوس الزوج كرامة المرأة وتفعل المرأة ذلك فهو إذن سقوط البيت
وتقويض خيامه وذهاب قيمته التربوية ودوره المرتقب.

لايد أن يبني البيت على المودة والرحمة (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ
أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً) (الروم: 21) ولايد أن
يبني البيت على العفو والصفح بين كل من الطرفين (وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا
وَتَعَفَّرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (التغابن: 14) وحين يرى أحد الطرفين من الآخر
ما يسوؤه فليتذكر محاسنه وجوانب الكمال فيه عن أبي هريرة تَقَال: قَالَ رَسُولُ

الله ص : «لَا يَفْرُكُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ» رواه مسلم.

تسامح ولا تستوفِ حَقَّ كُلِّهِ وَأَبْقِ فَلَـمَ يَسْتَوْفِ قَطَّ كَرِيمٍ
■ أيها الرجال :

اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا: فَعِنَ أَبِي هُرَيْرَةَ تَقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص : «اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا فَإِنَّهُنَّ خُلُقُنَّ مِنْ ضَلَعٍ ، وَإِنْ أَعْوَجَ شَيْءٌ فِي الضَّلَعِ أَعْلَاهُ ، فَإِنْ ذَهَبَتْ نَقِيمُهُ كَسَرْتَهُ وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا» (رواه البخاري ومسلم). وفي رواية لمسلم: «إِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضَلَعٍ لَنْ تَسْتَقِيمَ لَكَ عَلَى طَرِيقَةٍ فَإِنْ اسْتَمْتَعْتَ بِهَا اسْتَمْتَعْتَ بِهَا وَبِهَا أَعْوَجَ وَإِنْ ذَهَبَتْ نَقِيمُهَا كَسَرْتَهَا وَكَسَرُهَا طَلَاقُهَا». (رواه مسلم). (أَعْلَاهَا): رَأْسُهَا ، وَفِيهِ لِسَانُهَا وَهُوَ الَّذِي يَخْضَلُ مِنْهُ الْأَدَى.

(وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ) أَي وَإِنْ لَمْ تُقِمِّهِ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ .
(فَاسْتَوْصُوا) أَي أَوْصِيكُمْ بِهِنَّ خَيْرًا فَاقْبَلُوا وَصِيَّتِي فِيهِنَّ وَاعْمَلُوا بِهَا .
(بِالنِّسَاءِ خَيْرًا) كَأَنَّ فِيهِ رَمْزًا إِلَى التَّقْوِيمِ يَرْفُقُ بِحَيْثُ لَا يَبْلُغُ فِيهِ فَبِكْسِرٍ وَلَا يَتْرُكُهُ فَيَسْتَمِرُّ عَلَى عَوْجِهِ ، فَلَا يَتْرُكُهَا عَلَى الْإِعْوَجَاجِ إِذَا تَعَدَّتْ مَا طَبَعَتْ عَلَيْهِ مِنَ النَّقْصِ إِلَى تَعَاطِي الْمَعْصِيَةِ بِمُبَاشَرَتِهَا أَوْ تَرْكِ الْوَاجِبِ ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ أَنْ يَتْرُكُهَا عَلَى إِعْوَجَاجِهَا فِي الْأُمُورِ الْمُبَاحَةِ .

وَفِي الْحَدِيثِ النَّذْبُ إِلَى الْمُدَارَاةِ لِاسْتِمَالَةِ النَّفُوسِ وَتَأَلُّفِ الْقُلُوبِ . وَفِيهِ سِيَاسَةُ النِّسَاءِ بِأَخْذِ الْعَفْوِ مِنْهُنَّ وَالصَّبْرِ عَلَى عَوْجِهِنَّ ، وَأَنْ مَنِ رَامَ تَقْوِيمَهُنَّ فَإِنَّهُ الْإِنْتِفَاعُ بِهِنَّ مَعَ أَنَّهُ لَا غِنَى لِلْإِنْسَانِ عَنِ امْرَأَةٍ يَسْكُنُ إِلَيْهَا وَيَسْتَعِينُ بِهَا عَلَى مَعَاشِهِ ، فَكَأَنَّهُ قَالَ : الْاسْتِمْتَاعُ بِهَا لَا يَتِمُّ إِلَّا بِالصَّبْرِ عَلَيْهَا .

فالمراة فيها الغيرة والعاطفة والليونة ، وكل ذلك أمر طبعي ؛ فعلينا أن نتعلم كيف نتعامل مع هذا الاعوجاج القطري والذي يعتبر منتهى الكمال في حقها فاستقامة المنجل في اعوجاجه .

■ جسد واحد:

أخي المسلم ، وأنت تعيش العيد لا تنسى أن تعيشه بروح الجسد الواحد فتذكر إخوانك في فلسطين وما يلاقونه من شرذمة اليهود الغاصبين ، وإخوانك في العراق وأفغانستان والشيشان وفي كشمير والفلبين وفي الصومال وكيف تكالبت عليهم قوى الكفر والطغيان .

عليك بكثرة الدعاء لهم واجعل من موسم العيد إعادةً لقضيتهم ونشرًا لصحيح أخبارهم . وتذكر أنهم يعيشون العيد تحت قذائف الطائرات ودوي الدبابات ، كان الله لهم في العون وربط على قلوبهم وثبت أقدامهم .

يعودُ العيدُ يا أحبَّيَا
يُحْيِينَا..... وَيُحْيِينَا
سعيدًا يفرغ الأبواب
ويدعوننا إلى

وهل أحلى من الحب؟!
وندعو الله: يا

وفي الأكبَادِ الْأُمِّ

المحرابُ
يعودُ الحبُّ للقلبِ
فَنَهْنَأُ بِالْجَنَانِ الْعَذْبِ
تواب

نرى الفقراء قد ناموا

وقيلَ الصوم قد صاموا
 فكثير يا أخا الإسلام
 وهياً نمسح الألام
 دموغ القدس خلف الناز
 فكبر.. دمر الأسوار
 أيا عيد متي النصر؟
 ثرى هل يشرق الفجر؟
 *إن نصر هذه الأمة قد أقبلت أيامه فأحسنوا الظن بربكم واجمعوا مع
 الأمل حسن العمل واعلموا أن الشدائد التي تمر بها الأمة هي أمارات ميلاد
 جديد بإذن الله فإن مع العسر يسراً ، إن مع العسر يسراً .
 لا تقولوا: زرع الزارع والباغي حصد
 ذهب الأقصى وضاعت قدسنا منا وحيفانا ويافا وصفد
 لا تقولوا: حارس الثغر رقد
 أنا لا أنكر أن البغي في الدنيا ظهر
 والضمير الحي في دؤامة العصر أنصهر
 أنا لا أنكر أن الوهم في عالمنا المسكون بالوهم انتشر
 غير أنني لم أزل أحلف بالله الأحذ
 أن نصر الله أت ، وعدو الله لن يلقى من الله سند
 لن ينال المعتدي ما يبتغي في القدس....
 ما دام لنا فيها ولد...

48-الحج : عبر وعظات

يا سائرين إلى البيت العتيق لقد
 إنا أقمنا على عذر وعن قدر
 ■ متى فرض الحج :

فرض الحج على الصحيح سنة تسع من الهجرة ، وهي سنة الوفود التي
 نزلت فيها سورة آل عمران وفيها قول الله تعالى : (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ
 مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) (آل عمران: 97)
 ■ حكم الحج :

الفرضية ، وهو من أركان الدين ، ودليله ما سبق من الآية الكريمة ، وكذا
 جاء في السنة ما يدل عليه فعن ابن عمر ب قال : قال رسول الله ص : « بِنِي
 الْإِسْلَامِ عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَإِقَامِ
 الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَالْحَجِّ ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ » . (رواه البخاري ومسلم) .
 ■ هل يجب الحج على الفور ؟

نعم هو على الفور ، ودليله ما سبق من الآية الكريمة ، وهو الأصل في
 الأوامر الشرعية ، ومن السنة ما يدل على هذا الحكم :
 1- عن ابن عباس ب قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص : « مَنْ أَرَادَ الْحَجَّ فَلْيَتَعَجَّلْ
 ؛ فَإِنَّهُ قَدْ يَمْرُضُ الْمَرِيضُ وَتَضِلُّ الضَّالَّةُ وَتَعْرِضُ الْحَاجَّةُ » (حسن رواه ابن
 ماجه).

■ الحج يجب مرة واحدة في العمر :
 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ تَقَالَ : حَظَبْنَا رَسُولَ اللَّهِ ص فَقَالَ : « أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ
 اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ فَحُجُّوا » ، فَقَالَ رَجُلٌ : أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَسَكَتَ حَتَّى قَالَهَا
 ثَلَاثًا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص : « لَوْ قُلْتَ نَعَمْ لَوَجِبَتْ وَلَمَّا اسْتَطَعْتُمْ » ثُمَّ قَالَ
 : « ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ ؛ فَإِنَّمَا هَلَكٌ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاجْتِلَافِهِمْ عَلَى
 أَنْبِيَائِهِمْ ؛ فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَإِذَا نَهَيْتُمْ عَنْ شَيْءٍ
 فَدَعُوهُ » . (رواه مسلم) .
 ■ فضل الحج :

قد جاء في فضل الحج أحاديث كثيرة ، منها :
 1- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ تَأَنَّ رَسُولُ اللَّهِ ص سُئِلَ أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ ؟ فَقَالَ : «
 إِيْمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ » ، قِيلَ : ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ : الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، قِيلَ : ثُمَّ مَاذَا ؟
 قَالَ : « حَجٌّ مَبْرُورٌ » (رواه البخاري ومسلم)

والحج المبرور معناه : أ- أن يكون من مال حلال ب- أن يبتعد عن الفسق
 والإثم والجدال فيه ج- أن يأتي بالمناسك وفق السنة النبوية د- أن لا يراني
 بحجه ، بل يخلص فيه لربه ه- أن لا يعقبه بمعصية أو إثم .
 2- عن أبي هريرة تَقَالَ : سمعت النبي ص يقول : « مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ
 وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ » . (رواه البخاري ومسلم) .

3- عن أبي هريرة تأن رسول الله ص قال: «الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ». (رواه البخاري ومسلم).
 4- عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ لَقَالَتْ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا تَعَزُّو وَتَجَاهِدُ مَعَكُمْ؟ فَقَالَ: \$لَكِنَّ أَحْسَنَ الْجِهَادِ وَأَجْمَلَهُ الْحَجُّ ، حَجٌّ مَبْرُورٌ # ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: فَلَا أَدْعُ الْحَجَّ بَعْدَ إِذْ سَمِعْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ص (رواه البخاري).
 5- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص لِعَمْرُو بْنِ الْعَاصِ ت: «إِنَّمَا عَلِمْتُ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ ، وَأَنَّ الْهَجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلِهَا ، وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ». (رواه مسلم).

6- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ تَقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: «تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ ؛ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكَبِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ وَالذَّهَبُ وَالْفِضَّةَ ، وَلَيْسَ لِلْحَجَّةِ الْمَبْرُورَةِ ثَوَابٌ إِلَّا الْجَنَّةُ» (صحيح رواه الترمذي).
 7- عَنْ ابْنِ عَمْرٍ عَنِ النَّبِيِّ ص قَالَ: «الْعَازِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْحَاجُّ وَالْمُعْتَمِرُ وَفَدَى اللَّهِ ، دَعَاهُمْ فَأَجَابُوهُ ، وَسَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ». (حسن رواه ابن ماجه).

■ منافع الحج :

قال الله عز وجل: (لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ) (الحج : 28).

والمنافع : دنيوية ودينية.

أما الدينية : فلتحصيل رضوان الله تعالى ، والعودة بمغفرة الذنوب جميعاً ، وكذا الأجور العظيمة التي لا توجد إلا في تلك الأماكن ، فمثلاً الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة ، ولا يوجد طواف ولا سعي إلا في تلك الأماكن.

ومن المنافع لقاء المسلمين ، والوقوف على أحوالهم ، ولقاء أهل العلم ، والاستفادة منهم ، وطرح المشكلات عليهم.

وأما المنافع الدنيوية فمنها التجارة ، وسائر وجوه المكاسب الناشئة والمتعلقة بالحج.

■ حُكْمُ الْحَجِّ ، وما فيه من آثار على النفس :

لأداء مناسك الحج فضائل متعددة وحُكْمٌ بالغة من وُفُقٍ لفهمهما والعمل بها وفق لخير عظيم ، ومنها :

1- سفر الإنسان إلى الحج لأداء المناسك : يتذكر سفره إلى الله والدار الآخرة ، وكما أن في السفر فراق الأحبة والأهل والأولاد والوطن ؛ فإن السفر إلى الدار الآخرة كذلك.

قال ص: «يَتَّبِعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةً ، فَيَرْجِعُ ابْتِنَانٍ وَيَبْقَى مَعَهُ وَاحِدٌ: يَتَّبِعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَيَبْقَى عَمَلُهُ» (رواه البخاري ومسلم).

(يَتَّبِعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ) هذا يقع في الأغلب ، وَرُبَّ مَيِّتٍ لَا يَتَّبِعُهُ إِلَّا عَمَلُهُ فَقَطْ ، وَالْمُرَادُ مَنْ يَتَّبِعُ جِنَازَتَهُ مِنْ أَهْلِهِ وَرَفَقَتِهِ وَدَوَائِبِهِ عَلَى مَا جَرَتْ بِهِ عَادَةُ الْعَرَبِ ، وَإِذَا انْقَضَى أَمْرُ الْحُزْنِ عَلَيْهِ رَجَعُوا ، سَوَاءً أَقَامُوا بَعْدَ الدَّفْنِ أَمْ لَا .

2- وكما أن الذاهب في هذا السفر يتزود من الزاد الذي يبلغه إلى الديار المقدسة ، فليتذكر أن سفره إلى ربه ينبغي أن يكون معه من الزاد ما يبلغه مأمنه ، وفي هذا يقول الله تعالى: (وَتَزُودُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى) (البقرة: 197).
 تزود من التقوى فإنك لا تدري
 إذا جنَّ ليلٌ هل تعيشُ إلى الفجر
 فكم من فتى أمسى وأصبح ضاحكاً
 وقد نسجت أكفانه وهو لا يدري
 وكم من عروس زينوها لزوجها
 وقد قبضت أرواحهم ليلة القدر
 وكم من صحيح مات من غير علة
 وكم من سقيم عاش حيناً من

الدهر

3- وكما أن السفر قطعة من العذاب فالسفر إلى الدار الآخرة كذلك وأعظم منه بمراحل ، فأمام الإنسان النزع والموت والقبر والحشر والحساب والميزان والصراف ثم الجنة أو النار ، والسعيد من نجاه الله تعالى.
 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ تَقَالُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى: «يَجْمَعُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى النَّاسَ فَيَقُومُ الْمُؤْمِنُونَ حَتَّى تَزْلِفَ لَهُمُ الْجَنَّةَ فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: يَا أَبَانَا اسْتَفْتِحْ لَنَا الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: «وَهَلْ أَخْرَجَكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا خَطِيئَةٌ أَبِيكُمْ آدَمَ لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، اذْهَبُوا إِلَى ابْنِي إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللَّهِ».
 قَالَ: فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: «لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ إِنَّمَا كُنْتُ خَلِيلًا مِنْ وَرَاءَ وَرَاءَ، ااعْمِدُوا إِلَى مُوسَى - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - الَّذِي كَلَّمَهُ اللَّهُ تَكْلِيمًا».
 فَيَأْتُونَ مُوسَى - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - فَيَقُولُ: «لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى كَلَّمَهُ اللَّهُ وَرُوحَهُ»، فَيَقُولُ عِيسَى - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: «لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا ص فَيَقُومُ فَيُؤَدِّنُ لَهُ
 وَتُرْسَلُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ فَتَقُومَانِ جَنبَتِي الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا فَيَمُرُّ أَوْلَاكُمْ

كالبُرْقِ

قَالَ: قُلْتُ: يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ، أَيُّ شَيْءٍ كَمَرَ النَّبْرَقِ ؟
 قَالَ: أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْبُرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ.
 ثُمَّ كَمَرَ الرِّيحَ ، ثُمَّ كَمَرَ الطَّيْرَ ، وَشَدَّ الرَّجَالَ ، تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ ، وَنَبِيئُكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ: « رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ » ، حَتَّى تَعْجَزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا
 قَالَ: وَفِي حَافَتِي الصِّرَاطِ كَلَالِيْبٌ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنْ أَمَرَتْ بِهِ ، فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ ، وَمَخْدُوشٌ فِي النَّارِ».
 وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ إِنَّ فَعْرَ جَهَنَّمَ لَسَبْعُونَ حَرِيْقًا. (رواه مسلم)
 (تَزْلِفُ لَهُمُ الْجَنَّةَ): تَقْرُبُ ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (وَأَزْلَفْتُ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ)
 (أَيُّ : قُرْبَتْ .

قَوْلُهُ ص عَنْ إِبْرَاهِيمَ ص : (إِنَّمَا كُنْتُ خَلِيلًا مِنْ وَرَاءَ وَرَاءَ) هَذِهِ كَلِمَةٌ تُذَكِّرُ عَلَى سَبِيلِ التَّوَضُّعِ أَيُّ : لَسْتُ بِتِلْكَ الدَّرَجَةِ الرَّفِيعَةِ.
 قَوْلُهُ ص : (وَتُرْسَلُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ فَتَقُومَانِ جَنبَتِي الصِّرَاطِ)
 (جَنبَتَا الصِّرَاطِ) جَانِبَاهُ. (إِرْسَالُ الْأَمَانَةِ وَالرَّحِمِ) لِعَظَمِ أَمْرِهِمَا وَكِبَرِ مَوْقِعِهِمَا فَتُصَوَّرَانِ مُشَخَّصَتَيْنِ عَلَى الصِّفَةِ الَّتِي يُرِيدُهَا اللَّهُ تَعَالَى.
 (شَدَّ الرَّجَالَ) عَدَّوْهَا الْبَالِغَ وَجَزَّيْهَا.

(تَحْرِي بِهِمْ أَعْمَالَهُمْ) مَعْنَاهُ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ فِي سُرْعَةِ الْمُرُورِ عَلَى حَسَبِ مَرَاتِبِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ.

4- وإذا لبس المُحْرَم ثوبي إجماره فلا يذكر إلا كفته الذي سيكفن به ، وهذا يدعوهُ إلى التخلص من المعاصي والذنوب ، وكما تجرد من ثيابه فعليه أن يتجرد من الذنوب ، وكما لبس ثوبين أبيضين نظيفين فكذا ينبغي أن يكون قلبه وأن تكون جوارحه بيضاء لا يشوبها سواد الإثم والمعصية.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ص: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ صِدُوقِ اللِّسَانِ»
قَالُوا: صِدُوقُ اللِّسَانِ نَعْرِفُهُ؛ فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ؟ قَالَ: «هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ لَا إِثْمَ فِيهِ وَلَا بَغْيَ وَلَا غُلَّ وَلَا حَسَدًا» (صحيح رواه ابن ماجه).

5- وإذا قال الحاج في الميقات: «لبيك اللهم لبيك» فهو يعني أنه قد استجاب لربه تعالى ، فما باله باق على ذنوب وآثام لم يستجب لربه في تركها ويقول بلسان الحال: «لبيك اللهم لبيك» يعني: استجبت لنهيك لي عنها وهذا أو أن تركها؟

قال الله لأبيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون (الأنفال: 24)

يأمر تعالى عباده المؤمنين بما يقتضيه الإيمان منهم وهو الاستجابة لله وللرسول ، أي: الانقياد لما أمرا به والمبادرة إلى ذلك والدعوة إليه ، والاجتناب لما نهيا عنه ، والانكفاف عنه والنهي عنه.

وقوله لأبيها: (إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ) وصف ملازم لكل ما دعا الله ورسوله إليه ، وبيان لفائدته وحكمته ، فإن حياة القلب والروح بعبودية الله تعالى ولزوم طاعته وطاعة رسوله على الدوام.

ثم حذر عن عدم الاستجابة لله وللرسول ص فقال: (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ) فإياكم أن تردوا أمر الله أول ما يأتيكم ، فيحال بينكم وبينه إذا أردتموه بعد ذلك ، وتختلف قلوبكم ، فإن الله يحول بين المرء وقلبه ، يقلب القلوب حيث شاء ويصرفها أنى شاء.

فليكثر العبد من قول: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ، يا مصرف القلوب ، اصرف قلبي إلى طاعتك».

(وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) أي: تجمعون ليوم لا ريب فيه ، فيجازي المحسن بإحسانه ، والمسيء بعصيانه.

وقال لأبيها: (اسْتَجِبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ) (الشورى: 47)

يأمر تعالى عباده بالاستجابة له ، بامتنال ما أمر به ، واجتناب ما نهى عنه ، وبالمبادرة بذلك وعدم التسويف ، (مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ) القيامة الذي إذا جاء لا يمكن رده واستدراك الفائت ، وليس للعبد في ذلك اليوم ملجأ يلجأ إليه ، فيفوت ربه ، ويهرب منه.

بل قد أحاطت الملائكة بالخلقة من خلفهم ، ونودوا (يَا مَعْشَرَ الْبَنِي وَالْإِنْسِ إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ

الإيمان (الرحمن: 33) وليس للعبد في ذلك اليوم تكبير لما اقترفه وأجرمه ، بل لو أنكر لشهدت عليه جوارحه.

وهذه الآية ونحوها ، فيها ذم الأمل ، والأمر بانتهاز الفرصة في كل عمل يعرض للعبد ، فإن للتأخير آفات.

6- وترك الحاج للمحظورات أثناء إحرامه ، واشتغاله بالتلبية والذكر يبين له حال المسلم الذي ينبغي أن يكون عليه ، وفيه تربية له وتعويد للنفس على ذلك ، فهو يرَوِّضُ نفسه ويربِّيها على ترك مباحات في الأصل ، لكن الله حرمها عليه ها هنا في الحج ، فكيف يتعدى على محرمات حرمها الله عليه في كل زمان ومكان ؟

7. ودخول الحاج لبيت الله الحرام الذي جعله الله أمناً للناس يتذكر به العبد الأمن يوم القيامة ، وأنه لا يحصله الإنسان إلا بكد وتعب ، وأعظم ما يؤمن الإنسان يوم القيامة التوحيد وترك الشرك بالله ، وفي هذا يقول الله تعالى: (الذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ) (الأنعام: 82). (الذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا) أي: يخالطوا (إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ) الأمن من المخاوف والعذاب والشقاء ، والهداية إلى الصراط المستقيم ، فإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بظلم مطلقاً ، لا بشرك ، ولا بمعاصٍ ، حصل لهم الأمن التام ، والهداية التامة.

وإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بالشرك وحده ، ولكنهم يعملون السيئات ، حصل لهم أصل الهداية ، وأصل الأمن ، وإن لم يحصل لهم كمالها. ومفهوم الآية الكريمة ، أن الذين لم يحصل لهم الأمان ، لم يحصل لهم هداية ، ولا أمن ، بل حظهم الضلال والشقاء.

وقال لأبي: (وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) (الحج: 26)

8- وتقبيل للحجر الأسود يربي الزائر على تعظيم السنة ، وأن لا يتعدى على شرع الله بعقله القاصر ، ويعلم أن ما شرع الله للناس فيه الحكمة والخير ، ويربي نفسه على عبوديته لربه تعالى ، فَعَمَّرَتْ جَاءَ إِلَى الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ فَقَبَّلَهُ فَقَالَ: «إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ ، وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ» (رواه البخاري).

أَرَادَ عَمَّرَتْ أَنْ يُعْلِمَ النَّاسَ أَنَّ اسْتِئْذَانَهُ إِتْبَاعُ لِعَمَلِ رَسُولِ اللَّهِ صَ ، لَا لِأَنَّ الْحَجَرَ يَنْفَعُ وَيَضُرُّ بِذَاتِهِ كَمَا كَانَتْ الْجَاهِلِيَّةُ تَعْتَقِدُهُ فِي الْأَوْثَانِ ، إِنَّمَا شَرَعَ تَقْبِيلَهُ إِخْتِيَارًا لِيُعْلَمَ بِالمُشَاهَدَةِ طَاعَةَ مَنْ يُطِيعُ ، وَذَلِكَ شَبِيهَ بِقِصَّةِ إِبْلِيسَ حَيْثُ أَمَرَ بِالسُّجُودِ لِأَدَمَ.

قال تعالى: (فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) (النساء: 59). وقال رسول الله ص: «إِنَّهُ مَنْ عَاشَ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا ؛ فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمُهْتَدِينَ الرَّاشِدِينَ ، تَمَسَّكُوا بِهَا ، وَعَضُوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ ، وَأَيَّامِكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ» (صحيح رواه أبو داود ، وروى مسلم لفظة: «كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»).

« عَضُوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ » : كناية عن شدة التمسك بها ، و« النواجذ » : الأضراس .

وقال عبد الله بن مسعود ت: « اتبعوا ولا تتبدعوا فقد كفيتم » .
وقال الإمام مالك: / « من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً ص خان الرسالة ؛ لأن الله يقول : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) (المائدة : 3) ، فما لم يكن يومئذ ديناً فلا يكون اليوم ديناً » .

وقال الإمام الزهري / : « الاعتصام بالسنة نجاة ؛ لأن السنة - كما قال مالك - مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك » .

9- وفي طواف الحاج يتذكر أباه إبراهيم ؛ ، وأنه بنى البيت ليكون مثابة للناس وأمناً ، وأنه دعاهم للحج لهذا البيت ، فجاء نبينا محمد ص ودعا الناس لهذا البيت أيضاً ، وكذا كان يحج إليه موسى ويونس وعيسى + ، فكان هذا البيت شعاراً لهؤلاء الأنبياء وملتقى لهم ، وكيف لا وقد أمر الله تعالى إبراهيم ؛ ببنائه وتعظيمه .

10- وشرب الحاج لماء زمزم يذكره بنعمة الله تعالى على الناس بهذا الماء المبارك والذي شرب منه ملايين الناس على مدى دهور طويلة ولم ينضب ، ويحثه على الدعاء عند شربه .

عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ تَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص يَقُولُ: «مَاءُ زَمَزَمَ لِمَا شُرِبَ لَهُ» (صحيح رواه ابن ماجه)

وقال عنها رسول الله ص: « خَيْرُ مَاءٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مَاءُ زَمَزَمَ ؛ فِيهِ طَعَامٌ مِنَ الطَّعْمِ وَشِفَاءٌ مِنَ السَّقَمِ » (صحيح رواه الطبراني).

(فِيهِ طَعَامٌ مِنَ الطَّعْمِ) أي طعام إشباع أو طعام شبع من إضافة الشيء إلى صفته ، والطعم: الطعام (وَشِفَاءٌ مِنَ السَّقَمِ) أي شفاء من الأمراض إذا شرب بنية صالحة .

وقال عنها رسول الله : «إِنَّهَا مُبَارَكَةٌ إِنَّهَا طَعَامٌ طَعْمٌ» (رواه مسلم).
قوله ص في زَمَزَمَ \$: (إِنَّهَا طَعَامٌ طَعْمٌ # أَي تَشْبَعُ شَارِبَهَا كَمَا يَشْبَعُهُ الطَّعَامُ).

وفي قصة أبي ذر أنه لما دخل مكة أقام بها شهراً لا يتناول غير مائها وقال : « مَا كَانَ لِي طَعَامٌ إِلَّا مَاءُ زَمَزَمَ فَسَمِنْتُ حَتَّى تَكْسُرَتْ عُنُقُ بَطْنِي وَمَا أَجِدُ عَلَى كَيْدِي سُخْفَةَ جُوعٍ » (رواه مسلم).

(حَتَّى تَكْسُرَتْ عُنُقُ بَطْنِي) يَعْنِي إِنْتِنْتُ لِكثْرَةِ السِّمَنِ وَأَنْطَوْتُ .
(سُخْفَةَ جُوعٍ) أَي رِقَّةَ الْجُوعِ وَضَعْفَهُ وَهَرَالَهُ .

11- والسعي بين الصفا والمروة يذكر الحاج بما تحملته هاجر أم إسماعيل وزوجة الخليل عليه السلام من الابتلاء ، وكيف أنها كانت تتردد بين الصفا والمروة بحثاً عن مغيث يخلصها مما هي فيه من محنة وخاصة في شربة ماء لولدها الصغير - إسماعيل - ، فإذا صبرت هذه المرأة على هذا الابتلاء ولجأت لربها فيه فإن يفعل الرجل ذلك أولى وأحرى له ، فالرجل يتذكر جهاد المرأة وصبرها فيخفف عليه ما هو فيه ، والمرأة تتذكر من هو من بنات جنسها فتھون عليها مصائبها .

عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ت: «أَوَّلُ مَا اتَّخَذَ النِّسَاءُ الْمُنْطِقَ مِنْ قَبْلِ أُمِّ إِسْمَاعِيلَ اتَّخَذَتْ مِنْطِقًا لِنَعْفَى أَنْرَهَا عَلَى سِبَارَةٍ ، ثُمَّ جَاءَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ وَبَابِهَا إِسْمَاعِيلُ وَهِيَ تُرْضِعُهُ حَتَّى وَضَعَهُمَا عِنْدَ الْبَيْتِ عِنْدَ دَوْحَةٍ فَوْقَ زَمْزَمَ فِي أَعْلَى الْمَسْجِدِ ، وَلَيْسَ بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ فَوَضَعَهُمَا هُنَاكَ ، وَوَضَعَ عِنْدَهُمَا جِرَابًا فِيهِ تَمْرٌ وَسِقَاءٌ فِيهِ مَاءٌ.»

ثُمَّ قَفَى إِبْرَاهِيمُ مِنْطِقًا فَنَبِعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ فَقَالَتْ: يَا إِبْرَاهِيمُ أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بِهَذَا الْوَادِي الَّذِي لَيْسَ فِيهِ نَاسٌ وَلَا شَيْءٌ؟ فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ مِرَارًا وَجَعَلَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا ، فَقَالَتْ لَهُ: اللَّهُ الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَتْ: إِنْ لَا يُضَيِّعُنَا.»

ثُمَّ رَجَعَتْ فَانْطَلَقَ إِبْرَاهِيمُ حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ الثَّنِيَّةِ حَيْثُ لَا يَرَوْنَهُ اسْتَقْبَلَ بِوَجْهِهِ الْبَيْتَ ثُمَّ دَعَا بِهَوْلَاءِ الْكَلِمَاتِ وَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: (رَبَّنَا إِنِّي اسْكَنْتُ مِنْ دَرِيئِي بَوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ) (إبراهيم: 37)

وَجَعَلَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ تُرْضِعُ إِسْمَاعِيلَ وَتَشْرِبُ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ حَتَّى إِذَا بَدَأَ مَا فِي السِّقَاءِ عَطِشَتْ وَعَطِشَ ابْنُهَا ، وَجَعَلَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ يَتَلَوَّى أَوْ قَالَ يَتَلَبُّطُ ، فَانْطَلَقَتْ كَرَاهِيَةً أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْهِ ، فَوَجَدَتْ الصِّفَا أَقْرَبَ جَبَلٍ فِي الْأَرْضِ يَلِيهَا ، فَقَامَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ اسْتَقْبَلَتْ الْوَادِيَّ تَنْظُرُ هَلْ تَرَى أَحَدًا فَلَمْ تَرَ أَحَدًا فَهَبَطَتْ مِنَ الصِّفَا حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ الْوَادِيَّ رَفَعَتْ طَرْفَ دِرْعِهَا ثُمَّ سَعَتْ سَعَى الْإِنْسَانِ الْمَجْهُودِ حَتَّى جَاوَزَتْ الْوَادِيَّ ، ثُمَّ أَتَتْ الْمَرْوَةَ فَقَامَتْ عَلَيْهَا وَنَظَرَتْ هَلْ تَرَى أَحَدًا فَلَمْ تَرَ أَحَدًا فَفَعَلَتْ ذَلِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ النَّبِيُّ ص فَذَلِكَ سَعَى النَّاسِ بَيْنَهُمَا ، فَلَمَّا أَشْرَفَتْ عَلَى الْمَرْوَةِ سَمِعَتْ صَوْتًا فَقَالَتْ: صَه - ثَرِيدُ نَفْسِهَا - ثُمَّ تَسَمَّعَتْ فَسَمِعَتْ أَيْضًا ، فَقَالَتْ: قَدْ أَسْمَعْتُ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ عَوَاثٌ ، فَأَذَا هِيَ بِالْمَلِكِ عِنْدَ مَوْضِعِ زَمْزَمَ فَبَحَثَ بِعَقْبِهِ - أَوْ قَالَ بِجَنَابِهِ - حَتَّى ظَهَرَ الْمَاءُ فَجَعَلَتْ تَحْوِضُهُ وَتَقُولُ بِيَدِهَا هَكَذَا وَجَعَلَتْ تَعْرِفُ مِنَ الْمَاءِ فِي سِقَانِهَا وَهُوَ يَفُورُ بَعْدَ مَا تَعْرِفُ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ النَّبِيُّ ص: «يَرْحَمُ اللَّهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ لَوْ تَرَكَتْ زَمْزَمَ أَوْ قَالَ لَوْ لَمْ تَعْرِفْ مِنَ الْمَاءِ لَكَانَتْ زَمْزَمَ عَيْنًا مَعِينًا.»

قَالَ: فَشَرِبَتْ وَارْضَعَتْ وَلَدَهَا فَقَالَ لَهَا الْمَلِكُ: لَا تَخَافُوا الضَّبْعَةَ فَإِنَّ هَا هُنَا بَيْتُ اللَّهِ بِنَبِيِّ هَذَا الْعَلَامِ وَأَبُوهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضَيِّعُ أَهْلَهُ.» (رواه البخاري)

(المنطق) هو ما يُشَدُّ بِهِ الْوَسْطُ
(عِنْدَ دَوْحَةٍ) الدَّوْحَةُ: الشَّجَرَةُ الْكَبِيرَةُ.
(فِي أَعْلَى الْمَسْجِدِ) أَي مَكَانَ الْمَسْجِدِ ، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ حَبِيبًا بُنِي.
(وَسِقَاءٌ فِيهِ مَاءٌ) السِّقَاءُ قُرْبَةٌ صَغِيرَةٌ.
(ثُمَّ قَفَى إِبْرَاهِيمُ) أَي وَلَّى رَاجِعًا إِلَى الشَّامِ.
(يَتَلَوَّى أَوْ قَالَ يَتَلَبُّطُ) يَتَمَرَّغُ وَيَضْرِبُ بِنَفْسِهِ الْأَرْضَ.
(ثُمَّ سَعَتْ سَعَى الْإِنْسَانِ الْمَجْهُودِ) أَي الَّذِي أَصَابَهُ الْجَهْدُ وَهُوَ الْأَمْرُ

المُشَقِّقُ.

(فَقَالَتْ: صَه) كَأَنَّهَا خَاطَبَتْ نَفْسَهَا فَقَالَتْ لَهَا: أُسْكِنْتِي
(إِنْ كَانَ عِنْدَكَ عَوَاثٌ) أَي إِنْ كَانَ عِنْدَكَ عَوَاثٍ فَاعْنَتِي.
(فَجَعَلَتْ تَحْوِضُهُ) أَي تَجْعَلُهُ مِثْلَ الْحَوْضِ.

وَتَقُولُ بِيَدِهَا هَكَذَا هُوَ حِكَايَةٌ فَعَلَهَا.
(عَيْنًا مَعِينًا) أَي ظَاهِرًا جَارِيًا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ.

(لَا تَخَافُوا الضَّيْعَةَ) أَي الْهَلَاكَ.
(يَبْنِي هَذَا الْعُلَامَ) أَي يُبْنِيهِ هَذَا الْعُلَامَ.

11- والوقوف بعرفة يذكر الحاجُّ بازدحام الخلائق يوم المحشر ، وأنه إن كان الحاج ينصب ويتعب من ازدحام الأف فكيف بازدحام الخلائق حفاة عرابة غرلا - غير مختونين - ووقوفًا خمسين ألف سنة ؟

عن ابن عباس قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ص يَقُولُ: «إِنَّكُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ حُفَاةَ عُرَاةَ مُشَاةَ غُرْلًا» (رواه البخاري)

(إِنَّكُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ) أَي فِي الْمَوْقِفِ بَعْدَ النَّبْعِ.

(حُفَاةَ) جَمْعُ حَافٍ أَي بِلَا حُفٍّ وَلَا نَعْلِ.

(غُرْلًا) جَمْعُ أَعْرَلٍ وَهُوَ الْأَقْلَفُ ، وَهُوَ مَنْ بَقِيَتْ غُرْلَتُهُ وَهِيَ الْجِلْدَةُ الَّتِي يَفْطَعُهَا الْخَائِنُ مِنَ الذَّكَرِ.

وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص يَقُولُ: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةَ عُرَاةَ غُرْلًا». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ النَّسَاءُ وَالرِّجَالُ جَمِيعًا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ؟

قَالَ ص: «يَا عَائِشَةُ الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ» (رواه مسلم).

مُستوحشًا قَلِقَ الْأَحْشَاءِ

مَثَلٌ وَقُوفَكَ يَوْمَ الْعَرِضِ عُرْيَانًا

حَيْرَانًا

على العصاة وربُّ العرش

النَّارُ تَلْهَبُ مِنْ غِيظٍ وَمِنْ حَنَقٍ

غَضْبَانًا

فهل ترى فيه حرقًا غيرَ مَا

أَقْرَأَ كِتَابَكَ يَا عَبْدُ عَلَى مَهَلٍ

كَانَا

إِقْرَارَ مَنْ عَرَفَ الْأَشْيَاءَ

فَلَمَّا قَرَأَتْ وَلَمْ تُنَكِرْ قِرَاءَتَهُ

عِرْفَانًا

وَأَمْضُوا بَعْدِي عَصَى - لِلنَّارِ -

نَادَى الْجَلِيلُ خُدُوهُ يَا مَلَانِكْتِي

عَطْشَانًا

المشركون غداً في النار تلتهبُ والمؤمنون بدار الخلد سُكَّانَا

12- وفي رمي الجمار يعوّد المسلم نفسه على الطاعة المجردة ولو لم يُدرك فائدة الرمي وحكمته ، ولو لم يستطع ربط الأحكام بعللها ، وفي هذا إظهار للعبودية المحضة لله تعالى.

13- وأما ذبح الحاجِّ الهدى فيذكره بالحادثة العظيمة في تنفيذ أبينا إبراهيم لأمر الله تعالى بذبح ولده البكر إسماعيل بعد أن شبَّ وصار مُعِينًا لَهُ ، وأنه لا مكان للعاطفة التي تخالف أمر الله ونهيه ، ويعلمه كذلك الاستجابة لما أمر الله لأقال الله لأ: (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ) (الصافات : 102).

14- فإذا ما تحلل من إحرامه وحلَّ له ما حرمه الله عليه : ربَّاه ذلك على عاقبة الصبر ، وأن مع العسر يسراً ، وأن عاقبة المستجيب لأمر الله الفرح والسرور وهذه فرحة لا يشعر بها إلا من ذاق حلاوة الطاعة ، كالفرحة التي يشعرها الصائم عند فطره ، أو القائم في آخر الليل بعد صلاته.

15- وإذا انتهى الحاجُّ من مناسكِّ الحج وجاء به على ما شرع الله وأحب ، وأكمل مناسكه رجاء ربه أن يغفر له ذنوبه كلها كما وعد بذلك النبي ص بقوله : « مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ مِنْ حَجِّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ » (رواه البخاري ومسلم) ، ودعاه ذلك ليفتح صفحة جديدة في حياته خالية من الآثام والذنوب.

16- وإذا رجع الحاجُّ إلى أهله وبنيه وفرح بلقائهم ذكره ذلك بالفرح الأكبر بلقائهم في جنه الله تعالى ، وعرفه ذلك بأن الخسارة هي خسارة النفس والإهل يوم القيامة ، كما قال تعالى : (قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخَسِرَانُ الْمُبِينُ) (الزمر: 15).

إِلَيْكَ إِلَهِي قَدْ أَتَيْتُ مُلْتَبِئًا
بَارِكْ إِلَهِي حَجَّتِي
وَدُعَانِيًا

قصدتُك مضطراً وجئتُك باكياً
وحاشاك ربي أن تُردَّ
بُكَائِيًا

كفاني فخراً أنني لك عابداً
فيافرحتي إن صرتُ عبداً
مُوالِيًا

إلهي فأنت الله لا شيء مثله
فأفعم فؤادي حكمةً
ومعانيًا

أتيتُ بلا زاد ، وجودك مطعمي
وما خاب من يهفو
لجودك ساعياً

إليك إلهي قد حضرتُ مؤملاً
خلاص فؤادي من
ذُنُوبِي مُلْتَبِئًا

وكيف يرى الإنسان في الأرض متعةً
وقد أصبح القدسُ
الشريف مَلاهِيًا

يجوسُ به الأندال من كلِّ جانبٍ
وقد كان للأطهار قدسًا
وَنَادِيًا

معالمُ إسرائٍ ، ومهبطُ حكمةٍ
روضة قرآنٍ تعطرُ
وَادِيًا

49- قصة الذبح... دروس وعبر

قال الله لأبيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ * أَنْفَكَ آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تَرْيَدُونَ * فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ * فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ * فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ * فَرَاغَ إِلَى آلِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ * مَا لَكُمْ لَا تَنْتَفُونَ * فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ * فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ * قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَحْتُونَ * وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ * قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا فَأَلْفَوْهُ فِي الْجَحِيمِ * فَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ * وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَّهْدِينِ * رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ * فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ * فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ * وَتَرْكِنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ * كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ * وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ * وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُخْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ (سورة الصافات: 83-113)

أي: وإن إبراهيم الخليل؛ من شيعة نوح؛ ، ومن هو على طريقته في النبوة والرسالة، ودعوة الخلق إلى الله، وإجابة الدعاء. (إذ جاء ربه بقلب سليم) من الشرك والشبه، والشهوات المانعة من تصور الحق، والعمل به، وإذا كان قلب العبد سليمًا، سلم من كل شر، وحصل له كل خير، ومن سلامته أنه سليم من غش الخلق وحسدهم، وغير ذلك من مساوئ الأخلاق، وبهذا القلب السليم، استنكر ما عليه قومه واستبشعه. استنكار الحس السليم لكل ما تنبو عنه الفطرة الصادقة من تصور ومن سلوك. ولهذا نصح الخلق في الله، وبدأ بأبيه وقومه فقال: (إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون) هذا استفهام بمعنى الإنكار، والزام لهم بالحجة. (أنفك آلهة دون الله تريدون) أي: أتعبدون من دون الله - آلهة كذبًا، ليست بالآلهة، ولا تصلح للعبادة، فما ظنكم برب العالمين، أن يفعل بكم وقد عبدتم معه غيره؟ وهذا ترهيب لهم بالجزاء بالعقاب على الإقامة على شركهم. وما الذي ظننتم برب العالمين، من النقص حتى جعلتم له أندادًا وشركاء. فأراد؛ ، أن يكسر أصنامهم، ويتمكن من ذلك، فانتهاز الفرصة في حين غفلة منهم، لما ذهبوا إلى عيد من أعيادهم، فخرج معهم.

■ كذب ولكن:

(فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ تَأْنِ رَسُولَ اللَّهِ ص قَالَ: «لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَطُّ إِلَّا ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ تَنْبِيْنٍ فِي ذَاتِ اللَّهِ قَوْلُهُ (إِنِّي سَقِيمٌ) وَقَوْلُهُ (بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا).»

وَوَاحِدَةٌ فِي شَأْنِ سَارَةَ فَإِنَّهُ قَدِمَ أَرْضَ جَبَّارٍ وَمَعَهُ سَارَةُ وَكَانَتْ أَحْسَنَ النَّاسِ فَقَالَ لَهَا: «إِنَّ هَذَا الْجَبَّارُ إِنْ يَعْلَمُ أَنَّكَ أَمْرَأَتِي يَغْلِبُنِي عَلَيْكَ ، فَإِنْ سَأَلْتُكَ فَأَخْبِرِيهِ أَنَّكَ أختِي ؛ فَإِنَّكَ أختِي فِي الْإِسْلَامِ ، فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ مُسْلِمًا غَيْرِي وَغَيْرِكَ».

فَلَمَّا دَخَلَ أَرْضَهُ رَأَاهَا بَعْضُ أَهْلِ الْجَبَّارِ أَتَاهُ فَقَالَ لَهُ: «لَقَدْ قَدِمَ أَرْضَكَ امْرَأَةٌ لَا يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تَكُونَ إِلَّا لَكَ» ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا فَأَتَتْ بِهَا فَقَامَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى الصَّلَاةِ فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ لَمْ يَمَّاكُ أَنْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَيْهَا فَقَبِضَتْ يَدَهُ قَبِيضَةً شَدِيدَةً فَقَالَ لَهَا: «ادْعِي اللَّهَ أَنْ يُطْلِقَ يَدِي وَلَا أَضْرِكَ» ، فَفَعَلَتْ . فَعَادَ فَعَادَ فَقَبِضَتْ أَشَدَّ مِنَ الْقَبِيضَةِ الْأُولَى فَقَالَ لَهَا مِثْلَ ذَلِكَ ، فَفَعَلَتْ ، فَعَادَ فَقَبِضَتْ أَشَدَّ مِنَ الْقَبِيضَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ ، فَقَالَ: «ادْعِي اللَّهَ أَنْ يُطْلِقَ يَدِي فَكُلَّ اللَّهَ أَنْ لَا أَضْرِكَ» ، فَفَعَلَتْ وَأَطْلَقَتْ يَدَهُ ، وَدَعَا الَّذِي جَاءَ بِهَا فَقَالَ لَهُ: «إِنَّكَ إِنَّمَا أَتَيْتَنِي بِشَيْطَانٍ وَلَمْ تَأْتِنِي بِإِنْسَانٍ» ، فَأَخْرَجَهَا مِنْ أَرْضِي وَأَعْطَاهَا هَاجِرًا . قَالَ: فَأَقْبَلْتُ تَمْشِي فَلَمَّا رَأَاهَا إِبْرَاهِيمُ ؛ انصَرَفَ فَقَالَ لَهَا : مَهِيمٌ ؟ قَالَتْ : خَيْرًا كَفَّ اللَّهُ يَدَ الْفَاجِرِ ، وَأَخَذَمَ خَادِمًا » (رواه البخاري ومسلم).

وَأَمَّا إِطْلَاقُهُ الْكُذْبَ عَلَى الْأُمُورِ الثَّلَاثَةِ فَلِكُونِهِ قَالَ قَوْلًا يَعْنِدُهُ السَّمْعُ كَذِبًا لَكِنَّهُ إِذَا حَقَّقَ لَمْ يَكُنْ كَذِبًا كَذِبًا مَدْمُومًا لَوْجَهَيْنِ :

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ مِنْ بَابِ الْمَعَارِضِ الْمُحْتَمَلَةِ لِلْأُمُورِ فَلَيْسَ بِكَذِبٍ مَحْضٍ ، فَقَوْلُهُ : (إِنِّي سَقِيمٌ) يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ إِنِّي سَقِيمٌ أَي سَأْسَقَمُ وَأَسْمُ الْفَاعِلِ يُسْتَعْمَلُ بِمَعْنَى الْمُسْتَقْبَلِ كَثِيرًا ، وَيُحْتَمَلُ أَنَّهُ أَرَادَ إِنِّي سَقِيمٌ بِمَا قَدَّرَ عَلَيَّ مِنَ الْمَوْتِ أَوْ سَقِيمٌ الْحُجَّةَ عَلَى الْخُرُوجِ مَعَكُمْ .

وَقَوْلُهُ : (بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ) قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: هَذَا قَالَهُ تَمْهِيدًا لِإِسْتِدْلَالِ عَلَى أَنَّ الْأَصْنَافَ لَيْسَتْ بِالْهَيْئَةِ وَقَطْعًا لِقَوْمِهِ فِي قَوْلِهِمْ أَنَّهَا تَصْرَفُ وَتَنْفَعُ ، وَهَذَا الْإِسْتِدْلَالُ يَنْجَوِزُ فِيهِ الشَّرْطُ الْمُتَّصِلُ ، وَلِهَذَا أُرْدَفَ قَوْلُهُ : (بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ) بِقَوْلِهِ : (فَسَأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ) قَالَ إِبْنُ قُتَيْبَةَ: مَعْنَاهُ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ فَقَدْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ، فَالْحَاصِلُ أَنَّهُ مُشْتَرَطٌ بِقَوْلِهِ : (إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ) أَوْ أَنَّهُ إِسْتَدَّ إِلَيْهِ ذَلِكَ لِكُونِهِ السَّبَبِ . وَقَوْلُهُ : «هَذِهِ أختِي» يُعْتَدَرُ عَنْهُ بِأَنْ مُرَّادَهُ أَنَّهَا أختُهُ فِي الْإِسْلَامِ .

وَالْوَجْهُ الثَّانِي: أَنَّهُ لَوْ كَانَ كَذِبًا لَا تَوْرِيَةَ فِيهِ لَكَانَ جَائِزًا فِي دَفْعِ الظَّالِمِينَ ، وَقَدْ اتَّفَقَ الْفُقَهَاءُ عَلَى أَنَّهُ لَوْ جَاءَ ظَالِمٌ يَطْلُبُ إِنْسَانًا مُخْتَفِيًا لِيَقْتُلَهُ ، أَوْ يَطْلُبُ وَدِيعةً لِإِنْسَانٍ لِيَأْخُذَهَا غَضَبًا ، وَسَأَلَ عَنْ ذَلِكَ ، وَجَبَ عَلَى مَنْ عَلِمَ ذَلِكَ أَخْفَاؤُهُ وَإِنكَارَ الْعِلْمِ بِهِ ، وَهَذَا كَذِبٌ جَائِزٌ ، بَلْ وَاجِبٌ لِكُونِهِ فِي دَفْعِ الظَّالِمِ ، فَتَبَّ النَّبِيُّ ص عَلَى أَنْ هَذِهِ الْكَذِبَاتُ لَيْسَتْ دَاخِلَةً فِي مَطْلَقِ الْكُذْبِ الْمَدْمُومِ .

قَوْلُهُ : (مَهِيمٌ) مَعْنَاهَا: مَا الْخَبْرُ . قَوْلُهُ : (فَكُلَّ اللَّهَ) أَي شَاهِدًا وَضَامِنًا أَنْ لَا أَضْرِكَ . قَوْلُهَا : (وَأَخَذَمَ خَادِمًا) أَي وَهَبْتَنِي خَادِمًا ، وَهِيَ هَاجِرٌ . وَالْخَادِمُ يَقَعُ عَلَى الذَّكَرِ وَالْإُنْثَى .

(فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ) (ف) لِهَذَا (تَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ) فَلَمَّا وَجَدَ الْفُرْصَةَ .

(فَرَاغَ إِلَى آلِهِتِهِمْ) أي: أسرع إليها على وجه الخفية والمراوغة ، (فَقَالَ) منتهكاً بها (أَلَا تَأْكُلُونَ * مَا لَكُمْ لَا تَنْطُقُونَ) أي: فكيف يليق أن تعبد ، وهي أنقص من الحيوانات ، التي تأكل أو تتكلم؟ فهذه جماد لا تأكل ولا تتكلم . (فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ) أي: جعل يضربها بقوته ونشاطه ، حتى جعلها جذاذاً ، إلا كبيراً لهم ، لعلمهم إليه يرجعون .

(فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ) أي: يسرعون ويهرعون ، أي: يريدون أن يوقعوا به ، بعدما بحثوا وقالوا: (مَنْ فَعَلَ هَذَا بِالْهَيْتَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ) ، وقيل لهم: (سَمِعْنَا فَتَى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ) يقول: (تَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ) فوبخوه ولاموه ، فقال: (يَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسَلُّوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطُقُونَ فَرَجِعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ثُمَّ نَكَسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطُقُونَ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ) .

(فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ) لقد تسامعوا بالخبر ، وعرفوا من الفاعل ، فأقبلوا إليه يسرعون الخطى ، وهم جمع كثير غاضب هائج ، وهو فرد واحد . ولكنه فرد مؤمن . فرد يعرف طريقه . فرد عقيدته معروفة له محدودة . يدركها في نفسه ، ويرأها في الكون من حوله . فهو أقوى من هذه الكثرة الهائجة المائجة ، المدخولة العقيدة ؛ ومن ثم يواجههم بالحق الفطري البسيط لا يبالي كثرتهم وهاجهم !!

(قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَحْتُونَ) أي: تحتونه بأيديكم وتصنعونه؟ فكيف تعبدونهم ، وأنتم الذين صنعتموهم ، وتتركون الإخلاص لله لا الذي (خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ) .

ومع وضوح هذا المنطق وبساطته ، إلا أن القوم في غفلتهم وفي اندفاعهم لم يستمعوا له ، ومتى استمع الباطل إلى صوت الحق البسيط؟ واندفع أصحاب الأمر والنهي فيهم يزاولون طغيانهم في صورته الغليظة : (قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا) أي: عاليًا مرتفعًا ، وأوقدوا فيها النار (قَالِقُوهُ فِي الْجَحِيمِ) جزاء على ما فعل ، من تكسير ألتهتهم . إنه منطلق الحديد والنار الذي لا يعرف أعداء الإسلام منطلقًا سواه ؛ عندما تعوزهم الحجة وينقصهم الدليل . وحينما تخرجهم كلمة الحق الخالصة ذات السلطان المبين .

(فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا) ليقتلوه أشنع قتلة (فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَسْفَلِينَ) رد الله كيدهم في نحورهم ، وجعل النار على إبراهيم بردًا وسلامًا . وأين يذهب كيد العباد إذا كان الله يريد؟ وماذا يملك أولئك الضعاف المهازيل من الطغاة والمتجبرين وأصحاب السلطان وأعوانهم من الكبراء إذا كان الله لا يدافع عن عباده المخلصين؟ لقد أرادوا به الهلاك في النار التي أسموها الجحيم . وأراد الله أن يكونوا هم الأسفلين ؛ ونجاه من كيدهم أجمعين .

■ مهاجر إلى الله لا:

ولما فعلوا فيه هذا الفعل ، وأقام عليهم الحجة ، وأعذر منهم ، (قَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي) أي: مهاجر إليه ، قاصد إلى الأرض المباركة أرض الشام . (سَيَهْدِينِ) يدلني إلى ما فيه الخير لي ، من أمر ديني ودنياي ، وقال في الآية

الأخرى: (وَأَعْتَزَلَكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَفِيئًا).

عندئذ استدبر إبراهيم مرحلة من حياته ليستقبل مرحلة ؛ وطوى صفحة لينشر صفحة: (قَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي) هكذا.. اني ذاهب إلى ربي.. إنها الهجرة. وهي هجرة نفسية قبل أن تكون هجرة مكانية. هجرة يترك وراءه فيها كل شيء من ماضي حياته. يترك أباه وقومه وأهله وبيته ووطنه وكل ما يربطه بهذه الأرض ، وبهؤلاء الناس. ويدع وراءه كذلك كل عائق وكل شاغل. ويهاجر إلى ربه متخفياً من كل شيء ، طارحاً وراءه كل شيء ، مسلماً نفسه لربه لا يستبقي منها شيئاً. موقن أن ربه سيهديه ، وسيرعى خطاه ، وينقلها في الطريق المستقيم.

إنها الهجرة الكاملة من حال إلى حال ، ومن وضع إلى وضع ، ومن أواصر شتى إلى أصرة واحدة لا يزحمها في النفس شيء. إنه التعبير عن التجرد والاستسلام والطمأنينة واليقين.

■ الجزء من جنس العمل:

وكان إبراهيم حتى هذه اللحظة وحيداً لا عقب له ؛ وهو يترك وراءه أواصر الأهل والقربي ، والصحبة والمعرفة. وكل مألوف له في ماضي حياته ، وكل ما يشده إلى الأرض التي نشأ فيها ، والتي انحسم ما بينه وبين أهلها الذين ألقوه في الجحيم! فاتجه إلى ربه الذي أعلن أنه ذاهب إليه. أتجه إليه يسأله الذرية المؤمنة والخلف الصالح: (رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ) واستجاب الله دعاء عبده الصالح المتجرد ، الذي ترك وراءه كل شيء ، وجاء إليه بقلب سليم..

(رَبِّ هَبْ لِي) ولدًا يكون (مِنَ الصَّالِحِينَ) وذلك عندما أيس من قومه ، ولم ير فيهم خيراً ، دعا الله أن يهب له غلاماً صالحاً ، ينفع الله به في حياته ، وبعد مماته.

(رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ) هذا الدعاء لطلب الولد ليس لمجرد طلب الولد ليس بمجرد وجود الرغبة في الأبوة و لكن ليكون صالحاً. هذا هو النافع للإنسان أما الولد عندما لا يكون صالحاً فهو ضرر على الإنسان و ربما كان عذاباً كما قال لأ في المنايقين: (فَلَا تَعْجَبْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَوْلَادَهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ) (التوبة: 55).

فربما كان الولد سبباً في عذاب أبيه و أمه إذا لم يكن صالحاً. إبراهيم؛ يقول (رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ) والذي يريد الولد ينبغي أن يدعوا هذا الدعاء (رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ) ، ولم يطلب زكريا ؛ أي ذرية و إنما ذرية طيبة (قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ) (آل عمران: 38) إنما يريد من يعبد الله سبحانه و تعالي.

■ إذا تأخرت إجابة الدعاء لا تعجل:

إذا تأخرت إجابة الدعاء لا تعجل ؛ فقد مضت سنوات قبل أن يستجاب لإبراهيم ؛ قد أجيبت الدعوة و لكن متي تحققت الإجابة قد تتأخر فلا تستعجل فعن أبي هريرة بن رسول الله ص قال: «يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ ، فَيَقُولُ: قَدْ دَعَوْتُ فَلَمْ يَسْتَجِبْ لِي» (رواه مسلم).

الهيئة من الله ، الولد هيئة محضة الإنسان قد يأخذ بالأسباب ولكنه يعجز ، إبراهيم ؛ دعا بهذه الدعوة و تأخرت الإجابة إلي الكبر إلي أن يبأس الناس في العادة من أن يوجد لمثل هذا الرجل ولد ؛ ولهذا قال : (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ) (إبراهيم:39).
(رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ) فلا تياس من رحمة الله ، كما لم يياس إبراهيم ؛ الفرج قد يأتي في اللحظة الأخيرة كما في شأن الولد يأتي بعد أن يياس الناس.

كانت سارة وصلت إلي سن لا تجد فيها أملاً ، هي أصل عقيم و عجوز ولكن لم يياس إبراهيم فاستجاب الله له ، قال الله لأ : (فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ)؛ قال الله

(وَبَيْنَهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ * قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ * قَالَ أَبَشْرُؤُمُونِي عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمِ بَشْرُونَ * قَالُوا بَشْرُوكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِنَ الْقَانِطِينَ * قَالَ وَمَنْ يَقْطَعُ مِنَ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ) (الحجر: 51-56)

فاستجاب الله له وقال : (فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ) وهذا إسماعيل ؛ بلا شك ، فإنه ذكر بعده البشارة بإسحاق ، ولأن الله تعالى قال في بشراه بإسحاق (فَبَشِّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ) فدل على أن إسحاق غير الذبيح ، ووصف الله لإسماعيل ؛ بالحلم ، وهو يتضمن الصبر ، وحسن الخلق ، وسعة الصدر والعفو عن جنى.

■ موقف عظيم فريد:

والآن أن نطلع على الموقف العظيم الكريم الفريد في حياة إبراهيم ؛ بل في حياة البشر أجمعين. وأن نقف من سياق القصة في القرآن أمام المثل الموحى الذي يعرضه الله للأمة المسلمة من حياة أبيها إبراهيم..

(فَلَمَّا بَلَغَ) الغلام (مَعَهُ السَّعْيَ) أي: أدرك أن يسعى معه ، وبلغ سنًا يكون - في الغالب - أحب ما يكون لوآلديه ، قد ذهبت مشقته ، وأقبلت منفعته ، فقال له إبراهيم ؛: (إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ) أي: قد رأيت في النوم والرؤيا ، أن الله يأمرني بذبحك ، ورؤيا الأنبياء وحي (فَانظُرْ مَاذَا تَرَى) فإن أمر الله تعالى ، لا بد من تنفيذه.

قَالَ إِسْمَاعِيلُ؛ صَابِرًا مُحْتَسِبًا ، مَرْضِيًّا لِرَبِّهِ ، وَبَارًّا بِوَالِدِهِ: (يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ) أي: امض لما أمرك الله (سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ) أخبر أباه أنه مؤظن نفسه على الصبر ، وقرن ذلك بمشيئة الله تعالى ، لأنه لا يكون شيء بدون مشيئة الله تعالى... بالروعة الإيمان والطاعة والتسليم..

■ بلاء مبین :

هذا إبراهيم الشيخ. المقطوع من الأهل والقرابة. المهاجر من الأرض والوطن. ها هو ذا يرزق في كبره وهرمه بسلام. طالما تطلع إليه. فلما جاءه جاء غلامًا ممتازًا يشهد له ربه بأنه حليم. وها هو ذا ما يكاد يأنس به ، وصباه يتفتح ، ويبلغ معه السعي ، ويرافقه في الحياة.. ها هو ذا ما يكاد يأنس ويستروح بهذا الغلام الوحيد ، حتى يرى في منامه أنه يذبحه. ويدرك أنها إشارة من ربه بالتضحية.

ولو أن الإنسان أمّر بأن ينظر فقط إلي ولده المريض لكان ذلك مؤلمًا ، أم إسماعيل لما كانت تنظر إلي ولدها يتلوي من الجوع انصرفت كراهية أن تنظر إليه ، والأب كذلك يتألم. تخيل لو أن أحدًا يحاول أن يقتل ابنك ، كل طاقاتك الكامنة تنفجر لكي تنقذه من القتل.

أما في حالة إبراهيم ؛ هو مأمور أن يقتله بنفسه وأيضًا بالذبح ، وهو بجانبه مباشرة ؛ فسبحان الله بلاء مبین لأن سيدنا إبراهيم ؛ لم يكن في قلبه شيء لغير الله ، فحب الولد حب عظيم وكثير من الناس يأكل الحرام ويتعامل بالربا لكي يبني للأولاد مستقبلًا - بزعمه - وربما باع دينه لأجل الأولاد. فحب الولد كان الامتحان الأكيد في أن إبراهيم خالص لله سليم قلبه لله.

فماذا؟ إنه لا يتردد ، ولا يخالجه إلا شعور الطاعة ، ولا يخطر له إلا خاطر التسليم.. نعم إنها إشارة. مجرد إشارة. وليست وحيًا صريحًا ، ولا أمرًا مباشرًا. ولكنها إشارة من ربه.. وهذا يكفي.. هذا يكفي ليبي ويستجيب. ودون أن يعترض. ودون أن يسأل ربه.. لماذا يا ربي أذبح ابني الوحيد؟!

ولكنه لا يلبى في انزعاج ، ولا يستسلم في جزع ، ولا يطيع في اضطراب.. كلا إنما هو القبول والرضى والطمأنينة والهدوء. يبدو ذلك في كلماته لابنه وهو يعرض عليه الأمر الهائل في هدوء وفي اطمئنان عجيب :

(فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى) فهي كلمات المالك لأعصابه ، المطمئن للأمر الذي يواجهه ، الوثائق بأنه يؤدي واجبه. وهي في الوقت ذاته كلمات المؤمن ، الذي لا يهوله الأمر

فيؤديه ، في اندفاع وعجلة ليخلص منه وينتهي ، ويستريح من ثقله على أعصابه!

والأمر شاق ما في ذلك شك ؛ فهو لا يطلب إليه أن يرسل بابنه الوحيد إلى معركة ولا يطلب إليه أن يكلفه أمرًا تنتهي به حياته ، إنما يطلب إليه أن يتولى هو بيده ، يتولى ماذا؟ يتولى ذبحه.. وهو مع هذا يتلقى الأمر هذا التلقي ، ويعرض على ابنه هذا العرض؛ ويطلب إليه أن يتروى في أمره ، وأن يرى فيه رأيه!

إنه لا يأخذ ابنه على غرة لينفذ إشارة ربه وينتهي. إنما يعرض الأمر عليه كالذي يعرض المألوف من الأمر. فالأمر في حسه هكذا. ربه يريد. فليكن ما يريد ، وابنه ينبغي أن يعرف. وأن يأخذ الأمر طاعة وإسلامًا ، لا فخرًا واضطرارًا. لينال هو الآخر أجر الطاعة ، وليسلم هو الآخر ويتذوق حلاوة التسليم!

جاء الابتلاء في صورة يمكن أن يدخل الشيطان منها وهي أنها لم تكن وحيًا مباشرًا - أتاه جبريل مثلًا - وإنما رأي في المنام ولكن رؤيا الأنبياء وحي ، وهذا وحي من الله لأ.

■ تربية ونعمت التربية:

ولم يتشكك إبراهيم وإنما تطف في عرض الأمر علي ولده ليكون فعله صادرًا عن اقتناع وعن طواعية في الحقيقة لم يُرد أن يذبحه مباشرة ، هو سيفذ الأمر سواء قبل الولد أم لم يقبل ، لكنه يريد أن يتأب الولد ؛ لذا قال: (يا بَنِي) ، جلس معه و خاطبه بهذه اللفظة: (يا بَنِي) يعني يا ابني الصغير ، يذكره بأنه لم ينس رابطة البنوة التي تربطه به ، أنا أبوك و أنت ابني ، ومع ذلك إنني أري في المنام أنني أدبحك لكي لا يظن الابن أن ذلك ينافي الشفقة أو نسيان العلاقة. لا ليس كذلك ، هو متذكر تمامًا أنه ابنه يتلطف معه لكي يصدر الأمر عن رضا وسماحة نفس ؛ فالنفس إذا أدت ما كُلفت به عن سماحة وطيب نفس كان ذلك أركي وأكثر في الثواب ومقبولاً عند الله. أما الذي يستخرج الطاعة من بين أضراره فهذا طاعته ناقصة.

فإبراهيم ؛ يعلمنا من خلال هذه الوسيلة التربوية الرائعة كيفية توجيه الأبناء ينبغي أن يكون بالمجالسة و بالملاطفة وبالنصيحة المباشرة وبأخذ الفترة المناسبة لكي يقع الأمر طواعية و كما أمرنا النبي ص في أمر العبادات فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ص: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ ، وَأَضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ» (صحيح رواه أبو داود)

(مُرُوا) : أمر من الأمر . (أَوْلَادَكُمْ) : يَشْمَلُ الذُّكُورَ وَالْإِنَاثَ . (بِالصَّلَاةِ) : وَبِمَا يَتَّعَلَقُ بِهَا مِنَ الشَّرُوطِ (وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ) : لِيَعْتَادُوا وَيَسْتَأْنِسُوا بِهَا ، (وَأَضْرِبُوهُمْ) : أَيِ الْأَوْلَادِ (عَلَيْهَا) : أَيِ عَلَي تَرَكَ الصَّلَاةِ (وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ) : لِأَنَّهُمْ بَلَغُوا أَوْ قَارَبُوا الْبُلُوغَ (وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ) : أَيِ فَرَّقُوا بَيْنِ أَوْلَادِكُمْ فِي مَضَاجِعِهِمُ الَّتِي يَنَامُونَ فِيهَا إِذَا بَلَغُوا عَشْرًا حَذْرًا مِنْ عَوَائِلِ الشَّهْوَةِ وَإِنْ كُنْ أَحْوَاتِهِ.

قَالَ الطَّبِيُّ: « جَمَعَ بَيْنَ الْأَمْرِ بِالصَّلَاةِ وَالْفَرَقَ بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ فِي الطُّفُولِيَّةِ تَأْدِيبًا لَهُمْ وَمُحَافَظَةً لِأَمْرِ اللَّهِ كُلِّهِ وَتَعْلِيمًا لَهُمْ ».

فَأَمْرٌ صَ أَنْ يُؤْمَرَ الطِّفْلُ بِالصَّلَاةِ مِنْ غَيْرِ عَقُوبَةٍ ثَلَاثَ سِنَوَاتٍ مُتَوَاصِلَةٍ يُسْأَلُ فِي كُلِّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ: قُمْ فَصَلِّ ، قُمْ فَصَلِّ ، وَ إِذَا دَخَلَ الْبَيْتَ يُسْأَلُ يَقُولُ: «أَصْلِي الْغُلَامُ» كَمَا كَانَ النَّبِيُّ ص يَفْعَلُ؛ فَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ تَقَالُ: بَيْتَ عِنْدَ خَالَتِي مَيْمُونَةَ فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ص بَعْدَمَا أَمْسَى فَقَالَ: «أَصْلِي الْغُلَامُ؟» ، قَالُوا: نَعَمْ. (صحيح رواه أبو داود).

يُسْأَلُ وَيُؤْمَرُ ثَلَاثَ سِنِينَ وَبَعْدَ ذَلِكَ لَوْ أَصْرَ عَلَى التَّرْكِ يُضْرَبُ ، لَكِنْ قَبْلَ ذَلِكَ الْأَخْذِ طَوَاعِيَّةٌ لَكَ يَتَعَوَّدُ أَنْ يَفْعَلَ الطَّاعَةَ مِنْ نَفْسِهِ ، كَرَّرَ الْأَمْرَ وَ لَا تِيَأَسُ.

و الْمَجَالِسَةُ بَيْنَ الْأَبِ وَأَبْنَائِهِ أَمْرٌ مَطْلُوبٌ لِأَنَّهُ تَجِدُ الْخَوَارِ هَادِيٍّ لَمْ يَكُنْ هَذَا إِلَّا عَلَيَّ الْمَجَالِسَةُ تَجِدُ النَّاسَ تَفَرُّ مِنْ أَبْنَائِهَا وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ وَالِدَلِيلُ عَلَيَّ ذَلِكَ كَثْرَةُ الْمَقَاهِي.

(قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَدْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى) لَمْ يَقُلْ: «انظر ماذا أفعل» ؛ لِأَنَّهُ سَيَفْعَلُ ، وَلَكِنْ انظُرْ مَاذَا تَرَى ؟ يَعْنِي انظُرْ مَا تَرَاهُ أَنْتَ ؟ وَ كَانَ الْجَوَابُ عَلَيَّ مَا يَرْضَى الْأَبُ الرَّحِيمُ الشَّفِيقُ. (قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ).

إِنَّهُ يَحِبُّ لِابْنِهِ أَنْ يَتَذَوَّقَ لَذَّةَ التَطَوُّعِ الَّتِي ذَاقَهَا ؛ وَأَنْ يَبْنَالَ الْخَيْرِ الَّذِي يَرَاهُ هُوَ أَبَقَى مِنَ الْحَيَاةِ وَأَقْنَى. فَمَاذَا يَكُونُ مِنْ أَمْرِ الْغُلَامِ ، الَّذِي يَعْرِضُ عَلَيْهِ الذَّبْحَ ، تَصَدِيقًا لِرُؤْيَا رَأَاهَا أَبُوهُ؟ إِنَّهُ يَرْتَقِي إِلَى الْإِفْقِ الَّذِي ارْتَقَى إِلَيْهِ مِنْ قَبْلِ أَبِيهِ: (قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ) إِنَّهُ يَنْتَلِقِي الْأَمْرَ لَا فِي طَاعَةٍ وَاسْتِسْلَامٍ فَحَسَبَ. وَلَكِنْ فِي رِضَى كَذَلِكَ وَفِي يَقِينٍ.

(يَا أَبَتِ) .. فِي مَوَدَّةٍ وَقُرْبَى. فَشَبَّحَ الذَّبْحَ لَا يَزْعُجُهُ وَلَا يَفْرَعُهُ وَلَا يَفْقَدُهُ رَشْدَهُ. بَلَى لَا يَفْقَدُهُ أَبَاهُ وَمَوَدَّتَهُ (يَا أَبَتِ). فِيهَا تَعْظِيمٌ وَ تَوْقِيرٌ وَ تَكْرِيمٌ لِأَبِيهِ. (افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ) .. فَهُوَ يَحْسُ مَا أَحْسَهُ مِنْ قَبْلِ قَلْبِ أَبِيهِ. يَحْسُ أَنْ الرُّؤْيَا إِشَارَةٌ. وَأَنْ الْإِشَارَةَ أَمْرٌ. وَأَنَّهَا تَكْفِي لَكَ يَلْبِي وَيَنْفِذُ بَغَيْرِ لُجْلُجَةٍ وَلَا تَمَحُلُ وَلَا ارْتِيَابٍ.

■ أدب مع الله لأ:

ثُمَّ هُوَ الْأَدَبُ مَعَ اللَّهِ ، وَمَعْرِفَةُ حُدُودِ قُدْرَتِهِ وَطَاقَتِهِ فِي الْإِحْتِمَالِ ؛ وَالِاسْتِعَانَةَ بِرَبِّهِ عَلَى ضَعْفِهِ وَنِسْبَةِ الْفَضْلِ إِلَيْهِ فِي إِعَانَتِهِ عَلَى التَّضْحِيَّةِ ، وَمُسَاعَدَتِهِ عَلَيَّ الطَّاعَةِ .

(سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ) وَلَمْ يَأْخُذْهَا بِطَوْلَةٍ. وَلَمْ يَأْخُذْهَا شَجَاعَةً. وَلَمْ يَأْخُذْهَا أَنْدِفَاعًا إِلَى الْخَطَرِ دُونَ مِبَالَاةٍ. وَلَمْ يَظْهَرْ لِشَخْصِهِ ظَلًّا وَلَا حِجْمًا وَلَا وَزْنًا.. إِنَّمَا أَرْجَعُ الْفَضْلَ كُلَّهُ لِلَّهِ لِأَنَّ هُوَ أَعَانَهُ عَلَيَّ مَا يَطْلُبُ إِلَيْهِ ، وَأَصْبَرَهُ عَلَيَّ مَا يَرَادُ بِهِ : (سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ) ..

يَا لِلْأَدَبِ مَعَ اللَّهِ! وَيَا لِرُوعَةِ الْإِيمَانِ. وَيَا لِلنَّبْلِ الطَّاعَةِ. وَيَا لِلْعِظْمَةِ التَّسْلِيمِ! (قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ) مَعَ أَنْ صَبْرَهُ فَعَلَهُ هُوَ وَ لَكِنْ عَلَقَهُ عَلَيَّ مَشِيبَةُ اللَّهِ ، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَيَّ أَنْ هَذَا الْآيِنُ الْوَاعِي يَفْهَمُ قِضِيَّةَ الْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ وَأَنْ فَعَلَهُ لَنْ يَكُونَ إِلَّا بِمَشِيَّةِ اللَّهِ وَ تَوْفِيقِهِ.

(سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ) ولم يَزُكَّ نفسه وإنما علقه على مشيئة الله فهو يرجو أن يكون صابراً وهو أن يصبر على أمر الله و البلاء و الألم المتوقع.

ويخطو المشهد خطوة أخرى وراء الحوار والكلام.. يخطو إلى التنفيذ :
(فَلَمَّا أَسْلَمَا) أي: إبراهيم وابنه إسماعيل ، جازمًا بقتل ابنه وثمره فؤاده ، امتثالاً لأمر ربه ، وخوفاً من عقابه ، والابن قد وطن نفسه على الصبر ، وهانت عليه في طاعة ربه ، ورضا والده ، (وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ) أي: تل إبراهيم إسماعيل على جبينه ، ليضجعه فيذبحه ، وقد انكب لوجهه ، لئلا ينظر وقت الذبح إلى وجهه.

ومرة أخرى يرتفع نبيل الطاعة. وعظمة الإيمان. وطمأنينة الرضا وراء كل ما تعارف عليه بنو الإنسان.. إن الرجل يمضي فيكب ابنه على جبينه استعداداً. وإن الغلام يستسلم فلا يتحرك امتناعاً. وقد وصل الأمر إلى أن يكون عياناً.

لقد أسلما.. فهذا هو الإسلام. هذا هو الإسلام في حقيقته. ثقة وطاعة وطمأنينة ورضاً وتسليم.. وتنفيذ.. وكلاهما لا يجد في نفسه إلا هذه المشاعر التي لا يصنعها غير الإيمان العظيم.

إنها ليست الشجاعة والجرأة. وليس الاندفاع والحماسة. لقد يندفع المجاهد في الميدان ، يقتل ويقتل. ولقد يندفع الفدائي وهو يعلم أنه قد لا يعود. ولكن هذا كله شيء والذي يصنعه إبراهيم وإسماعيل هنا شيء آخر... ليس هنا دم فائر ، ولا حماسة دافعة ولا اندفاع في عجلة تخفي وراءها الخوف من الضعف والنكوص! إنما هو الاستسلام الواعي المتعقل القاصد المرید ، العارف بما يفعل ، المطمئن لما يكون.

لا بل هنا الرضا الهادئ المستبشر المتذوق للطاعة وطعمها الجميل! وهنا كان إبراهيم وإسماعيل قد أديا. كانا قد أسلما. كانا قد حققا الأمر والتكليف. ولم يكن باقياً إلا أن يذبح إسماعيل ، ويسيل دمه ، وتزهق روحه.. وهذا أمر لا يعني شيئاً في ميزان الله ، بعدما وضع إبراهيم وإسماعيل في هذا الميزان من روحهما وعزمهما ومشاعرهما كل ما أراده منهما ربهما.

كان الابتلاء قد تم. والامتحان قد وقع. ونتائجه قد ظهرت. وغاياته قد تحققت. ولم يعد إلا الألم البدني. وإلا الدم المسفوح. والجسد الذبيح. والله لا يريد أن يعذب عباده بالابتلاء. ولا يريد دماءهم وأجسادهم في شيء. ومتى خلصوا له واستعدوا للأداء بكلياتهم فقد أدوا ، وقد حققوا التكليف ، وقد جازوا الامتحان بنجاح.

■ فرجٌ من بعد شدة:

وعرف الله من إبراهيم وإسماعيل صدقهما. فاعتبرهما قد أديا وحققا وصدقاً:

(وَنَادَيْنَاهُ) في تلك الحال المزعجة ، والأمر المدهش: (أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ) أي: قد فعلت ما أمرت به ، فإنك وطنت نفسك على ذلك ، وفعلت كل سبب ، ولم يبق إلا إمرار السكين على حلقه.

قد صدقت الرؤيا وحققته فعلاً. فإله لا يريد إلا الإسلام والاستسلام بحيث لا يبقى في النفس ما تُكِنُّه عن الله أو تعزه عن أمره أو تحتفظ به دونه ، ولو كان هو الابن فلذة الكبد. ولو كانت هي النفس والحياة وأنت يا إبراهيم قد فعلت. جُدتَ بكل شيء. وبأعز شيء. وجُدتَ به في رضى وفي هدوء وفي طمأنينة وفي يقين. فلم يبق إلا اللحم والدم. وهذا ينوب عنه ذبح. أي ذبح من دم ولحم! ويفدي الله هذه النفس التي أسلمت وأدت. يفديها بذبح عظيم.

كل مواقف إبراهيم ؛ يأتي الفرج في آخر لحظة ، إسماعيل وهو يتلوى من العطش الفرج جاء أمه بعد سبع أشواط بين الصفا والمروة وبعد ما نفذ التمر والماء ، ثم يأتي الفرج في اللحظة الأخيرة ، الفرج دائماً يأتي بعد شدة العسر ولذلك لا تياسوا عباد الله الأمة سوف يأتيها الفرج من عند الله لا (إن هذا) الذي امتحنا به إبراهيم عليه السلام (لهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ)

أي: الواضح ، الذي تبين به صفاء إبراهيم ، وكمال محبته لربه وخلته ، فإن إسماعيل عليه السلام لما وهبه الله لإبراهيم ، أحبه حباً شديداً ، وهو خليل الرحمن ، والخلة أعلى أنواع المحبة ، وهو منصب لا يقبل المشاركة ويقضي أن تكون جميع أجزاء القلب متعلقة بالمحبوب ، فلما تعلقت شعبة من شعب قلبه بابنه إسماعيل ، أراد تعالى أن يصفى وده ويختبر خلته ، فأمره أن يذبح من زاحم حبه حب ربه ، فلما قدم حب الله ، وأثره على هواه ، وعزم على ذبحه ، وزال ما في القلب من المزاجم ، بقي الذبح لا فائدة فيه ، فلماذا قال: (إن هذا لهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ وَفِدْيَانُهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ) أي: صار بدله ذبح من الغنم عظيم ، ذبحه إبراهيم ، فكان عظيماً من جهة أنه كان فداء لإسماعيل ، ومن جهة أنه من جملة العبادات الجليلة ، ومن جهة أنه كان قرباناً وسنة إلى يوم القيامة.

ومضت بذلك سنة النحر في الأضحى ، ذكرى لهذا الحادث العظيم الذي يرتفع منارة لحقيقة الإيمان. وجمال الطاعة. وعظمة التسليم. والذي ترجع إليه الأمة المسلمة لتعرف فيه حقيقة أبيها إبراهيم ، الذي تتبع ملته ، والذي تراث نسبه وعقيدته.

ولتدرك طبيعة العقيدة التي تقوم بها أو تقوم عليها ، ولتعرف أنها الاستسلام لقدرة الله في طاعة راضية واثقة مليية لا تسأل ربها لماذا؟ ولا تتلجج في تحقيق إرادته عند أول إشارة منه وأول توجيه. ولا تستنقي لنفسها في نفسها شيئاً ، ولا تختار فيما تقدمه لربها هيئة ولا طريقة لتقديمه إلا كما يطلب هو إليها أن تقدم!

ثم لتعرف أن ربها لا يريد أن يعذبها بالابتلاء؛ ولا أن يؤذيها بالبلاء ، إنما يريد أن تأتيه طائعة مليية وافية مؤدية. مستسلمة لا تقدم بين يديه ، ولا تتأبى عليه ، فإذا عرف منها الصدق في هذا أعفاها من التضحيات والألام. واحتسبها لها وفاءً وأداءً. وقبل منها وفداها. وأكرمها كما أكرم أباه. (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ) أي: وأبقينا عليه ثناءً صادقاً في الآخرين ، كما كان في الأولين ، فكل وقت بعد إبراهيم ؛ ، فإنه فيه محبوب معظم مثني عليه. فهو مذكور على توالي الأجيال والقرون. وهو أمة.

وهو أبو الأنبياء. وهو أبو هذه الأمة المسلمة. وهي وارثة ملته. وقد كتب الله لها وعليها قيادة البشرية على ملة إبراهيم. فجعلها الله له عقباً ونسباً إلى يوم الدين (سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ) سلام عليه من ربه أي: تحيته عليه كقوله: (قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ).

فكل الأمم المتأخرة تسلم على إبراهيم و تريد الانتساب إليه (إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ) (آل عمران: 68) ونحن أولي الناس بإبراهيم إذ نحن علي ملته.

(إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) في عبادة الله ، ومعاملة خلقه ، أن نفرج عنهم الشدائد ، ونجعل لهم العاقبة ، والثناء الحسن. (إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) في عبادتنا ، المقدِّمين رضانا على شهوات أنفسهم. نجزيهم باختيارهم لمثل هذا البلاء. ونجزيهم بتوجيه قلوبهم ورفعها إلى مستوى الوفاء.

ونجزيهم بإقذارهم وإصبارهم على الأداء. ونجزيهم كذلك باستحقاق الجزاء! كذلك نجزيهم بالبلاء.. والوفاء... والذكر... والسلام... والتكريم. ■ الجزاء من جنس العمل:

(إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) إذًا ليست خاصة بإبراهيم فقط بل هي لكل محسن أخلص لله وراقب الله - سوف يجازي بنفس الطريقة. (إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) كل من ضحي لله بشيء فإله لأ سوف يخلفه خيرًا منه أو يبقيه له وزيادة ، كما بقيت نفس إسماعيل وزيد له أخًا نبيًا بدلًا من نبي واحد أصبحا نبيًا. يَنْ إسماعيل و إسحاق ، وفداه الله بدمه عظيم.

وقد قال ص: «إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا بَدَّلَكَ اللَّهُ بِهِ مَا هُوَ خَيْرٌ لَّكَ مِنْهُ» (رواه الإمام أحمد ، وقال الألباني: سنده صحيح على شرط مسلم). (إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئًا) أي امتثالاً لأمره وابتغاءً لرضاه بغير مشاركة غرض من الأغراض معه.

(إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ) بما أمر الله بالإيمان به ، الذين بلغ بهم الإيمان إلى درجة اليقين ، كما قال تعالى: (وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَيْكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ) وهذا جزاء الإيمان. وتلك حقيقته فيما كشف عنه البلاء المبين.

لما قبل إبراهيم أن يذبح ولده ونجح في هذا الامتحان كافأه الله لأ أن أعطاه ولدًا آخر فوهب له إسحاق في شيخوخته وباركه وبارك إسحاق. وجعل إسحاق نبيًا من الصالحين: (وَبَشِّرْنَا بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ) هذه البشارة الثانية بإسحاق ، الذي من ورثه يعقوب ، فبشر بوجوده وبقائه ، ووجود ذريته ، وكونه نبيًا من الصالحين ، فهي بشارات متعددة.

■ صحبة الصالحين:

وصحبة الصالحين هي سعادة هذه الدنيا بل ومن سعادة الآخرة ؛ فالنبي ص يقول في آخر كلماته في هذه الدنيا : « **اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَاجْعَلْنِي مَعَ الرَّفِيقِ الْأَعْلَى** » ، فعن عائشة قالت : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ أَنْسَانَ مَسَحَهُ بِيَمِينِهِ ، ثُمَّ قَالَ : « **أَذْهَبِ الْبَاسَ ، رَبِّ النَّاسِ ، وَاشْفِ أَنْتَ الشَّافِي ، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا** » .

فَلَمَّا مَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ ص وَثَقَلَ أَحَدْتُ بِبِيَدِهِ لِأَصْنَعُ بِهِ نَحْوَ مَا كَانَ يَصْنَعُ فَأَنْزَعَ يَدَهُ مِنْ يَدِي ، ثُمَّ قَالَ ، « **اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَاجْعَلْنِي مَعَ الرَّفِيقِ الْأَعْلَى** » ، قَالَتْ : فَذَهَبَتْ أَنْظُرُ فَإِذَا هُوَ قَدْ قَضَى . (رواه مسلم).

وإبراهيم ؛ يقول (**رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِيقِي بِالصَّالِحِينَ**) (الشعراء: 83) دعا ؛ ربه فقال: (**رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا**) أي: علمًا كثيرًا ، أعرِفُ به الأحكام ، والحلال والحرام ، وأحكُمُ به بين الأنام ، (**وَالْحَقِيقِي بِالصَّالِحِينَ**) من إخوانه الأنبياء والمرسلين.

يقولها إبراهيم النبي الكريم الأواه الحليم. فيا للتواضع! فيا للتحرج! ويا للإشفاق من التقصير! ويا للخوف من تقلب القلوب! ويا للحرص على مجرد اللحاق بالصالحين! بتوفيق من ربه إلى العمل الصالح الذي يلحقه بالصالحين!

إن صحبة الصالحين سعادة وإن صحبة الكفار والفاسقين عقوبة والنظر في وجوههم شقاء وعذاب كما قالت أم جريح لجريح : « **اللَّهُمَّ لَا تَمْتَهُ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى وُجُوهِ الْمُؤْمِسَاتِ** » (رواه البخاري ومسلم). مع أنه ينظر لتبرئة نفسه جريح اضطرب إلي النظر في وجه المومس لكي يبرئ نفسه من التهمة الباطلة التي اتهمته بها وهي الزنى ومع ذلك كان ذلك من دعوة أمه عليه.

فتخيل الذي يَصِرُ علي صحبة الكذابين في وسائل الإعلام الفاسدة وعلي صفحات الجرائد والمجلات ويَصِرُ علي صحبتهم علي شاشات السينما شاشات التلفزيون والفيديو ويَصِرُ علي صحبتهم علي شاشات السينما ، ويَصِرُ علي صحبتهم في القصص السخيف. مجرد النظر لهؤلاء فقط عذاب للإنسان الذي يحب صحبة الصالحين ، أما الصالحون فهم القوم لا يشقى بهم جلسهم.

(**وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ**) أي: أنزلنا عليهما البركة ، التي هي النمو والزيادة في علمهما وعملهما وذريتهما ، فنشر الله من ذريتهما ثلاث أمم عظيمة: أمة العرب من ذرية إسماعيل ، وأمة بني إسرائيل وأمة الروم من ذرية إسحاق.

(**وَمَنْ ذُرِّيَّتَهُمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ**) أي: منهم الصالح والطالح ، والعاقل والظالم الذي تبين ظلمه ، بكفره وشركه ، ولعل هذا من باب دفع الإيهام ، فإنه لما قال: (**وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ**) اقتضى ذلك البركة في ذريتهما ، وأن من تمام البركة أن تكون الذرية كلهم محسنين ، فأخبر الله تعالى أن منهم محسنًا وظالمًا .

وتتلاحق من بعدهما ذريتهما. ولكن وراثة هذه الذرية لهما ليست وراثة الدم والنسب إنما هي وراثة الملة والمنهج : فمن اتبع فهو محسن. ومن انحرف فهو ظالم لا ينفعه نسب قريب أو بعيد.

50- خطبة عيد الأضحى

انه العيدُ جاءَ ضيفاً عزيزاً
كَبُرُوا اللهَ عَلَ تَكْبِيرَةَ العِيدِ
زَلزَلتْ فِي القَدِيمِ إِيوَانَ كَسْرَى
فَاكْتُبُوا بِالْمِدَادِ فَيْضَ التَّهَانِي
تَضَخَ الضَّمِيرُ فِي الشَّرِيانِ
هَلْ تَهَزَّ الغَدَاةُ كَسْرَى الزَّمَانِ
مَعَايِشِرَ المُسْلِمِينَ ، أَوْصِيكُمْ وَنَفْسِي بِمَا وَصَّى بِهِ اللهُ لَأَ فِي كِتَابِهِ (وَلَقَدْ
وَصَّيْنَا الدِّينَ أَوْثُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللهَ) (النساء: 131).
وَأَوْصِيكُمْ بِمَا وَصَّى بِهِ رَسُولُ اللهِ صَ فَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: شَهِدْتُ
مَعَ رَسُولِ اللهِ صَ الصَّلَاةَ يَوْمَ العِيدِ ، فَبَدَأَ بِالصَّلَاةِ قَبْلَ الخُطْبَةِ بِغَيْرِ أَدَانٍ وَلَا
إِقَامَةٍ ، ثُمَّ قَامَ مُتَوَكِّئًا عَلَيَّ بِإِلَالٍ ، فَأَمَرَ بِتَقْوَى اللهِ وَحَثَّ عَلَيَّ طَاعَتِهِ وَوَعظَ
النَّاسَ وَذَكَرَهُمْ ثُمَّ مَضَى حَتَّى أَتَى النِّسَاءَ فَوَعظَهُنَّ وَذَكَرَهُنَّ « (رواه مسلم).
فَأَوْصِيكُمْ - عِبَادَ اللهِ - بِتَقْوَى اللهِ ، فَإِنَّهَا سَعَادَةُ الأَبْرَارِ وَقَوَامُ حَيَاةِ الأَطْهَارِ ،
تَمَسَّكُوا بِوَثَائِقِهَا ، وَاعْتَصِمُوا بِحَقَائِقِهَا.

■ حَاجَةُ الأُمَّةِ فِي هَذَا العَصْرِ إِلَى التَّمَسُّكِ بِمَبَادِي الإِسْلَامِ وَعَظْمِ
مَقاصدِ خُطْبَةِ الوُدَاعِ:

أَيُّهَا المُسْلِمُونَ ، هَاهُمْ حَاجِجُ بَيْتِ اللهِ يَخْطُونَ خَطَوَاتِهِمْ عَلَي تِلْكَ الأَرْضِ
الطَّيْبَةِ الأَمْنَةِ بِأَمَانِ اللهِ ، هَذِهِ الأَرْضُ الَّتِي تَحْكِي تَارِيخَ الإِسْلَامِ المَجِيدِ ، تَارِيخَ
نَشْأَةِ هَذَا الدِّينِ فِي هَذِهِ البَطَاحِ. قِصَّةُ الأَنْتِصَارِ وَالكِفَاحِ ، سِيرَةُ النَّمَاذِجِ المَثَالِيَةِ
العَالِيَةِ ، وَمِصَارِعِ الشُّهَدَاءِ فِي سَبِيلِ الحَقِّ ، بِلَدِّ وَتَارِيخِ ، قَفَزَتْ فِيهِ البَشَرِيَّةُ إِلَى
أَبْعَدِ الإِفَاقِ ، دِينًا وَدُنْيَا ، عِلْمًا وَعَمَلًا فَهَّاهَا وَخَلَقَهَا.

أَرْضٌ طَيِّبَةٌ ، تَزْدَحْمُ فِيهَا هَذِهِ المَنَاطِرُ وَالمَشَاهِدُ ، حَيَّةٌ نَابِضَةٌ ، تَخْتَلِطُ
فِيهَا مِشَاعِرُ العِبُودِيَّةِ ، وَأَصْوَاتُ التَّلْبِيَةِ ، وَالإِقْبَالِ عَلَى الرَّبِّ الرَّحِيمِ.

فِي هَذِهِ الأَجْوَاءِ يَغْمُرُ قَلْبَ المَتَأَمِّلِ ، شَعُورٌ كَرِيمٌ فَيَاضٌ ، بَانْتِمَاءُ أَفْرَادِ
هَذِهِ الأُمَّةِ إِلَى هَدَفٍ وَاحِدٍ وَغَايَةٍ وَاحِدَةٍ ، إِنَّهَا أُمَّةُ مُحَمَّدٍ صَ ، دِينُهَا دِينُ الإِسْلَامِ
دِينِ اللهِ رَبِّ العَالَمِينَ.

مَا أَحْوجُ الأُمَّةَ فِي أَيَّامِ مَحْنَتِهَا وَشِدَائِدِهَا ، وَأَيَّامِ ضَعْفِهَا وَتِيهِنِهَا ، إِلَى
دُرُوسٍ مِنْ تَارِيخِهَا تَتَأَمَّلُهَا ، وَإِلَى وَقَفَاتٍ عِنْدَ مَنَاسِبَاتِهَا ، تَسْتَلْهُمُ مِنْهَا العِبْرَ ،
وَيَتَجَدَّدُ فِيهَا العِزْمُ عَلَى الجِهَادِ الحَقِّ ، وَيُصَحُّ فِيهَا التَّوَجُّهُ عَلَى مَحَارِبَةِ كُلِّ بَغْيٍ
وَفَسَادٍ.

مَا أَحْوجُهَا إِلَى دُرُوسٍ تَسْتَعِيدُ فِيهَا كِرَامَتِهَا ، وَتَرُدُّ عَلَى مَنْ يَرِيدُ القَضَاءَ
عَلَى كِيَانِهَا.

وَإِنْ فِي حِجَّةِ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ صَ الوُدَاعِيَّةِ التَّوَدِيْعِيَّةِ لِعِبْرًا وَمَوَاعِظَ ، وَإِنْ فِي
خُطْبَتِهَا لِدُرُوسًا جَوَامِعَ.

فَلَقَدْ خُطِبَ صَ خُطْبًا فِي مَوْقِفِ عَرَفَةَ ، وَيَوْمِ الحِجِّ الأَكْبَرِ وَأَيَّامِ التَّشْرِيقِ -
أَرَسَى فِيهَا قَوَاعِدَ الإِسْلَامِ ، وَهَدَمَ مَبَادِيِ الجَاهِلِيَّةِ ، وَعَظَّمَ حَرَمَاتِ المُسْلِمِينَ.

خُطِبَ صَ النَّاسَ وَوَدَعَهُمْ ، بَعْدَ أَنْ اسْتَقَرَّ التَّشْرِيعُ ، وَكَمَلَ الدِّينُ ، وَتَمَّتْ
النِّعْمَةُ ، وَرَضِيَ اللهُ هَذَا الإِسْلَامَ دِينًا لِلنَّاسَانِيَّةِ كُلِّهَا ، لَا يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ دِينًا سِوَاهُ:
(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا)

(المائدة:3). (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (آل عمران:85).

■ خطاب عالمي من سيّد العالمين محمد ص:

ألقى نبيكم محمد ص في هذا المقام العظيم كلماتٍ جامعةً موجزةً ، تحكي المبادئ الكبرى لهذا الدين.

أحبتني عادَ ذهني إلى زمنٍ مُستطِر

مُعظّم في سُويدًا القلبِ كأنني برسولِ الله مرتديًا كالقمر

فَيالِقُ وألوفُ الناسِ بالأثرِ نورٌ وعن جانبيه من صحابته

دَرَجَتْ وخيرٍ مشتملٍ ثوبًا ساروا برُفقةٍ أزكى مُهجةٍ ومؤتزر

الله في ثوبٍ أوابٍ مُلبّيًا رافعًا كفيهِ في وجَلٍ ومفتقر

لعل هذا ختامُ العهدِ يَمْضِي ينادي خُدوا عني مناسِكُكم والعُمر

قِصَواءُةٌ يا له من موقِفٍ نَصِرَ وقامَ في عَرَقاتِ الله ممتطيًا

عِيناهُ إلا لأمواجٍ مِنَ البِشْرِ تَأَمَّلُ الموقِفَ الأسمَى فما نظرتُ

وَفَضْلُهُ مِنْ تَمَامِ الدِينِ وَالظَّفَرِ فَبِحَنِي شَاكِرًا اللهُ مِنْتَهُ

كَالشَهِدِ كَالسُّسْبِيلِ العَذْبِ كَالدَّرَرِ يَشْدُو بِخَطْبَتِهِ العِصْمَاءِ زَاكِيَةً

مِنْ رَائِعٍ مِنْ بَدِيعِ القَوْلِ مُجَلِّيًا روعَةَ الإسلامِ في جُمَلٍ مختَصِر

تفاضلُ الناسِ لا بالجنسِ ذاعَ إلى العَدْلِ والتَقْوَى وأنَّ بها

مُمَرَّغًا سَيِّءَ العاداتِ والصورِ مُبَيَّنًا أنَّ لِلإنسانِ حرمتَه

مُتَمِّعَ القلبِ والأَسْماعِ يا لَيْتَنِي كُنْتُ بَيْنَ القَوْمِ إِذْ حَضَرُوا

عَلَى جَبِينِ نَقِيِّ طَاهِرٍ عَطْرِ وَأَنْبِرِي لِرَسُولِ اللهِ الأَثْمَةَ والبصرِ

سَخَاءً بِالخَيْرِ مِثْلَ أَقْبَلُ الكَفَّ كَفَّ الجودِ كَمْ بَدَأْتُ السُّسْلَ الأهدرِ

وأرتوي من رسولِ اللهِ بالنظرِ

وما انقضَى من أَسْرَ بالمشي وإن طالَ المسيرُ بنا لقاءَ المصطفى وطري

يا لَيْتَهُ كَفَنُ لي في أَمَّا الرِداءُ الَّذِي حَجَّ الحبيبُ بِهِ دُجَى الحُفَرِ

يَمِّمُ إلى كُتُبِ التاريخِ يا غافلاً عن مزاياه وروعيتها والسَّيرِ

يا ربِّ لا تحرِّمنا من شفاعته وحوضه العذب يوم الموقف العسير

معاشر المسلمين ، إنّ الأمة اليوم في حاجة عظيمة للمبادئ التي تعالج واقعها وللأصول التي تحل مشكلاتها وللقيم التي ترسم لها الخطة الناجحة لمحاربة التحديات التي تواجهها والمخاطر التي تحيط بها.

ومن هذا المنطلق فإن ضرورة المسلمين اليوم كبيرة في مثل هذه المناسبة للمراجعة الجادة والتبصُّر الصادق في وثيقة تاريخية عظيمة ، صدرت من رجلٍ عظيم في يومٍ عظيم. إنها خطبة الوداع التي تعرض للأمة أعلى القيم ، وتمدها بمقومات الخير والصِّلاح لبناء الحاضر والمستقبل ، وتعطيها أسس الفلاح ومبادئ النَّجاح.

إخوة الإسلام ، خطبة الوداع جاءت تذكّر الأمة في كلّ حين بأسباب الحياة المثلى ، وتبصُّرها بسبل الوقاية من الشرور والفتن ، وهو تحقيق منهج الإسلام في هذه الحياة عقيدةً وشريعةً ، حُكمًا وتحاكمًا ، عملاً وسلوكًا.

■ مبدأ حفظ الدماء والأموال والأعراض:

أمة الإسلام ، وفي مضامين هذه الوثيقة أصل مهمّ تقوم عليه سعادة الناس ، وتصلح به حياتهم ، أنه مبدأ حفظ النفوس والأموال والأعراض ، يقول ص في هذه الخطبة: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟ قَالُوا: يَوْمٌ حَرَامٌ. قَالَ: فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟ قَالُوا: بَلَدٌ حَرَامٌ. قَالَ: فَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟ قَالُوا: شَهْرٌ حَرَامٌ. قَالَ: فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحَرَمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا ، فَأَعَادَهَا مَرَارًا ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتَ ، اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتَ» (رواه البخاري ومسلم).

إنها المقاصد العامة والمصالح الكلية التي جاءت الشريعة برعايتها والحفاظ عليها وبناء الأحكام على وفقها وجعلها غاية مستقرّة في تشريعاتها ، ممّا حدّا بأحد المستشرقين أن يقول: «لو طبّق المسلمون تعاليم دينهم وحرصوا عليها عملاً فإن دور الشرطة والمحاكم والسجون ستُغلق؛ لأنه لن يبق لها عمل ، وبذلك يوجد المجتمع المسلم الذي رسم الإسلام معالمه».

خطاب عالمي يصدر من سيّد العالمين محمّد ص ، يتضمّن محاربة كلّ تصرف يترتب عليه ترويع الأمنين وإخافة المسلمين. خطاب يتضمّن في مشمول معانيه الحرص التامّ من دين الإسلام على حفظ النفوس أن تهدر والأموال أن تضيع والأعراض أن تنتهك.

إنه خطاب كالسيف ضدّ كلّ تهمة تُوجّه للإسلام بأنه دين إرهاب وإرهاب ، فأين المنصفون؟! وأين المتبصرون؟!!

■ مبدأ العقوبات في الإسلام:
إن حرص التشريع الإسلامي على إصلاح النفوس وتهذيبها وحماية الجماعة وأفرادها لا مثيل له في القضاء على الخطر والمنع من الشر والضرر ، حدودٌ تزجر الناس وتردعهم ، وتصلح أحوالهم وشؤونهم ، حسمٌ لباب الفساد ، وإصلاحٌ لأحوال العباد؛ ليقوم حياةً كريمةً وعيشٌ مطمئنٌ مستقرٌ ، (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (البقرة:179).

وقد عجزت الأمم المعاصرة بتقديمها وتقنية وسائلها أن توقف سيل الجرائم ، وإزهاق النفوس ، وزاد سوءها وانكشفت سوأها ، حين ألغت عقوبة الاقتصاص من المجرمين ، واكتفت بعقوبات هزيلة بزعم استصلاح المجرمين ، وما زاد المجرمين ذلك إلا اعتوا واستكباراً في الأرض ومكر السيئ. ولكنه في شرع محمد ص محسوم بالقصاص العادل: (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (البقرة:179).

إن في القصاص حياة حين يكف من يهّم بالجريمة عن الإجرام ، وفي القصاص حياة حين تنسفي صدور أولياء القتيل من الثأر الذي لم يكن يقف عند حدٍ لا في القديم ولا في الحديث. ثأرٌ مثيرٌ للأحقاد العائلية ، والعصبية القبلية ، يتوارثه الأجيال جيلاً بعد جيل ، لا تكف معه الدماء عن المسيل.

ويأتي حسمٌ عمليٌّ ومباشرةٌ تطبيقية من محمد ص في هذا الموقف العظيم ، وفي الغباء حكم جاهلي في مسألة الثأر ، فاستمع إليه وهو يقول: « أَلَا كَلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمِي مَوْضُوعٌ وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ وَإِنْ أَوَّلَ دَمٍ أُضِعَ مِنْ دِمَائِنَا دَمُ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ كَانَ مُسْتَرَضِعًا فِي بَنِي سَعْدٍ فَفَتَلْتُهُ هَذِيلٌ » (رواه مسلم).

أبها الإخوة ، إن في القصاص والحدود وأحكام الجنايات في الشريعة ، حياةً ورحمةً ، حياةً أعم وأشمل ، حياةً تشمل المجتمع كله ، رحمةً واسعة غير مقصورة على شفقة ورقّة تنبت في النفس نحو مستضعفٍ أو أرملٍ أو طفلٍ ، ولكنها رحمة عامة للقوي والضعيف والقريب والبعيد.

■ تحريم الربا:

معاشر المسلمين ، في موقف الوداع يُعلن المصطفى ص حكم الإسلام الأبدي في قضية خطيرة من قضايا الاقتصاد ، إنها قضية الربا ، فيقول ص: « وَرَبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ وَأَوَّلُ رَبَاٍ أُضِعَ رَبَاً - رَبَا عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ » (رواه مسلم).

سياسة نبوية لصيانة الاقتصاد من الهلاك والدمار ، ولحماية المجتمعات من الشرور والأضرار ، وذلك بتحريم الربا بمختلف صورته ومهما كان نوعه وقدره.

وقال ص: « الرِّبَا ثَلَاثَةٌ وَسَبْعُونَ بَابًا ، أَيْسَرُهَا مِثْلُ أَنْ يَنْحَجَّ الرَّجُلُ أُمَّهُ » (صحيح رواه الحاكم).

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ تَعَنَّ النَّبِيُّ ص قَالَ: «مَا أَحَدٌ أَكْثَرَ مِنَ الرِّبَا إِلَّا كَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهِ إِلَى قَلَّةٍ» (صحيح رواه ابن ماجه).

معاشر المسلمين ، إنّه في الوقت الذي يُصدر الإسلام وصاياه النيرة يتّضح للعالم بعد قرونٍ بالتجارب الواقعية والكتابات المتعددة والإحصاءات

الدقيقة الصادرة من أساطين الاقتصاد العالمي أنّ النظام الربويّ ليس هو العاجز على توفير الاقتصاد النامي المستقرّ فحسب ، بل إنّه عنصرٌ مدمّر لشروط ودعائم الاقتصاد ونموّه واستقراره ، فأين المدركون؟! وأين هم المتعظون!؟

■ صيانة المرأة والحرص على كرامتها:

معاشر الإخوة ، أما قضية المرأة ، وما أدراك ما قضية المرأة ، وكأنها قضية كل عصر وكل جيل وكل أمة ، يأتي الخطاب النبوي في هذا الحشد الهائل ممن عاصر الجاهلية ، ليضع الناس على الحق ، والطريق المستقيم. إن مواريث العرب والجاهلية قبل الإسلام احتقرت المرأة وازْدَرَتْهَا ، بل لعلها رأت أنها شرٌّ لا يد منه. وإذا كانت مواريث الجاهلية قد جعلت المرأة في قفص الاتهام ومظاهر الاستصغار ، فإن مسلك التقدم المعاصر قد جعلها مصيدةً لكل الآثام.

ولكنّ هدي محمد ص أعطى كل ذي حق حقه ، وحفظ لكل نصيبه: (لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ) (النساء: 32) في مسلك وسط ، ومنهج عدل ، فالنساء شقائق الرجال : (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (البقرة: 228) ، (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ) (آل عمران: 195) ،

(مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (النحل: 97).

أمّة الإسلام ، المرأة في الإسلام شقيقة الرجال في إقامة الحياة على خير حال ، علاقتها به علاقة مودة ورحمة وبتكريم وطمأنينة ، يقول ص في خطبة الوداع: «فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِإَمَانِ اللَّهِ وَاسْتَخْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ» (رواه مسلم).

المرأة في الإسلام لها شأنٌ عظيم ، حقوقها محفوظةٌ مُصانةٌ ، تعيش كريمةً مُصانةً عُضْوًا مشرفًا وعنصرًا فعالًا في إقامة حياة سعيدة ومجتمع طاهر نزيه ، تمارس مسؤولياتها وفق الحشمة والأدب ، مستوعبةً المفيد من الجديد ، محافظةً على نفسها ، لها ميادينها ومجالاتها في الخير والعطاء والبذل والفداء ، وحينئذ تجني لأمتها ولنفسها الثمرات الخيرة ، ولمجتمعها القطف الزاهرة ، مجتنبّة الويلات التي يعاني منها المستسلمات لصرخات التحرير الكاذبة الماكرة والدعوات الخادعة السافرة.

أيها المؤمنون ، أعداء الإسلام حريصون على أن تنهَج المسلمة السبيل العوجاء والأفكار الهوجاء ، قال أحدهم: «لن تستقيم حال الشرق ما لم يُرْفَع الحجاب عن وجه المرأة ويغطى به القرآن» ، وقال آخر: «إنّ التأثير الفكري الذي يظهر في كلّ المجالات ويقلب المجتمع الإسلاميّ رأسًا على عقب لا يبدو في جلاءٍ أفضل بما يبدو في تحرير المرأة».

وهذا ليس بمستغرب على مَنْ مبادؤه مهلكة ومقاييسه فاسدة ، ولكن المستغرب أن يتأثر بذلك ذوّ أفهام سقيمة أو نوايا خبيثة ، فتجدهم يتجهون لمثل تلك الدعوات ، وينادون في ديار الإسلام بمثل تلك الصيحات.

ألا فليت هؤلاء وغيرهم يدركون ما أدركه عقلاء القوم ويستبصرون ما استبصروه من العواقب الوخيمة والآثار المدمرة لمثل تلك التوجهات ، فترى أولئك منذرين نادمين على أرجاء حاضرتهم الهابطة التي أوردتهم الموارد .
تقول إحدى كاتباتهم: « إن الاختلاط الذي يألّفه الرجال وقد طمعت فيه المرأة بما يخالف فطرتها ، وهنا البلاء العظيم على المرأة ... إلى أن قالت: أما أن لنا أن نبحث عمّا يخفف - إذا لم نقل: عمّا يزيل - هذه المصائب؟! » ، وتقول أخرى: « ألا ليت بلادنا كبلاد المسلمين ، فيها الحشمة والعفاف والطهارة ، تنعم المرأة بأرغد عيش ، تعمل كما يعمل أولاد البيت ، ولا تمسّ الأعراض بسوء » .
ألا وقد استبان الأمر وانكشف الحال ، فواجب من انبهر بهذه المبادئ الزائفة والشعارات المروّقة واجبه النظر المنصف والتفكير الدقيق ، ليعلم ما جرّته تلك المفاهيم الزائفة من عواقب وخيمة على الفرد والمجتمع في كثير من العالم اليوم .

وإنه لحريّ بالمسلمين التمسك بخصائصهم الدينية والثقافية والاجتماعية أمم طغيان الثقافات الأخرى ومفاهيمها في قضية المرأة وغيرها ، وذلك باختيار الهدى الإلهي ومبادئ التشريع الرباني وإظهار الاعتزاز بتلك الخصوصية وتطبيقها والالتزام بها ، فذلك كافٍ لها بموقع مشرف في كل المجالات وشتى الميادين .

يا نساء المسلمين ، اتقن الله تعالى في واجباتكن التي طوقت أعناقكن ، أحسن إلى أولادكن بالتربية الإسلامية النافعة ، واجتهدي في إعداد الأولاد إعداداً سليماً ناجحاً ، فإن المرأة أشد تأثيراً على أولادها من الأب ، وليكن هو معيناً لها على التربية ، وأحسن إلى الأزواج بالعشرة الطيبة ، وبحفظ الزوج في عرضه وماله وبيته ، ورعاية حقوق أقاربه وضيّفه وجيرانه .

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ تَقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: « إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا ، وَصَامَتْ شَهْرَهَا ، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا ، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا ، قِيلَ لَهَا: ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتَ » (حسن رواه الإمام أحمد) .
■ ذم العصبية والعنصرية:

إخوة الإسلام ، جاء الإسلام والناس تموج بهم صراعات الأجناس والألوان والطبقات ، فأشرق نورُه ، وجمع بين تلك المختلفات على مبدأ المساواة بين الناس ، لا تفاضل فيه إلا باعتبار التقوى التي تنطرح معها كل نزعة عنصرية عصبية أو قومية ، يقول المصطفى ص في خطابه: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ ، وَإِنَّ أَبَائَكُمْ وَاحِدٌ ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدٍ ، وَلَا لِأَسْوَدٍ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى » (إسناده صحيح رواه الإمام أحمد) .

وقال النبي ص: « الْحَسَبُ أَمَالٌ ، وَالكَرَمُ التَّقْوَى » (صحيح رواه الترمذي)

(الْحَسَبُ أَمَالٌ) أَي مَالُ الدُّنْيَا الْحَاصِلُ بِهِ الْجَاهُ غَالِبًا .
(وَالكَرَمُ) أَي الْكَرَمُ الْمُعْتَبَرُ فِي الْعَقَبِ الْمُتَرْتِبُ عَلَيْهِ الْإِكْرَامُ بِالذَّرَجَاتِ الْعُلَى (التَّقْوَى) لِقَوْلِهِ تَعَالَى : (إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ) .

قَالَ الطَّبِيُّ : الْحَسَبُ مَا يَعُدُّهُ مِنْ مَاتَرِهِ وَمَاتَرِ آبَائِهِ وَالْكَرَمُ الْجَمْعُ بَيْنَ أَنْوَاعِ الْخَيْرِ وَالشَّرْفُ وَالْفَضَائِلُ وَهَذَا بِحَسَبِ اللَّغَةِ ، فَرَدَّهُمَا صِ إِلَى مَا هُوَ الْمُتَعَارَفُ بَيْنَ النَّاسِ وَعِنْدَ اللَّهِ ، أَي لَيْسَ ذِكْرُ الْحَسَبِ عِنْدَ النَّاسِ لِلْفَقِيرِ حَيْثُ لَا يُوقَّرُ وَلَا يُحْتَفَلُ بِهِ بَلْ كُلُّ الْحَسَبِ عِنْدَهُمْ مِنْ رِزْقِ الثَّرْوَةِ وَوَقَّرَ فِي الْعُيُونِ ، أَي أَنَّهُ يُوقَّرُ لِذَلِكَ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ دَلِيلُ الثَّرْوَةِ وَدُو الْفَضْلِ وَالشَّرْفِ عِنْدَ النَّاسِ وَلَا يُعَدُّ كَرِيمًا عِنْدَ اللَّهِ. وَإِنَّمَا الْكَرِيمُ عِنْدَهُ مَنْ ارْتَدَى بِرِدَاءِ التَّقْوَى.

كَانَتْ مَوَدَّةُ سُلْمَانَ لَهُ نَسَبًا
وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَ نُوْحٍ وَابْنِهِ رَحِمًا
وَعَنْ ابْنِ عَمَرَ بْنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ النَّاسَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عِبِّيَةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَتَعَاطَمَهَا بِأَيَّانِهَا ، فَالنَّاسُ رَجُلَانِ بَرٌّ تَقِيٌّ كَرِيمٌ عَلَى اللَّهِ ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ هَيْنَ عَلَى اللَّهِ ، وَالنَّاسُ بَنُو آدَمَ وَخَلَقَ اللَّهُ آدَمَ مِنْ تَرَابٍ ، قَالَ اللَّهُ: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا) إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَاكُمْ إِنْ اللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (صحيح رواه الترمذي)

(إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ) أَي أزال وَرَفَعَ عَنْكُمْ. (عِبِّيَةَ الْجَاهِلِيَّةِ) أَي فخرها وَتَكْبُرُهَا وَنَحْوَتَهَا. (وَتَعَاطَمَهَا) أَي تَفَاخَرَهَا.
(فَالنَّاسُ رَجُلَانِ) أَي نَوْعَانِ: (رَجُلٌ بَرٌّ تَقِيٌّ) أَي فَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَتَكَبَّرَ عَلَى أَحَدٍ لِأَنَّ مَدَارَ الْإِيمَانِ عَلَى الْخَاتَمَةِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ بِمَنْ أَنْتَقَى (وَفَاجِرٌ) أَي كَافِرٌ أَوْ عَاصٍ (شَقِيٌّ) أَي غَيْرُ سَعِيدٍ (هَيْنَ) أَي ذَلِيلٌ (عَلَى اللَّهِ) أَي عِنْدَهُ وَالذَّلِيلُ لَا يُنَاسِبُهُ التَّكْبَرُ.
(وَالنَّاسُ) أَي كُلُّهُمْ (بَنُو آدَمَ) أَي أَوْلَادُهُ (وَخَلَقَ اللَّهُ آدَمَ مِنْ التَّرَابِ) أَي فَلَا يَلِيْقُ بِمَنْ أَصْلُهُ التَّرَابُ النَّحْوَةَ وَالتَّجَرُّبَ.
(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى) أَي آدَمَ وَحَوَّاءَ (وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا) جَمْعُ شُعْبٍ وَهُوَ أَعْلَى طَبَقَاتِ النَّسَبِ (وَقَبَائِلَ) هِيَ دُونَ الشُّعُوبِ وَبَعْدَهَا الْعَمَائِرُ ثُمَّ الْبُطُونُ ثُمَّ الْأَفْخَادُ ثُمَّ الْفَصَائِلُ آخِرُهَا.
(لِتَعَارَفُوا) أَي لِيَعْرِفَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا لِأَنَّهَا خَلِقُوا بِعُلُوِّ النَّسَبِ وَإِنَّمَا الْفَخْرُ بِالتَّقْوَى.
(إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَاكُمْ) أَي إِنَّمَا تَتَفَاضَلُونَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى بِالتَّقْوَى لَا بِالْأَحْسَابِ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عِبِّيَةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخَّرَهَا بِالْأَبَاءِ ، مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ ، أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تَرَابٍ ، لِيُدْعَنَ رَجُلٌ فخرهم بِأَقْوَامٍ ، إِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ مِنْ فَحْمِ جَهَنَّمَ ، أَوْ لِيَكُونَ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجِعْلَانِ الَّتِي تُدْفَعُ بِأَنْفِهَا النَّتْنُ» (حسن رواه أبو داود).

ورواه الترمذي بلفظ: «لِيُنْتَهَيْنَ أَقْوَامٌ يَفْتَخِرُونَ بِأَيَّانِهِمُ الَّذِينَ مَاتُوا ، إِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ جَهَنَّمَ أَوْ لِيَكُونَ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجَعْلِ الَّذِي يَدْهَدُهُ الْخِرَاءُ بِأَنْفِهِ...» (حسن).

(مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ) مَعْنَاهُ أَنَّ النَّاسَ رَجُلَانِ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ فَهُوَ الْخَيْرُ الْفَاضِلُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ حَسْبِيًّا فِي قَوْمِهِ ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ فَهُوَ الذَّلِيلُ وَإِنْ كَانَ فِي أَهْلِهِ شَرِيْفًا رَفِيْعًا.

بالوجيبين والاعتصام بالهديين ، قال ص في خطبة الوداع : «وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ كِتَابُ اللَّهِ» (رواه مسلم).
وقال ص : «تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا : كِتَابُ اللَّهِ وَسُنَّتِي ، وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ»⁽¹⁾. (صحيح رواه الحاكم).
تمسكُ بهما في سنتي الجوانب ، واعتصامُ بهما في جميع الأحوال ، عقيدةً وعملاً ، شريعةً وتحاكماً.

ألا فليكن التنظيم في حياة المسلمين على وفقهما ، ولينهج في ديار المسلمين الإصلاح في ضوء مذهبهما ، نظام حياة كامل ، ودستور أصلاح شامل ، فالتاريخ الإسلامي في المد والجزر والنصر والهزيمة والقوة والضعف

(1) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ تَقَالٍ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَجَّتِهِ يَوْمَ عَرَفَةَ وَهُوَ عَلَى نِقَابِهِ الْقَصْوَاءَ يَخُطُبُ فَمِمْعَنَةً يَقُولُ : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا : كِتَابُ اللَّهِ وَعَثْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي » (صحيح رواه الترمذي).

قَوْلُهُ : (فِي حَجَّتِهِ) أَي فِي جِجَّةِ الْوَدَاعِ .
(إِنِّي تَرَكْتُ فِيكُمْ مِنْ إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ) أَي إِقْتَدَيْتُمْ بِهِ وَاتَّبَعْتُمُوهُ .
(كِتَابُ اللَّهِ وَعَثْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي) الْمُرَادُ بِالْأَخْذِ يَهْمُ التَّمَسُّكُ بِمَحَبَّتِهِمْ وَمُحَافَظَةُ حُرْمَتِهِمْ وَالْعَمَلُ بِرَوَايَتِهِمْ وَالْإِعْتِمَادُ عَلَى مَقَالَتِهِمْ وَهُوَ لَا يَنَافِي أَحَدَ السَّنَةِ مِنْ غَيْرِهِمْ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) .

والتمسكُ بالكتاب العمل بما فيه وهو الائتمارُ بأوامر الله والانتهاؤُ عن نواهيه ، ومعنى التمسكُ بالعترة محبتهم والاهتداءُ بهديهم وسيرتهم ، إذا لم يكن مخالفاً للدين .
أما الكتاب ؛ فإنه معدن العلوم الدينية والحكم الشرعية ، وأما العترة فلأن العنصر إذا طاب أعان على فهم الدين ؛ فطيب العنصر يؤدي إلى حسن الأخلاق ، ومحاسنها تؤدي إلى صفاء القلب ونزاهته وطهارته.

والمراد بعثرتة هنا العلماء العاملون إذ هم الذين لا يفارقون القرآن ، أما نحو جاهل وعالم مخلط فأجنبي من هذا المقام ، وإنما ينظر للأصل والعنصر عند التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل ، فإذا كان العلم النافع في غير عنصرهم لزمنا إتباعه كائناً ما كان.

وعن زيد بن أرقم قال : قام رسول الله ص يوماً فينا خطيباً بماءٍ يَدْعِي خُماً بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ فَحَمَدَ اللَّهُ وَأَثَبِي عَلَيْهِ وَوَعظَ وَذَكَرَ ثُمَّ قَالَ : «أَمَّا بَعْدُ أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يَوْشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأَجِيبُ ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ تَقْلِينَ أَوْلَهُمَا كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ» فَحُتَّ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَرَغِبَ فِيهِ ثُمَّ قَالَ : «وَأَهْلَ بَيْتِي أَذْكَرُكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي ، أَذْكَرُكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي ، أَذْكَرُكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي» . (رواه مسلم).

وعن حبيب بن أبي ثابت عن زيد بن أرقم ب قال : قال رسول الله ص : «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي : أَحَدُهُمَا أَعْظَمُ مِنَ الْآخَرِ كِتَابُ اللَّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ، وَعَثْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي ، وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ فَانظُرُوا كَيْفَ تَخْلُقُونِي فِيهِمَا» (صحيح رواه الترمذي).

(أَحَدُهُمَا) وَهُوَ كِتَابُ اللَّهِ (أَعْظَمُ مِنَ الْآخَرِ) وَهُوَ الْعِثْرَةُ .
(كِتَابُ اللَّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ) أَي يُوصِلُ الْعَبْدَ إِلَى رَبِّهِ وَيُنَوِّسِلُ بِهِ إِلَى قُرْبِهِ .

(وَعَثْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي) أَيِ وَاللَّيْنِي عِثْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي .
فرسول الله ص يوصي الأمة بحسن المخالفة معهما وإيثار حوهم على أنفسهم كما يوصي الأب المشفق الناس في حق أولاده .

(وَلَنْ يَتَفَرَّقَا) أَي كِتَابُ اللَّهِ وَعَثْرَتِي فِي مَوَاقِفِ الْقِيَامَةِ ، (حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ) أَيِ الْكُوْتَرُ يَعْنِي فَيْشِكُرُكُمْ صَنِيعَكُمْ عِنْدِي .

(فَانظُرُوا كَيْفَ تَخْلُقُونِي) أَيِ كَيْفَ تَكُونُونَ بَعْدِي خُلَفَاءَ أَيِ عَامِلِينَ مُتَمَسِّكِينَ بِهِمَا .
(انظر فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي ، وتحفة الأهودي للمباركوري) .

برهاناً ساطع على أن العزة والسؤدد والرخاء والازدهار يكون للمسلمين يوم يكون أمرهم على الوجيبين وشؤونهم وفق الهديين.

قال تعالى: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ * وَإِنْ أَحْكَمْتُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَإِذْرَهُمْ أَنْ يَقْتُنُوكَ مِنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنْ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ * أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) (المائدة: 48-50).

يقول تعالى: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ) الذي هو القرآن العظيم ، أفضل الكتب وأجلها.

(بِالْحَقِّ) أي: إنزالاً بالحق ، ومشتقاً على الحق في أخباره وأوامره ونواهيهِ (مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ) لأنه شهد لها ووافقها ، وطابقت أخباره أخبارها ، وشرائعه الكبار شرائعها ، وأخبرت به ، فصار وجوده مصداقاً لخبرها

(وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ) أي: مشتقاً على ما اشتملت عليه الكتب السابقة ، وزيادة في المطالب الإلهية والأخلاق النفسية. فهو الكتاب الذي تتبع كل حق جاءت به الكتب فأمر به ، وحث عليه ، وأكثر من الطرق الموصلة إليه. وهو الكتاب الذي فيه الحكم والحكمة ، والأحكام الذي عرضت عليه الكتب السابقة ، فما شهد له بالصدق فهو المقبول ، وما شهد له بالرد فهو مردود ، قد دخله التحريف والتبديل ، وإلا فلو كان من عند الله ، لم يخالفه.

(فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ) من الحكم الشرعي الذي أنزله الله عليك. (وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ) أي: لا تجعل اتباع أهوائهم الفاسدة المعارضة للحق بدلاً عما جاءك من الحق فتستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير.

(أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ) أي: أفيطلبون بتوليهم وإعراضهم عنك حكم الجاهلية ، وهو كل حكم خالف ما أنزل الله على رسوله. فلا ثم إلا حكم الله ورسوله أو حكم الجاهلية. فمن أعرض عن الأول ابتلي بالثاني المبني على الجهل والظلم والغي ، ولهذا أضافه الله للجاهلية ، وأما حكم الله تعالى فمبني على العلم ، والعدل والقسط ، والنور والهدى.

(وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) فالموقن هو الذي يعرف الفرق بين الحكمين ويميز - ببايقانه - ما في حكم الله من الحسن والبهاء ، وأنه يتعين - عقلاً وشرعاً - إتباعه. واليقين ، هو العلم التام الموجب للعمل.

تتناول هذه الآيات قضية الحكم والشريعة والتفاضي - ومن ورائها قضية الألوهية والتوحيد والإيمان - والقضية في جوهرها تتلخص في الإجابة على هذا السؤال: أيكون الحكم والشريعة والتفاضي حسب موثيق الله وعقوده وشرائعه التي كتبها على الرسل ، وعلى من يتولون الأمر بعدهم ليسيروا على هداهم؟ أم

يكون ذلك كله للأهواء المتقلبة ، والمصالح التي لا ترجع إلى أصل ثابت من شرع الله ، والعرف الذي يصطلح عليه جيل أو أجيال؟ وبتعبير آخر : أتكون الألوهية والربوبية والقوامة لله في الأرض وفي حياة الناس؟ أم تكون كلها أو بعضها لأحد من خلقه يشرع للناس ما لم يأذن به الله؟

الله لأ يقول : إنه هو الله لا إله إلا هو. وإن شرائعه التي سنّها للناس بمقتضى ألوهيته لهم وعبوديتهم له ، وعاهدهم عليها وعلى القيام بها ؛ هي التي يجب أن تحكم هذه الأرض ، وهي التي يجب أن يتحاكم ، إليها الناس وهي التي يجب أن يقضى بها الأنبياء ومن بعدهم من الحكام..

إنه لا هوادة في هذا الأمر ، ولا ترخص في شيء منه ، ولا انحراف عن جانب ولو صغير. وإنه لا عبرة بما تواضع عليه جيل ، أو لما اصطالح عليه قبيل ، مما لم يأذن به الله في قليل ولا كثير!

إن المسألة مسألة إيمان أو كفر ؛ أو إسلام أو جاهلية ؛ وشرع أو هوي. وليس لأحد من عباده أن يقول : إنني أرفض شريعة الله ، أو إنني أبصر بمصلحة الخلق من الله.. فإن قالها - بلسانه أو بفعله - فقد خرج من نطاق الإيمان.

إن الاعتبار الأول في هذه القضية هو أنها قضية الإقرار بالوهية الله وربوبيته وقوامته على البشر - بلا شريك - أو رفض هذا الإقرار.. ومن هنا هي قضية كفر أو إيمان ، وجاهلية أو إسلام.

ومعنى الاستسلام لشريعة الله هو - قبل كل شيء - الاعتراف بألوهيته وربوبيته وقوامته وسلطانه. ومعنى عدم الاستسلام لهذه الشريعة ، واتخاذ شريعة غيرها في أية جزئية من جزئيات الحياة ، هو - قبل كل شيء - رفض الاعتراف بالوهية الله وربوبيته وقوامته وسلطانه.. ويستوي أن يكون الاستسلام أو الرفض باللسان أو بالفعل دون القول.

فما يملك إنسان أن يدعي أن شريعة أحد من البشر ، تفضل أو تماثل شريعة الله ، في أية حالة أو في أي طور من أطوار الجماعة الإنسانية.. ثم يدعي - بعد ذلك - أنه مؤمن بالله ، وأنه من المسلمين.. إنه يدعي أنه أعلم من الله بحال الناس ؛ وأحكم من الله في تدبير أمرهم. أو يدعي أن أحوالاً وحاجات جرت في حياة الناس ، وكان الله لأ غير عالم بها وهو يشرع شريعته ؛ أو كان عالماً بها ولكنه لم يشرع لها! ولا تستقيم مع هذا الادعاء دعوى الإيمان والإسلام. مهما قالها باللسان!

إن شريعة الله تمثل منهجاً شاملاً متكاملًا للحياة البشرية؛ يتناول بالتنظيم والتوجيه والتطوير كل جوانب الحياة الإنسانية؛ في جميع حالاتها ، وفي كل صورها وأشكالها.

وهو منهج قائم على العلم المطلق بحقيقة الكائن الإنساني ، والحاجات الإنسانية ، وبحقيقة الكون الذي يعيش فيه الإنسان ؛ وبطبيعة النواميس التي تحكمه وتحكم الكينونة الإنسانية.

وهو منهج قائم على العدل المطلق.. أولاً.. لأن الله يعلم حق العلم بم يتحقق العدل المطلق وكيف يتحقق.. وثانياً.. لأنه - سبحانه - رب الجميع ؛ فهو

الذي يملك أن يعدل بين الجميع ؛ وأن يجيء منهجه وشرعه مبرأ من الهوى والميل والضعف.

كما أنه مبرأ من الجهل والقصور والغلو والتفريط ، الأمر الذي لا يمكن أن يتوافر في أي منهج أو في أي شرع من صنع الإنسان ، ذي الشهوات والميول ، والضعف والهوى - فوق ما به من الجهل والقصور - سواء كان المشرع فرداً ، أو طبقة ، أو أمة ، أو جيلاً من أجيال البشر.. فلكل حالة من هذه الحالات أهواؤها وشهواتها وميولها ورغباتها؛ فوق أن لها جهلها وقصورها وعجزها عن الرؤية الكاملة لجوانب الأمر كله حتى في الحالة الواحدة في الجيل الواحد..

إنه المنهج الوحيد الذي يتحرر فيه الإنسان من العبودية للإنسان.. ففي كل منهج - غير المنهج الإسلامي - يتعبد الناس الناس. ويعبد الناس الناس. وفي المنهج الإسلامي - وحده - يخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده بلا شريك..

والإسلام حين يجعل الشريعة لله وحده ، يخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، ويعلن تحرير الإنسان. بل يعلن « ميلاد الإنسان ».. فالإنسان لا يولد ، ولا يوجد ، إلا حيث تتحرر رقبته من حكم إنسان مثله ؛ وإلا حين يتساوى في هذا الشأن مع الناس جميعاً أمام رب الناس.

ومن هنا خطورة هذه القضية في حياة بني الإنسان ، وفي نظام الكون كله : (وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ) (المؤمنون: 71). فالحكم بغير ما أنزل الله معناه الشر والفساد والخروج في النهاية عن نطاق الإيمان.. بنص القرآن.

■ البركة في تطبيق شرع الله لأ :

عباد الله: ما تقولون في مطر يرسله الله على العباد والبلاد ، فيسقي أرضهم وينبت الله به زرعهم ، ويدر به زرعهم ، ويلطف به هواءهم ، ويكثر ماؤهم ، وتنتشر باخضرار الأرض صدورهم ، وتقضى لهم حوائجهم ؛ فهم في رغد وسعد ونعمة ما بها نعمة ثم يدوم ذلك بهم أربعين صباحاً ، إنها النعمة الكبرى تستحق من العباد إجمال الشكر لله لأ :

إن حدًا واحداً يعمل به في الأرض خيراً من ذلك كله ؛ فعين أبي هريرة قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص : «حَدَّ يَعْمَلُ بِهِ فِي الْأَرْضِ خَيْرٌ لِأَهْلِ الْأَرْضِ مِنْ أَنْ يُمَطَّرُوا أَرْبَعِينَ صَبَاحًا» (حسن رواه ابن ماجه).

إن كل ما يمكن تصوره من رخاء وسعة عيش ورغد كل ذلك لا يعدل في نظر المؤمن الحق تطبيق حد من حدود الله لأ :

من أصول العقيدة الإسلامية تطبيق حدود الله في أرض الله ، والحكم بشرع الله في عباد الله ؛ الخلق خلقه ، والأرض أرضه ، والملك ملكه ، والحكم حكمه ، والشرع شرعه ، فعباد الله في أرض الله يجب أن يحكموا بشرع الله مهما شغب المشاغبون أو لبس الملبسون.

إن الله لأ هو الذي خلقنا وهو الذي يعلم ما يصلحنا ويصلح لنا: (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) (الملك: 14) ، (قُلْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ) (البقرة: 140) ، (وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) (البقرة: 216).

■ مشروعية الأضحية وبعض أحكامها:
 عباد الله ، الأضحية مشروعة بأدلة الشريعة المتنوعة ، فضلها عظيم وأجرها كبير. تتأكد مشروعتها لمن كان غنياً وعلى ثمنها مقتدرًا ، روى ابن ماجه بسند حسن عن أبي هريرة تأن رسول الله ص قال: « مَنْ كَانَ لَهُ سَعَةٌ وَلَمْ يُضَحِّ فَلَا يَقْرَبَنَّ مُصَلَّانَا ».
 (فَلَا يَقْرَبَنَّ مُصَلَّانَا) لَيْسَ الْمُرَادُ أَنْ صَحَّةَ الصَّلَاةِ تَتَوَقَّفُ عَلَى الْأَضْحِيَّةِ بَلْ هُوَ عُقُوبَةٌ لَهُ بِالطَّرْدِ عَنِ مَجَالِسِ الْأَخْيَارِ وَهَذَا قَدْ يُفِيدُ الْوَجُوبَ - وقال به بعض العلماء -.

والشاة تجزئ عن الرجل وأهل بيته من الأموات والأحياء. ومن كان عنده وصايا ووجب عليه تنفيذها سواء بسواء حسب المنصوص. ولا يجزئ للأضحية إلا ما كان سليماً من العيوب ، فلا تجزئ العوراء البين عورها ، وهي ما نتأت عنها أو انخسفت ، ولا تجزئ العرجاء البين ضلعها ، وهي التي لا تستطيع المشي مع السليمة ، ولا تجزئ المريضة البين مرضها بحيث يظهر أثر في أحوالها أو فساد لحمها ، والعجفاء التي لا تنقي ، وهي الهزيلة التي لا مخ فيها ، ثبت ذلك عن النبي ص. (صحيح رواه الترمذي وأبو داود).

وقال أهل العلم: ويلحق بهذه العيوب ما كان مثلها أو أشد. ولا بد أن يكتمل السن المعتبر في الأضحية؛ ففي الإبل ما تم له خمس سنين ، وفي البقر ما تم له سنتان ، وفي المعز سنة ، وفي الضأن نصفها. ووقت الأضحية المعتبر من بعد صلاة العيد ، والأفضل بعد انتهاء الخطبة ، فقد ثبت عن النبي ص « أَنَّهُ صَلَّى ثُمَّ خُطِبَ ثُمَّ نَحَرَ » (رواه البخاري ومسلم).

ويستمر الذبح إلى آخر أيام التشريق ، يوم العيد وثلاثة بعده فكلوا وتصدقوا واهدوا.
 والسنة - أيها المسلمون - أن يذبح المسلم الأضحية إن كان محسناً للذبح ، وإلا فليشهذ ذبحها.

واعلموا - عباد الله - أن التكبير المقيد بعد الصلوات - لغير الحاج يبدأ من فجر يوم عرفة إلى آخر عصر أيام التشريق ، وأما الحاج فيبدأ من ظهر يوم النحر ، وأما التكبير المطلق فيكون في عشر ذي الحجة.

■ من حكم و آداب العيد:
 اخوة الإيمان ، إن الأعياد من جملة الشرائع والمناهج يقول الله لأ: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَاجًا) (المائدة: 48) ، ويقول لأ: (لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ) (الحج: 67) أي: عيداً يختصون به.

روى ابن جرير في تفسيره عن ابن عباس قال: (منسكاً أي: عيداً) فيكون معنى الآية أن الله جعل لكل أمة عيداً شرعياً أو عيداً قديماً.
 وعيد الأضحى وعيد الفطر يكونان بعد ركن من أركان الإسلام ، فعيد الأضحى يكون بعد عبادة الحج ، وعيد الفطر يكون بعد عبادة الصوم.

عن أنس تأن النبي ص عن أنس قال: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ص الْمَدِينَةَ وَلَهُمْ يَوْمَانِ يَلْعَبُونَ فِيهِمَا فَقَالَ: «مَا هَذَانِ الْيَوْمَانِ؟» ، قَالُوا: «كُنَّا نَلْعَبُ فِيهِمَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ» ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَبْدَلَكُمْ بِهِمَا خَيْرًا مِنْهُمَا يَوْمَ الْأَضْحَى وَيَوْمَ الْفِطْرِ» (صحيح رواه أبو داود).

فالعيد شعيرة من شعائر الإسلام ومظهر من أجل مظاهره ، تهاون به بعض الناس وقدموا الأعياد المحدثه عليه.. فترى من يستعد لأعياد الميلاد ، وعيد الأم ، وشم النسيم ، والغطاس وغيرها ، ويسعد هو وأطفاله بقدموها ويصرف الأموال لإحيائها.. أما أعياد الإسلام فلا قيمة لها بل ربما تمر وهو مُعْرِضٌ عنها غير ملتفت إليها.. قال تعالى: (ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ) (الحج:32) ، فلا يجوز لمسلم أن يحتفل بأعياد الكفار أو بالأعياد المبتدعة.

في الأعياد تُظهر الأمم زينتها ، وتعلن سرورها ، وتسري عن نفسها ما يصيبها من مشاق الحياة ، ومن هنا شرع للمسلمين عيد الفطر والأضحى ، ينعم فيهما المسلمون ، ويتهجون لهوا طيبا مباحا ، وتعبدا صالحا حميدا ، قال ص: « أَيَّامُ التَّشْرِيقِ أَيَّامُ أَكْلِ وَشُرْبٍ وَذِكْرِ لِلَّهِ » (رواه مسلم).

ومن أعياد المسلمين يوم الجمعة فعن أبي هريرة قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص يَقُولُ: «إِنَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ يَوْمٌ عِيدٌ فَلَا تَجْعَلُوا يَوْمَ عِيدِكُمْ يَوْمَ صِيَامِكُمْ إِلَّا أَنْ تَصُومُوا قَبْلَهُ أَوْ بَعْدَهُ» (إسناده حسن رواه الإمام أحمد).

ومن حكم العيد ومنافعه العظيمة شهود جمع المسلمين لصلاة العيد ، ومشاركتهم في بركة الدعاء والخير المنتزل على جمعهم المبارك ، والانضواء تحت ظلال الرحمة التي تغشى المصلين ، والبروز لرب العالمين ، إظهارا لفقر العباد لربهم ، وحاجتهم لمولاهم عز وجل ، وتعرضا لنفحات الله وهياته التي لا تُحَدُّ وَلَا تُعَدُّ ، عَنْ أُمِّ عَطِيَّةٍ قَالَتْ: أَمَرْنَا رَسُولَ اللَّهِ ص أَنْ نُخْرِجَهُنَّ فِي الْفِطْرِ وَالْأَضْحَى: الْعَوَاتِقُ ، وَالْحَيْضُ ، وَذَوَاتِ الْخُدُورِ ، فَأَمَّا الْحَيْضُ فَيَعْتَرِلُنَّ الصَّلَاةَ وَيَشْهَدْنَ الْخَيْرَ وَدَعْوَةَ الْمُسْلِمِينَ « (رواه البخاري ومسلم). فتشهد النساء العيد غير متبرجات وغير متعطرات.

■ سَابِقُوا:

وعيد الأضحى جعله الله يوم العاشر من ذي الحجة بعد الوقوف بعرفة ركن الحج الأعظم ، وشرع في هذا العيد أعمالاً جليلة صالحة يتقرب بها المسلمون إلى الله تعالى ، وسماه الله يوم الحج الأكبر ؛ لأن أكثر أعمال الحج تكون في يوم هذا العيد ، والله عز وجل برحمته وحكمته وعلمه وقدرته شرع الأعمال الصالحة والقربات الجليلة ، ودعا الناس كلهم إلى فعلها قربة إلى الله وزلفى عنده كما قال تعالى: (سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) (الحديد:21) ، وقال تعالى: (فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا) (المائدة:48).

فإذا لم يُمكن أن يعمل المسلم بعض الطاعات لأجل اختصاصها بمكان أو زمان شرع الله له طاعات من جنس ونوع تلك الطاعات المختصة بالمكان أو الزمان ، فيوم عرفة عيد لحجاج بيت الله الحرام ، واجتماع لهم وتضرع لله عز وجل ، فمن لم يحج شرع الله له صلاة عيد الأضحى في جمع المسلمين ، وشرع له صيام عرفة الذي يكفر السنة الماضية والآتية ، وقربان الحاج وذبائحهم شرع الله مقابل ذلك أضحية المقيم ، فأبواب الخيرات كثيرة ميسرة ، وطرق البر مهيّدة واسعة ، ليستكثر المسلم من أنواع الطاعات لحياته الأبدية بقدر ما يوفقه الله تعالى.

■ التواصل بين المسلمين من حكم العيد ومنافعه العظمى:

أيها المسلمون ، وإن من حكم العيد ومنافعه العظمى ، التواصل بين المسلمين ، والتزاور ، وتقارب القلوب ، وارتفاع الوحشة ، وانطفاء نار الأحقاد والضغائن والحسد.

فاقتدار الإسلام على جمع المسلمين في مكان واحد لأداء صلاة العيد آية على اقتداره على أن يجمعهم على الحق ، ويؤلف بين قلوبهم على التقوى ، فلا شيء يؤلف بين المسلمين سوى الحق ؛ لأنه واحد ، ولا يفرق بين القلوب إلا الأهواء والبدع لكثرتها ، فالتراحم والتعاون والتعاطف صفة المؤمنين فيما بينهم ، عَنِ النَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحَمَى» (رواه مسلم).

وعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ت قَالَ: جَاءَ شَيْخٌ يُرِيدُ النَّبِيَّ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَبْطَأَ الْقَوْمُ عَنْهُ أَنْ يُوسِعُوا لَهُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا» (صحيح رواه الترمذي).

والمحبة بين المسلمين والتواد غاية عظمى من غايات الإسلام ، عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ ت قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُوْمِنُوا ، وَلَا تُوْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا ، أَوْ لَا أَدْلُكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ: أَفْشَاوُ السَّلَامَ بَيْنَكُمْ» (رواه مسلم).

فجاهد نفسك - أيها المسلم - لتكون سليم الصدر للمسلمين ، فسلامة الصدر نعيم الدنيا ، وراحة البدن ورضوان الله في الآخرة ، عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ

عَمَرُو تَقَالَ قَبِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ص : أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : « كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ صَدُوقِ اللِّسَانِ »

قَالُوا : صَدُوقُ اللِّسَانِ نَعْرِفُهُ ، فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ ؟
قَالَ : « هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ لَا إِيْمَ فِيهِ وَلَا بَغْيَ وَلَا غِلَّ وَلَا حَسَدَ » (صحيح رواه ابن ماجه).

■ يوم العيد يوم فرح وسرور ولكن :
إن يوم العيد يوم فرح وسرور لمن طابت سريرته ، وخلصت لله نيته واعلموا أيها المسلمون ، أنه ليس السعيد من تزين وتجمل للعيد ، فلبس الجديد ، ولا من خدمته الدنيا وأتته على ما يريد ، إنما العيد لمن خاف يوم الوعيد واتقى ذا العرش المجيد(1) . . وسكب الدمع تائباً رجاء يوم المزيد . . والسعيد من فاز بتقوى الله تعالى ، وكتب له النجاة من نار حرها شديد ، وفعرها بعيد ، وطعام أهلها الزقوم والضريع ، وشرابهم الحميم والصديد ، وفاز بجنة الخلد التي لا ينقص نعيمها ولا يبيد . فالحذر الحذر أن تكون الأعياد موسماً يُعْبُ فيه من اللهو عبثاً ، بلا تحرُّز من حرام أو تباعد عن باطل ، فذلك ينافي تعاليم الإسلام ، ويضاد مقاصده من الأعياد وغيرها .

■ عيد الأضحى يربطنا بتاريخنا المجيد :
أيها المسلمون ، عيد الأضحى ترتبط فيه أمة الإسلام بتاريخها المجيد في ماضيها المشرق السحيق ، الأمة المسلمة عميقة جذور الحق في تاريخ الكون ، متصلة الأسباب والشأنج عبر الزمان القديم ، منذ وطئت قدم ابينا آدم ؛ الأرض ، وتنزل كلام الله علي الأنبياء ؑ عبر العصور الخالية ، قال الله تعالى : (إِنْ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ) (الأنبياء: 92) ، وختم الله الرسل ؑ بسيد البشر محمد ص الذي أمره الله بإتباع ملة إبراهيم ؛ ، بقوله : (ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (النحل: 123) . فكانت شريعة محمد ص ناسخة لجميع الشرائع ، فلا يقبل الله إلا الإسلام ديناً ، ولا يقبل غيره ، قال الله تعالى : (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (آل عمران: 85) ، وعن أبي هريرة عن رسول الله ص أنه قال : « وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٍّ وَلَا نَصْرَانِيٍّ ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ » (رواه مسلم) .

فأنتم - معشر المسلمين - علي الإرث الحق لخليلين النبيين العظيمين عليهما الصلاة والسلام ، لما شرع الله لكم في هذا اليوم من الحق والدين القيم ، ملة الخليل إبراهيم ؛ ، ودين الخليل محمد ص .

(1) من السنة ليس الجديد يوم العيد فعن ابن عباس ص قال : « كان رسول الله ص يلبس يوم العيد بريدة حمراء » . (رواه الطبراني وإسناده جيد) ، والمقصود أن العيد الحقيقي يوم القيامة لمن التزم بشرع الله لأ .